

سرمایه

محمد مصطفیٰ کمال

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧

Beyond.dbh@gmail.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها. ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: سرمايه

المؤلف: محمد مصطفى كمال

الطبعة: الاولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: عبير محمد

التدقيق اللغوي: نسرین محمد يوسف

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي

رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٢٦٤١

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٤٥-٥٥-٤

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

المدير العام

رئيس مجلس الإدارة

صبرينة غلمي

محمد عز الدين

مدير التنفيذ

جلال عز الدين

إهداء:

إلي والدتي رحمها الله وطيب الله ثراها ..أهدي إليك هذا الكتاب

شكر واجب:

أريد استغلال هذه المساحة لكي أوجه الشكر إلى جميع أصدقائي، ممن ساهموا معي في خروج هذا العمل للنور..بدايةً ممن صاحبوني في عمليات التحضير والإعداد للعمل، ومرورًا بمن بذلوا مجهودات خرافية ساعدت في ارتقاء حالة العمل من الناحية اللغوية والأدبية والفنية، ووصولًا إلى مَنْ ساعدوني على أن يحظى العمل بفرصته؛ لكي يصل إلى أيادي القراء الأعزاء.

إلى كل هؤلاء أتمنى أن تغفروا لي عدم ذكر أسمائكم؛ حيث أن المجال لا يتسع لذكر الجميع....ولأنكم تعلمون جيدًا أنكم أعزاء على قلبي. إليكم جميعًا أتوجه بخالص شكري وعرفاني؛ لأنه لولا توفيق من الله سبحانه وتعالى أولًا ثم تعاونكم معي ثانيًا لما رأى هذا العمل النور. شكرًا جزيلاً لكم على كل ما قمتم به من مجهودات لإخراج هذا العمل. جزاكم الله كل الخير على تفانيكم معي.

شكر خاص:

هذا الشكر هذه المرة موجه إليك أنتِ.. فكلانا يعلم جيدًا أنه
لولاكِ ولولا مساهمتكِ ومجهودكِ وصبركِ الذي استغرق
سنوات، لما خرج هذا العمل بصورته التي انتهى إليها.
ولأنني أعلم جيدًا أن دوركِ لم يكن هينًا، لذلك وددت تخصيص
هذه المساحة لشكركِ بشكل منفرد
شكرًا لكِ على جميع ما قدمتيه لي من جهد في هذا العمل

نُتَوِيه:

جميع الأحداث والأشخاص المذكورة بهذا العمل هي من وحي خيال المؤلف، وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض مصادفة غير مقصودة.

جميع المعلومات العلمية المذكورة بالعمل تحرى الكاتب الدقة فيما ذكر منها، ونقلها هنا بعد الاطلاع على العديد من المصادر؛ لذلك وجب التنويه أن أي تقصير أو أخطاء قد تجدونها بالعمل غير مقصودة

جل من لا يسهو.

مقدمة :

الإنسان.. والكيفية التي يفكر بها وتعمل بها دماغه.. إنها لأمر عجيب... الأمر يشبه إلى حد كبير عدة صور نمطية.. بها عدة تفاصيل.. ولكن هذه التفاصيل لا تتغير أبدًا... ذات عدد ثابت لا يزيد أو ينقص إنه فقط يتم إعادة توزيعه بشكل مختلف كل مرة داخل رأس أي إنسان يولد من جديد.

إننا متشابهون ومتكررون إلى درجة تثير الغيظ... والحيرة...

والاستنكار!

إلا أننا دائمًا ما نقع في خطأ متكرر، لا يمكننا الانتباه إليه في كل مرة.

التوهم بأنه دائمًا وفي كل مرة، ما حدث مع الآخرين في الماضي.. لا يمكن أن يتكرر معنا.

نحن لا نتعلم أبدًا بالنصيحة.. نحن نتعلم دومًا بالتجربة.

نحن لا نستطيع تصديق كل ما نسمعه.. ولكننا نصدق على
الفور كل ما نراه،

وهنا الكارثة...

لا يتعلم الإنسان من أخطائه؛ لأنه إن كان ولا بد أن يتعلم منها...
فلا بد له من أن يتغير.

ومن لا يخطئ... لن يتغير!

...

انطلقت صفارات الإنذار تدوي بشكل رتيب ومتكرر؛ لتعلن عن توقف نظام التبريد عن العمل داخل إحدى المنشآت، التي تم بناؤها في سرية تامة في مكان غير معلوم، وغير مأهول تحت سطح القمر الأرضي.

((خلل في نظام التبريد .. المفاعل رقم اثنين في حالة غير مستقرة .. سيتم إيقاف عمليات الإمداد بالطاقة إلى أن تتم السيطرة على درجة الحرارة المرتفعة.. لقد تم إيقاف المفاعل عن العمل بشكل مؤقت.. يرجى تفقد أنظمة التبريد من أجل عملية إعادة التشغيل وضمان عدم وقوع تلفيات جسيمة)).

كان هذا هو نص الرسالة التي ظهرت على شاشة الهاتف المحمول الخاص برجل يبدو في الخمسينيات من عمره، ممشوق القوام ذو جبهة عريضة اتخذت التجاعيد فيها عدة أماكن من جانبي رأسه إلى بداية أنفه.. ظل يحدق في الرسالة بتركيز شديد بعينه الزرقاوين، وهو يعيد القراءة مرة أخرى كمن يتأكد مما هو مكتوب أمامه، وملامح وجهه تتحول إلى الاستياء قائلاً بصوت منخفض:

" اللعنة .. ليس الآن "

حاول السيطرة على أعصابه وهو يضغط عدة أزرار بشكل سريع في شاشة الهاتف الزجاجية، بينما تتبدل القوائم المعروضة أمامه بسرعة إلى أن انتهى بعد دقائق، وظل ينظر إلى شاشة الهاتف منتظراً الرد.. مرت دقائق قليلة أخرى ظل هو خلالها يتصفح بعض القوائم، وأحد المواقع على شبكة الإنترنت إلى أن أتاه الرد:

((يشير نظام الاستشعار إلى اصطدام أحد الأجسام الفضائية بشكل مفاجئ؛ ليؤدي إلى حدوث انهيار في أحد أجزاء القطاع المسؤول عن التبريد.. أدي هذا الانهيار إلى تعطل دورة التبريد الرئيسية، وتعطلت معها المستشعرات المسؤولة عن بدء عمل شبكة التبريد الاحتياطية... لذلك كان لابد من توقف عمليات إمداد الطاقة لتجنب الارتفاع الرهيب الناتج في درجات الحرارة...والذي قد يؤدي إلى احتراق العديد من أجزاء المفاعل)).

كانت هذه هي الرسالة التفصيلية للأعطال التي أرسل في طلبها من الحاسوب المركزي المسؤول عن إدارة المنشأة ومتابعة أجزائها المختلفة.

ظل الرجل يطالع الرسالة الثانية لعدة ثوان، ثم قام بضغط عدة أزرار أخرى تبعتها بالعديد من الأرقام والحروف، وهو يسارع بمغادرة منزله، ويبحث ببصره أمام المنزل عن مكان توقف سيارته ثم ظل يبحث بيده داخل جيوبه في توتر عن سماعة الرأس الخاصة بالهاتف... سماعة سوداء صغيرة دقيقة الحجم وضعها داخل أذنه، ثم خطا عدة خطوات تجاه السيارة، التي انفتحت أحد أبوابها الخلفية تلقائيًا بمجرد اقترابه منها؛ ليتخذ مجلسه في المقعد الخلفي، ويغلق الباب خلفه مجددًا بشكل تلقائي... تم الاتصال أخيرًا وسمع صوت محدثه على الطرف الآخر من المكالمات :

"كيف تسير الأمور؟"

حاول الرجل السيطرة على نبرات صوته، وهو يقول:

"يجب أن نتحدث... لدينا حادث غير متوقع"

"ماذا حدث؟"

"لقد اصطدم أحد الأجسام الفضائية بالمكان المخصص لوحدة التبريد الرئيسية، وفقدنا نصف طاقتنا.. المفاعل رقم ٢ الآن خارج الخدمة".

ساد الغضب في نبرات محدثه وهو يسأله معنفًا:

"كيف لم يكن هذا ضمن توقعاتك؟".

دافع الرجل عن نفسه وهو يشيح بيده:

"لابد وأن اصطدام الجسم الفضائي قد أحدث زلزال مفاجئ أدى إلى ما حدث.. أنت تعلم أنني يمكنني أن أتوقع جميع ما يمكنه أن يحدث داخل المنشأة... ولكنني لا يمكنني توقع شيء مثل هذا بالطبع".

"إذن.. ما هو الحل؟".

"لا أدري!".

صاح محدثه:

"لا يوجد شيء اسمه لا أدري.. عليك أن تعثر لنا على حل.. لا يمكننا أن نخاطر بعد كل ما فعلناه ووصلنا إلى هذه المرحلة بأن نفشل الآن.. أخبرني كم أماننا من الوقت حتى تظل آليات الفصل والتعليق صامدة؟".

هز الرجل كتفيه:

"ليس بالكثير ..ربما عدة ساعات إضافية".

"أنا أكره ذلك عندما تجيبني بكلمة (ربما) فهذا يعني أنك تقوم بالتخمين ..وأنا أكره التخمين في عملنا".

" لقد أخبرتك .. لا يمكن توقع مثل هذه الحوادث".

"حسنًا ..دعني أعرض الأمر على مساعدتي، وسوف أتصل بك في خلال ساعة من الآن..أرسل إليه رسائل الأعطال".

رفع الرجل هاتفه سريعًا وهو يضغط عدة أزرار مسرعًا، ثم قال:

"لقد أرسلتها إليه بالفعل ..أنا في انتظارك".

قالها ثم ضغط على زر إغلاق المكالمة، ثم نظر إلى الأمام وهو يخاطب الرجل الآلي المتولي قيادة السيارة:

"(جيك).. خذني إلى مكان جديد.. مكان يصلح للجلوس فيه للتفكير.. ولا تسألني عما أفضل.. فقط أوصلني إلى هناك".

أوماً (جيك) برأسه إيجابًا في هدوء:

"أمرك سيدي".

انطلق الرجل الآلي بالسيارة واتجه إلى أحد المتنزهات القريبة المليئة بالمسطحات الخضراء والأشجار العملاقة..

مضت عشرون دقيقة منذ أن ظل الرجل جالسًا على أحد المقاعد الخشبية داخل المنتزه، ليتصاعد بشكل مفاجئ أثار انتباهه رنين هاتفه

المحمول.. ضغط على زر إجابة الاتصال مسرعًا، وهو يستمع إلى محدثه، الذي تبدلت نبرات صوته إلى الهدوء مجددًا، وبدا له أن محدثه يبتسم قائلاً:

"لقد وجدنا الحل.. اصغ إلى جيداً".

"هل تحتاج أي شيء؟".

سأل (لامبرت) مساعده (روب) بينما الاثنان يجلسان داخل قمرة القيادة للرحلة دي-زد ٤٧٤ المتجهة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسبانيا.. قام (لامبرت) بضبط إعدادات القيادة على وضع الطيار الآلي ليسأله (روب):

"إلى أين ستذهب؟!".

"أريد أن أحظى ببعض النوم.. أمامنا وقت كافٍ قبيل الوصول".

خاطبه (روب) ممازحًا:

"كيف تم قبورك بينما أنت تنام كل هذه الساعات؟" ..لا بد وأن تحظى بلقب وحش النوم".

ضحك (لامبرت) من تعليق (روب) وهو يهتف ساخرًا:

"لماذا تسألني أين سأذهب؟ أوه ..يا صغيري؟ ..أتريدني أن أمسك بيدك إلى أن تهدأ وتنام ..أتخاف من البقاء بمفردك؟"

لكزه (روب) في صدره وهو ينفجر ضاحكًا من أسلوبه الساخر.

نهض (لامبرت) ليحضر جهاز الموسيقى الخاص به من جيب معطفه، ويضع سماعاته في أذنيه ويعود مجددًا ليجلس في مقعده، ويربط أحزمة

الأمان، ثم قام بتشغيل موسيقي هادئة دائماً ما يستعين بها لتساعده على النوم وهو يشير إلى (روب) قائلاً:

"أيقظني قبل الهبوط .. وابق عينيك مفتوحة".

لوح له (روب) ساخراً:

"أحلام سعيدة داخل الجحيم أيها الوحش".

استسلم (لامبرت) للنوم بعد عدة دقائق...

ظل (روب) يتابع حالة الطائرة ومسار الرحلة، وهو لا يزال مسترخياً في مقعده إلى أن اقترب موعد الهبوط؛ لينظر إلى (لامبرت) الذي كان مستغرقاً تماماً في النوم؛ فأزال سماعات الرأس وهو يهتف:

"(لامبرت).. هيا .. استيقظ .. لقد اقتربنا".

استيقظ (لامبرت) مسرعاً من صياح زميله كما اعتاد في مهنته أن يستيقظ سريعاً .. واعتدل في مقعده وهو يفرك عينيه ويتثائب قائلاً:

"لَمْ توقظني بأسلوبك الذي لا ينبئ أبداً بخير .. هل هناك شيء قد حدث؟"

أشار (روب) أمامه إلى النافذة الأمامية للطائرة وهو يقول:

"لقد شارفنا على الوصول".

نظر (لامبرت) إلى الاتجاه الذي يشير إليه، وهو ينظر من النافذة الأمامية للطائرة بعد أن عبرت غيمة ضبابية صغيرة، ثم عادت بعدها

أشعة الشمس الساطعة؛ لتضيء قمرة القيادة ولاحت من أعلى عدة مراعي خضراء، تبدو فيها الأغنام كنقاط صغيرة بيضاء غير واضحة المعالم لا يشير لوجودها شيء سوى أنها تتحرك ببطء.

قال (روب) متأملاً المشهد:

"لكم تمنيت أن أذهب إلى مثل تلك المراعي.. ربما كان ذلك أفضل لي من مهنة الطيران".

انفجر (لامبرت) ضاحكاً من عبارته:

"هذا عجيب.. من عاصر روعة الطيران.. يريد تركها والاتجاه إلى الزراعة ورعاية الماشية؟! هل جننت؟".

"وماذا في هذا؟".

"لا شيء.. كل ما في الأمر أنك سوف....."

انطفأت جميع الشاشات المضئية أمامهما دون سابق إنذار في كل أجزاء قمرة القيادة دفعة واحدة وبشكل مفاجئ.

أبعد (لامبرت) يديه بعيداً عن المقود وهو يمد يديه إلى لوحات القيادة أمامه، ويفقد شاشة مراقبة الارتفاع ويضغط العديد من الأزرار أمامه في توتر بالغ، وهو يهتف في عصبية شديدة:

"ما الذي حدث للتو؟"

هتف (روب) محاولاً تهدئته، وهو يحاول اختبار أدوات لوحة القيادة بنفسه:

"لعله انقطاع لحظي في كابل تغذية الطاقة".

ارتجت الطائرة في عنف ومالت مقدمتها إلى الأمام بشكل حاد، بينما يتلاشى تأثير الطيار الآلي، وبدأت سرعة الطائرة تزداد بشكل ملحوظ، وهي تتجه إلى السقوط بفعل الجاذبية الأرضية....

انطلقت صرخات الركاب تدوي في جميع أرجاء الطائرة عند ميلها إلى الأمام بمثل هذه الحدة وبشكل مفاجئ، بينما سقط بعضهم أرضاً بشكل مباغت، كان بعضهم من طاقم الطائرة، وبعض الركاب الذين كانوا يسيرون في الطائرة وقتها، بينما مال البقية إلى الأمام بميل الطائرة.

((ارفع المقود لأعلى - السرعة تفوق المعدل الطبيعي - قم بتخفيف السرعة - ارفع المقود لأعلى - السرعة تفوق المعدل الطبيعي- قم بتخفيف السرعة - ارفع المقود لأعلى)).

تكرر النداء الآلي المسجل الذي ينبه الطيارين إلى أن الطائرة في وضعية السقوط، وتجاوزت معدل السرعة الطبيعي؛ فلا بد من تعديل زوايتها؛ ليحاول كل منهما جذب المقود لأعلى بالتناوب، ولكنه ويا للأسف ظل عالقاً في مكانه...

انقبض قلب (روب) بعنف داخل صدره، وهو يرى أنه لا توجد أي استجابة من أي أجزاء في لوحة القيادة، وهو يهتف:

"اللعة.. ما الذي حدث؟.. لقد فقدنا طاقتنا بأكملها".

هتف (لامبرت) في رعب لا حدود له:

"إلى برج المراقبة هنا الرحلة (دي-زد ٤٧٤) لقد فقدنا الطاقة في قمرة القيادة، ونحن حاليًا في وضع سقوط حر.. أكرر نحن الآن في حالة سقوط حر".

لم يجبه جهاز الاتصال سوى بصمت دون أية إشارات لتلقي برج المراقبة لرسالتهم

نظر كل منهما إلى وجه الآخر، وانطبعت فوق وجهيهما كل تعبيرات الرعب الممكنة للحظة..

حاول (لامبرت) بعد لحظات أن يتماسك ويحاول مجددًا تغيير وضع القيادة للقيادة اليدوية.. ولكن لا توجد هناك استجابة.. لا تزال الطائرة تندفع إلى الأسفل ولم يستطيع أن يغير أي شيء...

هتف بزميله:

"حاول تخفيف السرعة إلى أقل ما يمكن".

أسرع (روب) بتنفيذ الأمر؛ لتتخفف السرعة قليلًا....

بينما هتف زميله (روب) عبر مكبر الصوت:

"ليلزم الجميع مقاعدهم.. ويتأكد فريق المضيفين من ربط الركاب لأحزمة الأمان.. ليأخذ الجميع وضعية الارتطام".

أسرع جميع الطاقم يحاول التأكد من أن جميع الركاب في مقاعدهم؛ ويربطوا أحزمة الأمان وهم يأخذون وضعية الارتطام.

نظر كل من (لامبرت) و(روب) إلى بعضهما البعض مرة أخرى و(روب) يسأل زميله:

"ماذا سنفعل؟"

نظر (لامبرت) أمامه عبر الزجاج الأمامي إلى الأرض التي تقترب في سرعة مخيفة، وهو يصرخ:

"لقد فقدنا جميع آليات التحكم .. لا يمكننا حتى توجيه الطائرة مثل الطائرات الشراعية .. لقد تعطلت مجموعة أدوات التحكم .. لا يمكننا تعديل ارتفاع الطائرة .. لا توجد فائدة .. سنتحطم".

حقق فيه (روب) مذهولاً من كلماته، وهو يحاول اختبار نظام التحكم البديل؛ وأسفرت محاولته عن نفس النتيجة وحاول مراراً.. ولكن بلا أي فائدة .. بدت محاولاته جميعها بلا جدوى والتفت إلى زميله (لامبرت) ليجد دموعه تتساقط بغزارة فوق وجهه، وهو ينظر إلى زميله مجدداً بصوت غلب عليه البكاء هذه المرة:

"سوف نرتطم بالأرض .. لن يمكننا النجاة".

هتف فيه (روب) وهو يعيد المحاولة ويشد المقود ناحيته:

"لا تستسلم .. لا تفعل ذلك الآن .. سنحاول مجدداً... سنحاول... وليساعدنا الله".

>> هل تعلم من أين تأتي الأفكار؟

نعم أنت...

إنني أتحدث معك!

أنا أعلم بالطبع أنها تأتي من رأسك، ولكن هناك داخل ذلك الرأس منطقة بعينها وخلايا بعينها تحب تلك الوظيفة.

وظيفة الإتيان بالأفكار.. وهي تحب أن تمارس تلك العملية؛ لذلك فهي تحثك عليها مرارًا وتكرارًا

ليست الأفكار الرائعة فقط بل كل الأفكار.

وإحدى وسائلها لمزاولة ذلك النشاط تكون أحيانًا الحديث مع نفسك!

نعم من يحدث نفسه ليس مجنونًا.. إنما هو يفكر وهذا التفكير والحوار يكون رائعًا دائمًا، خاصة عندما يتم مع شخص تخيلي لا وجود له في العالم المادي.

مثلك أنت!

أنت الآن متواجد فقط داخل رأسي بين طيات أفكاري.. أنت نفسك فكرة مثل البقية.

لدى ما أريد التحدث معك بشأنه.

رأيك ليس بالشيء المهم.. ولا نصائحك ولا أفكارك هي الأخرى ليست مهمة.

ما يهم هو أنك هنا الآن.

ولا توجد أية حواجز يمكنها اعتراضنا.

وبالطبع لا يمكن للأسرار أن تتجاوز اثنين.

وحتى تعلم أنني أثق بك تمام الثقة.

سأخبرك باسمي..

يمكنك مناداتي ب(سليم) كما يناديني جميع من يعرفونني.

هل تعلم في أي عام نحن الآن؟

نحن الآن نعيش في العام ٢١٢٠

لا يزال العالم على قيد الحياة للأسف!

على الرغم من عجلة التقدم التي ظلت تصاعدية بشكل مخيف، التي كانت تحتّم نهايتنا بالطبع في ظل التقدم، الذي لا يمكننا أبدًا أن نواكبه رغم أننا نصنعه.

ذلك التقدم لم نجن منه في الحقيقة سوى شيء واحد مؤسف ومزٍ.

لقد صارت البشرية في منتهى الغباء!

نعم هذا للأسف صحيح.

نحن نواجه اليوم الصورة الأسوأ من تلك الظاهرة.

اليوم هناك اعتماد كلي للبشرية على الإنسان الآلي في كل شيء، حتى في أبسط عمليات التفكير؛

الأمر الذي أدى استمراره واعتياده فترة طويلة من الوقت إلى تدهور مستوى الرجال الآلية الذهني هو الآخر، كنتيجة طبيعية لتدهور مستوى تفكير المبرمجين، الذين ظلوا يعتمدون على هذه الأدوات إلى أن صارت أدمغتهم لا تتميز كثيرًا عن بعض الخرق البالية!

وهناك كارثة بشرية أخرى أضافها البشر لتأخذ مكانها في لوحة أكثر الاختراعات حماقة.

لقد قاموا بتطوير طراز جديد من المعالجات الحاسوبية، التي تستخدم كمثيل للمخ البشري؛ ولكن داخل دماغ الرجل الآلي عن طريق إضافة أدمغة بعض حيوانات التجارب كوسيلة مساعدة لهذه المعالجات كي تحسن من أدائها.. وعلى عكس المتوقع مما كان ينتظره الكثيرون.. ظهرت لدينا مخلوقات يفترض بأنهم رجال آليّة. ولكنها في الحقيقة تعمل بنفس الغريزة الأساسية التي تعمل بها الحيوانات، التي تم استخدام أدمغتها في هذه المعالجات.. هل رأيت من قبل إنسانًا آليًا يعمل كحارس شخصي مزود بدماغ فأر؟! هل رأيت يومًا فأرًا شجاعًا يمكنه الدفاع حتى عن نفسه ناهيك عن الدفاع عن غيره؟

إنه العبث البشري حين بلغ أقصاه.

بالطبع بعد حدوث عدة كوارث أدت إلى فقدان الكثيرين حياتهم، وتدمير منازلهم وانتشرت الفوضى في عدة بلاد جراء تطبيق مثل هذه الفكرة، وتم حظر إنتاج أو تداول مثل هذا النوع من المعالجات، وتدمير كل ما هو موجود بالفعل.

بالأمس واجهت شيئاً مشابهاً أكد لي بأن ما ذكرته عن تدني مستوي الذكاء البشري؛ قد صار أمرًا واقعًا ومثيرًا للدهشة بالفعل.

لقد تم استدعائي بأمر من المخابرات المصرية؛ للتحقيق معي حول عملية اختراق حاسوبي، التي رصدوها منذ عدة أيام؛ ووجدوا أن أحد سكان المنطقة السكنية التي أعيش وسطها قد اخترق نظامهم الأمني المتطور جدًا، هذا من وجهة نظرهم بالطبع، وقام هذا المخترق بمراقبة جميع الاتصالات المتبادلة في مدة طالت إلى ثلاثين دقيقة، قبل أن يقوموا في النهاية بإغلاق الثغرة التي مكنت هذا المخترق من الولوج إليهم أو هكذا ظنوا.

بالأكيد بالنسبة لشخص مثلي يعمل مهندسًا في استكشاف الأعطال البرمجية ومخترق قانوني(*)

لاختبارات الأمن والسلامة الخاصة بالبرمجيات، التي نصممها داخل إحدى كبرى شركات الاتصالات فأنا من وجهة نظرهم هدف مثالي.

حسنًا سأعترف لك أنا بالفعل أمارس بعض تجارب الاختراق الفردية من حين إلى آخر، بحكم طبيعة عملي، وربما يجعلني هذا مخترقًا رماديًا، ولكن هذه المرة لم اخترق جدارهم الأمني من الأساس. وبالرغم من أن كل مخترق أسود يسعى دائمًا إلى الفخر بنفسه، وتذليل

اختراقه بأثر يشير إلى تفوقه ولا يدل عليه، فكان من البديهي إذا كنت أنا المخترق كنت سأترك توقيعى بدلاً من دليل يشير إليّ.

ظلت طوال اليوم لمدة ٩ ساعات أحاول إقناع جهات التحقيق بأنني لم أكن المسؤول عما حدث، وأنه لا بد وأن أحدهم قد ترك دليلاً مزيّفاً، وانتحل شخصيتي وهويتي الإلكترونية بعد سرقتها، واخترق بها نظامهم وترك بصمة شبه واضحة تشير إلىّ للإيقاع بي بدلاً منه.

في النهاية وبعد عدة محاولات جاهدة اقتنعوا بهذا؛ وتركوني أمضي إلى حال سبيلي مع التشديد على أنني ما إن توصلت إلى هذا المخترق، فيجب أن أتعاون معهم.

تأكدت تماماً خلال هذا اللقاء المفاجئ من مدى كفاءتهم المتدهورة في عالم الأمان المعلوماتي، الأمر الذي لم يكن فقط يمكن أن يحدث معه اختراقهم من قبيل الصدفة بل هم هدف يسهل لأي عابر مبتدئ أن يستهدفه، ويمارس أعباءه البدائية في الاختراق، لا أدري ربما هذا ما حدث فعلاً.

بعد الاعتذار الذي أنهوا به زيارتهم على إزعاجي، ذهبت لأتناول الطعام في أحد المطاعم في طريقي للعودة إلى منزلي في مدينة القاهرة الأولى... التي ولدت فيها ولم أقو على تركها سوى للقمر عندما تطلب عملي السفر عدة مرات للعمل بأحد المشروعات التابعة لشركتنا هناك.

وكانه يوم يصر على ألا يمر بسلام منذ بدايته إلى أن ينتهي.

بعد انتهائي من تناول الطعام وبينما أنا مغادر للمكان.. تقابلت مصادفة مع آخر شخص يمكنني أن أتمنى اللقاء به.. في مثل هذا اليوم العصيب.

(عايدة)

المرأة التي جعلتني إلى اليوم.. أبغض نفسي في كل لحظة لأنني أحببتها...

ومن كانت دائماً لا ترى سوى نفسها في علاقاتها بشكل عام، مع هذه الحياة بكل من فيها من أشخاص محيطين بها، كل هؤلاء في وجهة نظرها مجرد أدوات لتلبية ما تتمناه.

أصدقك القول، كنت فيما مضى كلما رأيته ببنيته القصيرة، وبشرتها السمراء التي كانت تخلق تبايناً غير عادي مع ابتسامتها، التي تكشف أسنانها المصطفة بجوار بعضها بانتظامها وبياضها، وأهم ما يميز وجهها عيناها البنية الواسعة... كانت كل هذه الصفات وخاصة عينيها تأسرني دائماً، فلا أكف عن التحديق في عينيها مباشرة، لقد كان الأمر وقتها كالسحر، مثلما ترى أحدهم متوهجاً في نظرك لا تستطيع حتى أن

(*) المخترق القانوني Ethical Hacker

هو اتجاه في عالم الاختراق الحاسوبي يعمل على تدريب الأشخاص؛ لكي يصبحوا مخترقين للأنظمة الحاسوبية المختلفة، ولكن يتم عملهم بشكل قانوني وذلك اتجاه تقوم به شركات التكنولوجيا في مجالات البرمجيات، التي تحتاج إلى حماية بشكل عام، وتنقسم قائمة المخترقين إلى ثلاث فئات: البيضاء والسوداء والرمادية، ترمز البيضاء للمخترقين القانونيين، والسوداء إلى المخترقين المخالفين للقانون، بينما الرمادية هي للأشخاص الذين يمتلكون خبرة الاختراق، ويعملوا ما بين المجالين بين أن يقوموا بأعمال لحساب شركات بشكل قانوني، وبين أن يستخدموا خبراتهم في اختراق الآخرين بدون معرفتهم.

تترك لعينيك الفرصة لتغمض من فرط تألقها وتوهجها. علمت بعد ذلك أن هذا الوهج كان بتأثير الحب.

وحين هجرتني مرتين بعد تواجدها داخل حياتي بشكل بالغت أنا فيه بشدة.

توقف هذا الحب، وتلاشى الوهج، وتحول لبغض لا يمكنني أنا نفسي كبحه، أو تفسير وجوده أو إنهائه

مجرد إحساسك بأن هناك شخص ما قمت بترقية درجته داخل روحك إلى درجة الملاك قد قاوم هذا، وعاد إلى إنسان ربما أقل من الطبيعي.. فأنت حينها تلوم حساباتك.. قبل أن تلومه كيف أمكن لوهج حبك له أن يعميك عن طبيعته، وأنه يمكن أن يتغير في أية لحظة كما يتغير أي شيء في هذه الدنيا.. لا يحتاج إلى أسباب.. منذ متى كانت المرأة تحتاج إلى أسباب لكي تتوقف عن حبك.. ومنذ متى كنت تستطيع التحكم في حبك لامرأة؟ نعم يا عزيزي، أنت دومًا المخطئ، وهي دومًا المسكينة، التي لم تستطع أنت أن تفهمها.

علمت بعد ذلك أن تلك المسكينة تزوجت، ولم يسبب هذا الأمر ضررًا نفسيًا كبيرًا في داخلي، ليس أكثر مما تدمر بالفعل في السابق، كل الأمور تعتادها بالوقت حتى التي يستحيل تصورها.

المدهش أنها هي التي تذكرتني بعد كل هذه السنوات، بينما أنا لم أستطع تذكرها.. كيف أتذكر ملامح كان يسبقها وهج ملائكي يطغي على تفاصيلها؟

حسنًا لا يمكنني أن أقص عليك كل ما قالتها؛ لأنه سيتعين على مشقة تذكره وأنا لا أريد ذلك.

كل ما يمكن أن أخبرك به هو أنها كانت تتساءل عما إذا كان ممكنًا أن نعود إلى بعضنا مجددًا بعد كل هذه السنوات؛ ونتجاوز كل ما حدث ونبدأ من جديد، لقد تطلّقت من زوجها بالمناسبة كما أخبرتني؛ نتيجة متوقعة بالطبع لوقوعها مع أحد الأغبياء الإضافيين، الذين لا يمكنهم فهمها.. كما تحب أن تصف هي حالها وسوء طالعها، الذي دائمًا لا يأتي إليها بعكس ما تريده هي وتتمناه.

كيف يمكن أن ينتهي يوم سخيّف مثل هذا دون أن يختتم نفسه بالأحزان والبكاء المفتعلين على أطلال العلاقات الإنسانية المحطمة.

لم أستطع أن أجيبها.. لم يستطع ذهني أن يأتي بإجابة يمكنها حتى إقناعي أنا نفسي.

غادرت المكان بعد هذا اللقاء؛ وعجزت عن التفكير في أي شيء.

الآن الساعة الحادية عشرة مساءً...

سوف أعود إلى منزلي؛ لأحاول أن أحظي بنوم ثقيل يبذل أية محاولات في رأسي للتفكير في أي شيء...

استقرت داخل فراشي ولم أحاول أن أنام، في الحقيقة منعت نفسي وساعدني عقلي على هذه المؤامرة المتكاملة، وأعانهم عليها جهاز الاستدعاء الخاص بالعمل، الذي لا يمكن إغلاقه أو حتى خفض صوته لا حل سوى أن يلقي به أحد سواي من النافذة.. ولأنه لا يوجد سواي في

المنزل.. كما هو الحال منذ سنوات.. ولا بد عاجلاً أم آجلاً أن أجيبه؛
وإلا تعرضت للفصل إذا تجاهلته.. وهذا العمل هو وسيلتي الوحيدة
لتمتلي حياتي الفارغة بشيء ما مفيد.

نهضت من الفراش.. ثم التقطت جهاز الاستدعاء اللوحي الرقيق
الشفاف، و أضاءت شاشته وانطفئت كالألي المسعور؛ ضغطت على
شاشته للاطلاع على نص رسالة الاستدعاء:

"هام يرجى الحضور إلى المقر الرئيسي على وجه السرعة، لدينا مشكلة
في الاتصال بالشبكة القمرية"

نظرت إلى الرسالة .. أعدت قراءتها مجدداً عدة مرات، وأنا أنقل بصري
بالتناوب ما بين نصها وما بين الساعة...

الواحدة والنصف بعد منتصف الليل...

التقطت هاتفي المحمول كي أتصل بزميلي في العمل (عطاء)..(عطاء
حلمي) أحد المهندسين الملحقين بالقسم الذي أعمل به.. وصديقي الوحيد
إلى الآن.. شخص غاية في التألق إلى درجة تثير الغثيان بتصفيفة شعره
البنّي من المنتصف على كل جانب؛ كي يتخلله الهواء على حد قوله،
يتحدث مثل المجانين أحياناً من فرط تأنقه وطريقته المتصابية.

قمت بطلبه عبر مكبر الصوت في الهاتف بينما أستعد لتغيير ملابسني
أثناء المكالمه،

ظل رنين الهاتف مستمراً ثلاث مرات قبل أن يجيب هو:

"(سليم)..هل وصلك الاستدعاء؟"

التقطت قميصي لأرتديه وأنا أرد:

"نعم ..لقد وصلني ..هل تعتقد أنه نفس العطل الذي يتكرر كل عدة أعوام؛ نتيجة عدم تتابع أوامر النظام؟ "

رد (عطاء) وهو يتثائب:

"لا أدري .. لست أعلم كيف يمكن لشبكة كاملة متكاملة، كتب أوامر التشغيل الخاصة بها أكثر من خمس وأربعون ألف مبرمج ومهندس، ومحصنة ضد الاختراق، يمكن أن تتعطل هكذا كل بضع سنوات عدة مرات؟"

((اللجنة ..ها هو ذا مجدداً، لقد شاركت في تصميمها معكم، كف عن ذكر تفاصيلها كل مرة يحدث بها عطلاً؛ لكي تنتقد الشركة وفريق المبرمجين كل مرة)).

"حسناً متى ستصل إلى هنا؟"

أتى صوت (عطاء) وهو يهتف مستنكراً:

"هل ستنتظرنني؟! ..هذا استدعاء عاجل"

"أنا لا امالك سيارة كما تعلم، ثم من غيرك سوف يقلني أنا لا أعلم أحد في هذه الشركة سواك، وعامل الأمن والمدير، وبالطبع لن يأتي أحدهم في مثل هذا التوقيت ليقلني إلى هناك".

"وماذا عن أن تبدأ الاعتماد على نفسك، مثلاً أن تشتري سيارة حديثة لك، وتتعلم كيف تقودها، وتمارس حياتك كالبالغين، ألم نتحدث عن هذا مراراً؟".

"أنت تعلم أنني أخجل من الجلوس خلف عجلة القيادة ..دومًا ما أشعر بأنها تنظر إلى بنظرات لا أحملها، أنا في انتظارك لا تتأخر".

انتهيت من ارتداء ملابسك بالكامل، والتقطت هاتفك المحمول، ووضعته داخل أحد جيوب البنطال.

>>(سليم)! ... التفت لأرى امرأة أشعر بأنني أعرفها ..إن لم يكن لملامحها التي تبدو مألوفة؛ فربما للهفة في ندائها ..كلا لا تقولي أنك .. قاطعت أفكاري بسؤالها.. ألا تتذكرني؟! .. ألا تتذكر (عايدة) تقول اسمها بجذل كالأطفال، كما لو أنها الوحيدة التي سميت بمثل هذا الاسم ..وكيف يمكن أن أنسى من هم مثلك.. من يعجز الشيطان نفسه عن أن يحظى بخصالك.. كيف حالك؟! لقد مضى الكثير من الوقت منذ آخر مرة تقابلنا فيها.. سبع سنوات.. وهي لم تكن آخر مرة تقابلنا فيها.. لقد كانت المرة الوحيدة التي تقابلنا فيها.. أنت تحفظ الماضي جيداً إذن ..تقول الجملة وتذيلها بابتسامة مبتهجة لا أدري ما سببها ..هل تمنع إن جلست معك؟ لم تنتظر هي إلى أن أرفض أو أن أوافق؛ فجلست بهدوء ولم تفارق وجهها الذي امتلأ قليلاً بالابتسامة ..

كيف حالك؟ سألت هي مجدداً.. أنا بخير.

لقد فقدت الكثير من الوزن.. لقد أصبحت أنحف مما عرفتكَ... مجدداً إنه القلق البيولوجي اللعين بين بني البشرية، ربما منذ خلقها الله لا بد في

البداية أن يفحصوا حالتك الجسمانية، كما لو أنك ماشية يستعدون لشرائها، وإذا لم يفعلوا ذلك فأفعلها أنت!.. لا بد وأن يقلق أحدكم بشأن وزن الآخر، كيف هي أحوالك الآن؟

سألت للمرة الثالثة.. فلم أستطع أن أجيب سوى بإيماءة إيجابية برأسي دون الكلام..

لماذا أعاد تذكر كل هذا مرة أخرى.. لقد انتهى اللقاء المفاجئ.. لا داعي لذلك.. لا تفكر فيه مجدداً <<

ترجلت من مكاني؛ لكي أغادر شقتي التي تقع في أطراف المدينة؛ من أجل أن أنتظر (عطاء) ليقلني بسيارته.

واحدة من أهم قواعدي منذ أن كنت شاباً يافعاً (إياك وتعلم قيادة السيارات.. يجب عليك الحفاظ على طاقتك الذهنية؛ للتفكير في الأمور المهمة فقط.. لاسيما أنك سوف تقود دائماً داخل شوارع مزدحمة.. الأمر الذي سيجعلك شخصاً آخرًا ينشغل تفكيره بكيف سيصل بدلاً من أن ينشغل تفكيره بما الذي سيفعله بعد أن يصل؟

مرت خمس عشرة دقيقة، وأنا منتظر داخل مدخل ناطحة السحاب، التي أعيش بها في الطابق السادس والستين إلى أن وصل (عطاء) أخيراً بسيارته الحمراء.

قمت بضغط زر فتح البوابة الإلكترونية الزجاجية؛ لتصطدم بوجهي نسيمات قوية وباردة من الهواء، استمرت للحظات إلى أن أسرعت لأفتح

الباب الأمامي للسيارة، وأستقر فوق المقعد بشكل سريع، وأنا أعيد إغلاق باب السيارة بعنف.

"رويدك .. ستحطم الباب .. قلت لك مئات الآلاف من المرات، أن هذه الأبواب لا تحتاج إلى أن تغلقها بمثل هذا العنف .. ستحطم إما مفصل الباب أو الزجاج .. ربما الاثنان .. وإن حدث هذا .. أنت من سيقوم بإصلاح ما أتلفته".

صحت في (سليم) وأنا أنهره على ذلك التصرف، الذي دومًا ما يحلو له أن يفعله؛ فقط لكي يستفزني؛ فظل ناظرًا إلى بعينه الخضراء الحادة، التي كثيرًا ما يرعيني صفاؤهما خاصة عندما يحدق بهما في شيء مثلما يفعل الآن .. تأملت وجهه المكسو بلحية بنية تتماشي مع لون خصلات شعره القصيرة، التي تبدو مثل أشواك الصبار في انتصابها لعدة ثوان وهو يرد ببرود تام:

"وماذا إذا تحطم الباب؟ .. إنها ليست سيارتي على كل حال .. ثم إنك بالفعل تتقاضي راتبًا يمكنك من شراء سيارة جديدة مثل هذه كل شهر".

مطيت شفتاي وأنا أستنكر طريقته، التي اعتاد أن يعاملني بها كما لو كنت خادمه .. ربما أنا صديقه الأوحـد .. ولكن لكل شيء حدود.

غيرت وضع عصا السرعات وأنا أتحرك بالسيارة في سرعة و(سليم) يتساءل:

" هل تواصلت مع الإدارة؟".

تساءلت باستغراب:

"لماذا؟"

أشاح (سليم) بيده قائلاً :

"من أجل الاستدعاء، هل علمت ما الذي حدث بالضبط؟"

ظلمت أوجه نظري تجاه الطريق، وأنا أرد في غير اكتراث:

"لا داعي للعجلة. نحن ذاهبان بالفعل إلى هناك ..سنعرف ما أن نصل إلى هناك"

مط (سليم) شفتيه قائلاً بملل:

"لاريب أنه ذلك الخلل المعتاد كما أخبرتك"

لم أعقب فضل هو يراقبني للحظات .. إلى أن اقتنع بأنني لن أنوي الحديث .. فقام بخلع سترته، وأخرج هاتفه المحمول من جيبه، وألقى بالسترة الجلدية على المقعد الخلفي، ووضع هاتفه بجانب عصا السرعات في حامل الهاتف المثبت هناك وهو يقول:

"حسنًا .. أنا لم أنم جيدًا اليوم .. سأغفو قليلًا إلى أن نصل".

نظرت إليه وهو يعدل مقعده؛ ليعيده إلى الخلف كي يشابه الفراش، وأنا أسأل:

"هل أطالوا في التحقيق معك في المخابرات اليوم؟"

اعتدل (سليم) متكئًا على مرفقيه، وهو ينظر إلى في دهشة متسائلًا:

"كيف عرفت؟".

نظرت إليه في مرآة السيارة، وأنا أنقل بصري بينه وبين الطريق أمامي:

"لقد أخبرني المدير.. ثم إنك لم تظهر للعمل اليوم.. وأنت لم تأخذ إجازة من العمل طوال الثلاث سنوات الأخيرة.. ماذا حدث معك هناك؟"

عقد (سليم) ذراعيه وهو يعود برأسه للخلف كأنه يستحث النوم على أن يأتي مسرعًا:

"لم يحدث شيء.. ظللت أقنعهم بأنني لست المسؤول عن محاولة الاختراق المخجلة، التي قام بها أحدهم ضدهم.. هل تتخيل أن الشخص الذي اخترق جدارهم الناري قام بهذا بمنتهى السهولة، وظل يراقب أحاديثهم لمدة نصف ساعة كاملة.. لا بد وأن يتم شق المسؤول عن مثل هذه الكارثة".

سألته:

"وكيف انتهى التحقيق؟"

أجاب:

"إطلاق سراحي لانتفاء وجود أدلة قاطعة ضدي، وتعاوني معهم في إيضاح حقيقة ما حدث، مع التشديد بضرورة استمرارني في التعاون

معهم، وإطلاعهم على أية معلومات يمكن أن تقود لمرتكب مثل هذا الاختراق".

"حسنًا .. هل فعلتها؟".

اعتدل (سليم) مجددًا من مكانه مرة أخرى مجددًا، وهو يسألني مستكبرًا:

"ما هذا الذي تقوله؟.. أنت أيضًا تشك في أنني الفاعل؟ ألا يوجد في هذه البلدة مخترقون غيري؟ ..ثم ما الذي سأفعله باختراق جدار المخبرات الناري ..ألا يبدو الأمر سخيفًا بعض الشيء؟"

حركت رأسي يمنةً ويسرةً وأنا أرد:

"لا أحد يعلم ما الذي تنوي على فعله، وما الذي تفعله بالفعل في أوقات فراغك.. وأنت مجنون.. فلم لا أسيء الظن بك؟".

"انتبه للطريق.. وأيقظني عندما نصل إلى هناك".

سألته باندهاش:

"لم لا تستطع أن تنام؟ .. تسع ساعات من التحقيق.. حسنًا هذا يعني أنك بدأت الجلسة منذ الساعة التاسعة صباحًا، وانتهيت في الساعة السادسة مساءً ..إذا افترضت أنك عدت إلى منزلك في الثامنة ..فأنت ظلمت مستيقظًا خمسة ساعات كاملة في الفراش؟! ..أين ذهب (سليم) الذي يقدس نومه أكثر من أي شيء آخر".

نظرت إليه وأنا أنتظر الإجابة؛ لأجده مغمض العينين، صامتًا لا يرد فهتفت:

"(سليم)!"

"لم تصيح؟.. أنا أسمعك، ولقد أخبرتك أنني أريد النوم.. لدينا عمل نقوم به.. دعني وشأني الآن".

رد في حزم لم أمتلك معه القدرة ولا الحجة لكي أواصل الحديث.. ولكن هذا ليس (سليم) الذي أعرفه.. هو في المعتاد لا يتحاشى الحديث، بل يرد وأحياناً يسئ لمن يسأله ويهاجمه.. ولكنه لا يتجنب الحديث.. هناك شيء ما يورق باله؛ لأنه لا يفرط أبداً في صحة ذهنه.. فهو لا يدخن.. لا يتناول أية مشروبات مسكرة، أو تحتوي على الكافيين سوى الشاي، وقليل من القهوة من آن إلى آخر.. لا يتناول أية عقاقير يمكنها أن تؤثر على قدرات ذهنه.. لا يقود سيارة ولا حتى يمتلك واحدة.. ويعتبر قيادة المركبات هي أيضاً نشاط منهك للذهن.. وبالنسبة إليه النوم عدد ساعات كافية شيء مقدس لا تهاون فيه.. ولقد كان يمتلك الوقت للنوم.. هناك شيء ما ليس على ما يرام.

توقفت في إحدى الإشارات الحمراء في الطريق.. كانت الشوارع خالية، وتأملت العداد الرقمي التنازلي، الذي أشار إلى أننا أمامنا أربعين ثانية قبيل تغير الإشارة للون الأخضر، ويسمح لنا بالمرور.

اختلست نظرة مطولة إلى (سليم) مجدداً.. كان ممدداً فوق المقعد لا يتحرك به شيء سوى صدره صعوداً وهبوطاً.... اعتدلت مجدداً؛ لأتأمل الطريق الخالي أمامي...

لا أدري ما الذي أشعر به تجاهه في داخلي..

" لا يمكنني أن أمقته على الرغم من تصرفاته الخرقاء، التي دومًا ما يفعلها من أن إلى آخر.. ولكن لا أعلم كيف لا يؤثر هذا على ما أشعر به تجاهه.. مزيج من الشفقة وربما القلق، الذي وصفه هو عدة مرات بأنه قلق مبالغ فيه مثل قلق الآباء.. إنه وحيد بالمعنى الحرفي للكلمة.. لا يحاول أن يرتبط بأي إنسان أيا كانت صفته، ولا حتى يحاول أن يتبادل الحديث إلا مع عدد قليل جدًا من الناس.. ولا بد وأن يكون لهذا الحديث ضرورة وأهمية وإلا فلا داعي له.. أشعر بأنه واجبي أن أخرجه من دائرة الوحدة، التي يجيد هو الانخراط داخلها باحتراف منقطع النظير.. كما لو كان شخصًا آليًا بالضبط.. لا يشتكي أبدًا من أي شيء مثل البشر الطبيعيين.. لا يبتسم أبدًا.. ولا يحزن.. ولا يفعل.. إنه كما وصفت إنسانًا يعيش في داخله قلب معدني بارد صديء يعجز عن النبض.. رفض عدة محاولات أصررت أنا أن أقحمه فيها؛ لكي يرتبط بامرأة تكون مناسبة له، وتشاركه حياته الفارغة تمامًا من أي شيء.

ربما تستطيع أن تغير نمط الحياة الرمادي هذا الذي أدمنه إلى نمط آخر.. ربما يرزق بأطفال منها.. فتتغير حياته رويدًا رويدًا.. ليس المهم أن تتغير إلى أين.. ليست مهمتنا أن نتغير حياتنا للأفضل، أو للأسوأ.. المهم ألا نتوقف عن التغيير.. لا يوجد أسوأ مما هو عليه بالفعل....

ولكنه كان دومًا يرفض.. وكان يبرر رفضه في كل مرة رشت له أحد بأن يقول: لا يمكن أن أظلم إنسانة تتوقع أن تجد ولو القليل من الحب والتقدير بأن تصطدم بالحقيقة التي أنا عليها.. أنا لا أستطيع أن أحب أحدًا!

لقد اختبرت الخذلان بنفسي من قبل، ولا أفضل لأحد أن يمر بمثل هذا الشعور.. لا أنا ولا هي،

لا يجب أن يكون الخذلان في النهاية مكافأة من تحمل وصبر من أجل يرى لصبره أثرًا فيمن منحهم هذا الصبر"

"لم أنت لا تزال منتظرًا؟.. أماننا خمس عشرة ثانية قبل أن تتحول الإشارة لحرارة مجددًا".

تساءل (سليم) لالتفت إليه لأجده لا يزال مستيقظًا ويشير إلى الطريق.
انطلقت بالسيارة مجددًا..

لم يستطع أن ينام.. بالرغم من مرور كل هذا الوقت!

تصاعد رنين هاتفه بشكل مفاجئ للدرجة التي انتفضت في مقعدي من صوته.. ظل كذلك للحظات إلى أن تماكنت أعصابي، وأنا أمد يدي لالتقط الهاتف وأعطيه إليه..

بينما أنا أعطيه هاتفه.. لفت نظري الاسم الذي قرأته على شاشة الهاتف... (عايدة)...

أعطيته الهاتف؛ ليقوم هو بإغلاق الاتصال، ويضع الهاتف في الوضع الصامت، ويضعه داخل أحد جيوبه.

تبادلت أنا وهو النظرات صامتتين.. لعدة ثوان.. كأنما يخشى كل منا أن يبدأ بالكلام إلى أنا بدأته أنا

"من المتصل؟"

"سألته.. ومن يعلم (سليم) مثلي يدرك جيدًا مدي خطورة مثل هذه التساؤلات.. وما هو أخطر منها.. محاولات التذاك معه.. هو يعلم أنني أعلم بحدوث شيء ما، شيء ما ليس على ما يرام.. والآن اتصال في توقيت غير ملائم، يحمل اسمًا غير متوقع بالقطع هذا ما حدث.. لقد عادت!.. نحن الاثنان كلانا يعرف كيف يفكر الآخر.. (سليم) ليس غيبًا أو أبله؛ إنما هو يدعي أنه كذلك.. ولكنني لم أر من هو أخطر على سطح هذا الكوكب منه؛ في طريقة معالجته لتفاصيل كل ما يراه أو يسمعه أو يحدث حوله، إنه أكثر من مرعب..

إنه فقط لا يجعلك تقترب إلى الحد الذي تكتشف معه كيف يعمل هذا المفاعل القابع داخل رأسه.. وهو الآن يفكر جدًّا في كيفية إبعادي عن مثل هذه المناقشة بأقل الخسائر الممكنة.. حسنًا هذه فرصتي ولن أتركها أبدًا...

"لا أحد.. لابد وأن المتصل أخطأ الاتصال بالرقم".

رد (سليم) بعد ما يقرب من نصف دقيقة كاملة.. هذا يعني أنه كان يفكر فيما يقوله..

قام هو بإعادة ظهر المقعد ومكانه إلى جانبي باعتدال؛ فالتفت إليه لأنظر إليه في عينيه مباشرة للحظة، قبل أن أعيد بصري مجددًا إلى الطريق، وأنا ابتسم ابتسامة واسعة أثارت استفزازه ليتساءل:

"لم تبتسم؟".

لم أتمالك إلا أن أضحك على تعليقه، وأوازن مجددًا ما بين انتقال بصري بينه وبين الطريق وأنا أرد:

"أنت تعلم لماذا.. لا تقلق.. أنا لست متعجلًا.. أرجوك خذ وقتك"...
"حسنًا... ها هو (عطاء) كعادته يحاول المراوغة ليعلم ما الذي حدث اليوم.

إنه يتعامل معي كما لو كان أبي وأنا ابنه الضال، الذي مازال لا يدري كيف يتصرف دون أن يقع في مشاكل.

أنا أعلم أنه لن يكف عن هذا.

ولا أطيق الحديث مع أحد بشأن ما حدث اليوم.

الأيام التي تحمل ذكريات سخيصة خير لك دائمًا ألا تحاول استعادة تفاصيلها....

أنت دومًا أفضل بأفكاري!.. أنت ستصبح أفضل بنصائحي.. أنا دومًا أدرك الأصوب لك

الحاجة البشرية الدائمة للإحساس بالأفضلية الأبوية، لا بد وأن تطالنا جميعًا في مرحلة ما من حياتنا وهذا طبيعي!

ليست المشكلة في النصيحة أبدًا.. بل إن النصيحة واجبة.

المشكلة تظل دائمًا في كيف ومتى تقدم النصيحة.. ومتى تمتنع عنها!

المشكلة أيضاً في حبنا اللامتناهي لإهداء النصائح دون أدنى مراعاة
لحاجتنا إليها أولاً قبل الآخرين!

ولأنها مجانية دومًا.. ولأنها تشعرنا بالرضا عن أنفسنا.. وتخطب في
داخل أنفسنا شعورنا النرجسي بالحكمة؛ فنحن دومًا نلجأ لها.. لا ننظر
إلى تبعاتها.. ولا ننظر إلى كم أساس ستقيمه النصيحة في مقابل كم من
المباني الهشة داخل النفس ستأتي عليه.

لقد توصلت إلى حل مع نفسي المريضة بداء ادعاء الحكمة مثل البقية..
انصح نفسك أولاً ودائمًا قبل الآخرين..

في أغلب الأوقات عليك أن تكون حذرًا في النصيحة؛ أفضل لك من أن
تصير شريكًا في الحطام.

ما هو الشيء المميز في أن تصير ببعاء الحكمة صاحب الصوت العذب
في عالم بلا أذان؟

لا بد وأن أتخلص من أن أنزلق إلى هذا المنحدر الذي ينوي (عطاء) أن
يدفعني عنوة إليه، ولكن ما الذي أفعله؟.. الخيوط هذه المرة استحكمت
حولي.

لا يوجد وقت للتعقيد أو للبحث عن ردود مقنعة.. الارتجال سيكون حاليًا
هو سيد الموقف...

"لا أحد.. لا بد وأن المتصل أخطأ الاتصال بالرقم "

هكذا ألقيت الرد في وجهه دون أي تردد...

نظر إلى مباشرة؟. ثم ابتسم.

<< تلك الابتسامة تعني أنه فهم كل ما في الأمر >>

ولكني لن أجعل الأمر سهلاً لا مانع من القليل من المراوغة الإضافية.

"لم تبتسم؟".

سألته .. فضحك!

فعلمت أنه لا فائدة من المراوغة.

"حسناً .. لقد قابلت (عايدة) اليوم بالمصادفة في أحد المطاعم المجاورة للمنزل، بينما كنت أتناول غدائي .. وجلسنا ندرش مع بعضنا البعض قرابة الساعة والنصف .. لهذا أنا تأخرت في العودة إلى المنزل ولهذا أيضاً لم أستطع النوم .. هل أنت مبتهج الآن؟"

<<المواجهة خير الحلول دائماً.. وآخرها!>>

وبالفعل أتى تأثيرها سريعاً .. فقد تجمد (عطاء) في مكانه من الاندهاش إلى الدرجة التي لم يستطع معها التركيز في القيادة؛ وقام بإيقاف السيارة جانباً بينما أنا أقول له:

"لم توقفت؟ .. نحن أمانا ما يقرب من عشر دقائق لنصل .. هيا حتى لا نتأخر"

لم يستجب بل ظل يحرق في بعينه البنية زاليتين تبدوان كنقطتين سوداوين وسط وجهه الأبيض البشرة لا يكسر حدتها سوى شعره الناعم

الطويل، الذي دومًا ما يصفه بشكل جانبي بخصلات طويلة، تتناثر على جانبي رأسه بشكل مستفز، يتطاير مع الهواء ومع الحركة بشكل مستفز؛ يجعلني أحسده على مثل هذا الشعر.

سألني وتحول وجهه إلى توتر لم أره من قبل:

"ما الذي تنوي فعله؟"

هزرت كتفي وأنا أدير رأسي بالنفي قائلاً:

"أنا لا أنوي أن أفعل شيئاً.. هي من قابلتني، وهي التي تعرفت على هناك، وهي التي دعت نفسها إلى طاولتي وهي أيضاً التي اتصلت بي".

"لا يمكنك أن تعود إليها.. إنها متزوجة"

أقر بما ظن أنني نسيته لأقوم بالرد:

"أنا لم أفعل شيء... وبالمناسبة لقد تطلعت منذ عدة أشهر".

برقت عينا (عطاء) بمزيج غريب من الاندهاش والسعادة وهو يسألني:

"حقاً؟.. حسناً هذا خبر مؤسف بالنسبة لها.. ولا أظن أنه مؤسف بالنسبة لك".

نظرت إليه وأنا ابتسم في خبث متسائلاً:

"لم ذلك؟".

"لأنها يمكن أن تكون فرصة جادة في أن تعيد النظر".

ابتعدت ببصري عنه وأنا انظر أمامي، أتأمل إحدى الأشجار بينما تدفع أوراقها في عنف الرياح، وتجعل جذع الشجرة يميل حتى يكاد يقتلع من مكانه لولا أن الرياح لم تكن بالقوة الكافية.

"هذا ما كانت تأمله".

نظر إلى (عطاء) مستفهماً:

"ماذا تعني؟".

"أعني أنها كانت تتساءل ما إذا كان من الممكن أن نعود مجدداً كما كنا".

هتف (عطاء) وقد فقد من المفاجأة والاسترسال أعصابه:

"(سليم)! .. ماذا قلت لها؟"

"لماذا توترت؟ ما الذي حدث؟"

في حدة وتحفز هتف (عطاء) مجدداً:

"لا تقل لي أنك رفضت!"

كان ردي بكل تلقائية:

"أنا لم أرفض... ولم أقبل!"

ثار (عطاء) وتغيرت تعابير وجهه بشكل مفاجئ وهو يهتف:

"هل أنت غبي أم ماذا؟ .. أنت حتى لا تحاول أن تفكر في أن تختلط بأي أحد من أجلها.. المرأة الوحيدة التي يفترض أنها أحبتك.. ولا أدري علامَ كان ذلك.. ولا أدري أيضًا لِمَ عادت.. ولكن عندما تعود ترفض أنت عودتها.. يبدو أنه لا يوجد أحد يمكنه أن يفهمك أبدًا.. حتى هي.. إن أردت قول الحقيقة.. إنها بطلة لأنها مازالت تحاول التقرب من وغد مثلك.. أنت لا تطاق".

نظرت إليه وقد احمر وجهه وهو يدفع عصا السرعات في عنف، ويفرغ غضبه في دواصة الوقود؛ ليعيد الانطلاق بالسيارة في عنف.. دومًا تبدو ملامحه مضحكة عندما يغضب خاصة وأن بشرته البيضاء يظهر عليها أمارات الغضب والانفعال بشكل سريع.

"حسنًا.. عليك أن تهدأ.. لا تفرغ غضبك في القيادة؛ لأنك بمثل هذه الطريقة سوف تقتلنا".

نظر إلى وهو يزيد من سرعة القيادة بشكل مطرد هاتفًا:

"ولم لا .. أقل شيء سوف يشكرني العالم على تخليصه من وغد أناني مريض مثلك".

ساعده خلو الطريق من السيارات والمارة على أن يزيد من سرعته في مثل هذا التوقيت، إلى أن وصل أخيرًا إلى المكان الذي يقع به مقر الشركة التي يعملان لحسابها.

قاد(عطاء) السيارة إلى مدخل مكان الانتظار المخصص له، ثم أوقف المحرك بينما تابعت أنا:

"لن نذهب إلى أي مكان وأنت بمثل هذه الحالة الغاضبة.. إذا كنت مستاءً مني فأرجو أن تتجاوز مثل هذا الاستياء الآن ليس هذا وقته".

التفت إلى (عطاء) مجددًا بنفس الوجه المتورد الهائج وهو يكرر الهتاف الغاضب:

"هل يمكنك أن تخبرني.. لم تتنفس الآن؟.. لماذا تعيش وسطنا؟".

"ما مشكلتك معي يا (عطاء)؟".

رد محتدًا:

"لا تتذاك أنت تعلم جيدًا ما هي المشكلة".

لوحث له بذراعي؛ لكي يهدأ وأنا أقول له:

"أعتقد أنه ينبغي أن تتوقف عن محاولتك، التي لا تنتهي بأن تحاول عنوة الزج بي في علاقة مع إحداهن لا أرغبها".

"أنت لا ترى ما الذي صرت إليه.. لقد اختلت موازينك تمامًا".

قلت له في حزم:

"وهذه موازيني وتلك مشكلتي.. وأنا المطالب بأن أضع لها الحل الذي يتناسب معي".

صمتنا للحظة ثم سألته:

"أنت لم تسألني ما رأيي فيما قالته.. لقد تابعت ثورتك على دون أن تسألني عن معنى ما حدث".

نظر إليّ وهو يعود بظهره إلى الوراء، ماطاً شفتيه من الامتعاض متسائلاً بتهكم:

"هل سيشكل هذا فارقاً؟".

"بالطبع.. سيشكل الكثير إن قلت لك أنها لم تكن تعني ما قالته.. لقد كانت تتلاعب بي مثل كل مرة".

ظل (عطاء) يتأملني للحظات قبل أن ينفجر ضاحكاً بشكل هيسيري:

"أنا واثق من أنني سأندم إذا سألتك ولكن.. لم تضحك؟"

ظل يضحك بصوت صاخب للحظات قبل أن يحاول التقاط أنفاسه، وهو يمسح دموعه التي اندفعت

من مقلتيه بشكل لا إرادي:

"أنت وغد فعلاً... أنت لا تزال تحبها!"

>>لم أستطع دائماً أن أربط ما بين تلك الحكمة التي تفيد بأنك ما دمت تأتي على سيرة أحدهم دائماً فلا بد من أنك مولع به، وما بين أن تأتي على سيرته إذا ما تهيأت الظروف لذلك؛ فيتم تصنيفك بنفس التصنيف الأول.. كيف أشرح له أنني لم أعد أشعر تجاهها بشيء، ولكنني أمقت تصرفاتها تجاهي؟ لابد من وجود تعبير أو ربما تصرف فيزيائي يمكنه إيصال مثل هذا الشعور المعقد!<<

"أنا لم أعد أشعر تجاهها بشيء، لا أحبها ولا أكرهها.. كل ما في الأمر أنه....."

قاطعني(عطاء) وهو لا يزال يضحك:

"كل ما في الأمر أنك تكابر بالاعتراف بأنك تحبها بعد كل هذه السنوات، وعلى الرغم من أنها تزوجت شخصاً آخر"

ثم تابع:

"أيها الوجد المنافق.. أنا أرى هذا من بعيد قادمًا.. أرى مشاعرك وكيف تتقلب كل ما أتى الحديث عنها"

سرحت في مقولته لثواني:

>>ما هذا الذي يراه من بعيد؟.. أنا بالفعل لم اسمع منها أو عنها منذ عدة سنوات.. وربما كانت آخر مرة قام هو بذكر اسمها أمامي ربما كانت منذ ثلاث سنوات كاملة، حسناً..لابد من إنهاء هذا الآن لقد تجاوز هذا الأمر حده<<.

"(عطاء) أريد أن تذكرني بشيء ما كنت أريد أن أخبرك عنه قبل أن نذهب إلى مكاتبنا".

اختفت ابتسامته وظهرت الجدية وهو يتساءل:

"ما هو؟".

قمت بشكل خاطف بجذب ذراعه الأيمن تجاهي، وأنا أدفع رأسه بسرعة إلى الأمام؛ لكي ترتطم بعجلة القيادة في عنف؛ وترتد بسرعة إلى مكانه ويديه يحيطاً بأنفه وهو يهتف:

"أيها اللعين ..لقد حطمت أنفي".

هتفت فيه بغضب:

"إياك وأن تذكر اسمها أمامي مرة أخرى ..أو أن تحاول فتح مثل هذا الموضوع مجدداً".

ظل ينظر إليّ باندعاش امتزج بالخوف، وهو يتفحص أنفه في مرآة السيارة الجانبية وتحسسه في ألم ..لم أستطع أن أقاوم إلا أن أستزيد في إثارة حقنه من فرط سخرية الموقف:

"أراهن أنك لم تستطع رؤية هذا قادماً حتى من قريب".

هبطت من السيارة قائلاً:

"هيا بنا".

قمت بالتوجه مباشرة إلى المصعد دون أن أنتظره، وظللت منتظراً هناك ما يقرب من دقيقتين وأنا أمتع الباب من أن يكمل الانغلاق بذراعي، لأطل بجذعي خارج المصعد؛ لكي أناديه مجدداً لأتفاجأ به على بعد خطوات.

"هيا ..لن تجلس اليوم كله تعالين أنفك!".

هتف (عطاء) متبرماً:

"أيها الوغد .. تصدمني في عجلة القيادة هكذا .. بشكل مفاجئ!".

انتظرت إلى أن دلف إلى المصعد وأغلق أبوابه، وأنا أضغط زر الطابق الخامس والثمانين .. طابق استكشاف وإدارة حلول الأعطال حيث نعمل.

نظرت إليه مجدداً وأنا أفحص وجهه؛ لأجد أنه لا يوجد به شيء سوى بعض الاحمرار بأنفه وحولها، ولا يوجد أي دماء أو أية كدمات .. فقط احمرار جراء الصدمة.

"حسنًا .. أعدك سوف أخبرك المرة القادمة قبل أن أصفحك".

تبادلنا النظرات بينما هو ظل يعيد تصفيف شعره، ويحاول تحسس أنفه من أجل أن يتأكد من أنه لا توجد دماء تنزف منه ..

"لن تكون موجودة .. إنها الثانية صباحاً".

توقف (عطاء) عن التصفيف فجأة في توتر، وهو ينظر إلى متسائلاً في حذر:

"من تقصد؟".

"هي التي تتأكد من أن تصفيفة شعرك كما يجب من أجلها .. بالتأكيد ليست زوجتك".

لوح (عطاء) بذراعيه:

"أنا أحب أن أبدو أنيقًا، فهل يعني هذا أنني أواعد شخصًا آخر غير زوجتي؟".

نظرت في الأعلى وأنا أدير وجهي في أرجاء المصعد الفضية الباردة، بينما لوحة الأرقام تعلن أننا في الطابق السابعين الآن، وها نحن نستكمل وجهتنا.

"لا يمكن أن أعتبر ما رأيته مواعدة.. يمكننا أن نطلق عليه بعض المراهقة المتأخرة ليس إلا.. الغريب أنك لم تبلغ الأربعين بعد!"

كنا قد وصلنا إلى الطابق الخامس والثمانين؛ فأمسك (عطاء) بذراعي في قوة وهو يهمس:

"(سليم) .. ما الذي رأيته؟".

لم أستطع إلا أن أمنع الابتسامة التي احتلت وجهي، وأنا انظر إليه مشفقًا عليه، وأنا أربت على كتفه:

"لا تقلق .. سرك بأمان معي".

"أي سر .. ماذا تقصد؟ .. كف عن دعاياتك الصببانية هذه، وأخبرني ما الذي رأيته؟".

غادرت المصعد مسرعًا؛ لأتأمل الطابق الذي تحتله - عبر عدة أماكن - عدة مكاتب صغيرة متراسة جنب بعضها في طرقات طويلة متوازية.. يعلو كل مكتب منها هاتف مكتبي حديث، وجهاز حاسوب مكتبي لا يظهر منه أمامي سوى الشاشة، وخلف كل مكتب بالطبع مقعد جلدي

بسيط.. هذه هي غرفة المتابعة المركزية، التي تكون مسؤولة عن متابعة وحل أعطال شبكتي الاتصالات، التي تمتلكهما شركتنا، واحدة تعمل هنا في مصر، والأخرى تعمل في الخليج العربي بأكمله؛ لتخدم ثمان دول هناك.

ولدينا كشركة متطورة في نظام الاتصالات إلى حد لا بأس به، في وسط المنافسين على مستوى العالم، الآن نظام برمجي للاتصالات قمنا بتصميمه خصيصاً من أجل إحدى الشركات اليابانية في مجال الإنشاءات، التي كانت تعمل على أحد أهم مشروعاتها.. مشروع خاص بتطوير صناعة الطاقة تمت إقامته فوق سطح القمر.. ولقد فازت شركتنا بالمناقصة التي تقدمنا إليها؛ وحملنا على عاتقنا مهمة كتابة أوامر نظام التشغيل الخاص بشبكة الاتصالات، المسؤولة عن التواصل ما بين الجزء الخاص بالإدارة والتحكم فوق سطح الأرض، ومثيله على القمر حيث تتواجد قاعدة قمرية مجهزة بشكل كامل تابعة للشركة اليابانية هناك.

"(سليم)؟!.. ماذا رأيت؟".

شوش(عطاء) على أفكارى اللحظية.. لم أدرك أن خطتي البسيطة في التلاعب به ستأتي بناتجها بمثل هذه السرعة.. فلم تؤدِ الخطة فقط مفعولها في أن يكف عن إزعاجي مجدداً بالكلام عن أحوالي.. بل وأعطتني الحياة مزية إضافية وقدمت لي رأسه على طبق من ذهب.. يظن أنه بعد خمس عشرة سنة من الزواج يمكنه أن يبدأ من جديد وأن يلعب دور المراهق.

"أنا لم أر شيئاً.. أنا فقط كنت أتلاعب بأعصابك؛ كي تكف عن إزعاجي وتلتفت لنفسك"

قلتها وأنا أقطع المكان في خطوات واسعة؛ كي أصل إلى الغرفة التي يقع بها مكتبي في أحد الممرات الجانبية، التي تحظى بعدة غرف زجاجية منفصلة، يعمل بها المسؤولون عن الشبكة القمرية، وهم ليسوا بالكثيرين.. نحن أربعة نعمل بالتناوب كل ستة أشهر فريق مكون من اثنين.. أنا و(عطاء) والفريق الآخر اثنين آخرين من مهندسي الصيانة واستكشاف الأعطال مثلنا.. لا أعرفهم بالتحديد ولكني أعلم أنهم محظوظون.. أكثر من تسعين بالمائة من الأعطال لا تحدث إلا وأنا و(عطاء) في الخدمة.. حسناً هذا وحده دافع كاف جداً للحقد عليهما.

قابلت في أثناء هرولي أحد المسؤولين عن النظافة، وهو يستخدم مكنسة كهربائية كبيرة الحجم من أجل أن يقوم بتنظيف المكان فسألته:

"هل وصل أحد من الإدارة بعد؟"

نظر إلى الرجل وهو يلوح مبتسماً:

"مرحباً بك أستاذ (سليم).. نعم لقد وصل السيد (كاظم) ونائبه، وهما الآن في غرفة الاجتماعات منذ عدة دقائق وأوصياني عند حضوركم أن أبلغكما بمكانهما"

كان (عطاء) يتبعني مسرعاً فاضطرت للتوقف؛ من أجل أن يستمع هو الآخر لكلمات الرجل، بينما قلت أنا بتلقائية:

"حسناً.. نحن ذاهبان إلى هناك.. شكراً لك"

نظر إلى الرجل متشككًا.. ربما بدوت له أحقق بشكل أو بآخر .. هو لم يقل ذلك ولكن ملامحه أفصحت:

"ألم تعلم بعد ما الذي حدث؟"

استرعى بسؤاله انتباهنا أنا و(عطاء) والأخير يسأله بحذر:

"ماذا حدث؟"

نظر الرجل إلينا كأنه لا يصدق أننا لا نعلم بعد:

"لقد سقطت إحدى الطائرات على أطراف المدينة".

أصابتنني الجملة بالاندهاش .. والحيرة وأنا أسأله:

"وماذا في هذا؟!"

هز الرجل كتفيه:

"لست أدري .. ولكن لم يحدث حادث مثل هذا ربما منذ عشرات الأعوام .. أعني أليس هذا الأمر غريبًا بعض الشيء".

ملاحظة تثير بعض من التساؤلات بالفعل.

"ربما كان خلل في أحد أجهزة الملاحة.. أنت تعلم إنها دائمًا ما تكون غلطة أحدهم".

علقت وأنا التفتت إلى يساري لأجد (عطاء) ووجهه يعتريه قلق مفاجئ ومبالغ فيه

"ما الأمر الذي يثير في داخلك القلق كهذا .. إنه مجرد حادث .. هيا بنا"

اتجهنا جنباً إلى جنب إلى النصف الثاني من الطابق؛ حيث يوجد مكتب مدير الشركة ونائبه، و يفصل ما بين نصفي الطابق جسر معدني محاط بأكمله بجسر آخر أكبر من الزجاج المصفح، ينتشر عبر سقف هذا الجسر عدة مصابيح طولية للإضاءة؛ لتضفي بهاءً على الأرض المعدنية المطلية باللون الرمادي الغامق، وتعطي الإضاءة المتموجة ما بين الأبيض والأزرق الخافت والأصفر الاختلاف والتباين المطلوب، مع الجسر الزجاجي ذي اللون البنفسجي، الذي يتلألأ بشكل بديع في النهار وسط ضوء الشمس.. لوحة فنية بديعة من تناغم الألوان وتناسقها لطالما أعجبتني كلما أتيت إلى هنا في النهار، ولكن للأسف لن يسمح لي ظلام الليل أن أتأملها، وكذلك عجلتنا في أمرنا في أن نصل إلى قاعة الاجتماعات والباب الخشبي المزخرف الذي يقع أمامنا في آخر الجسر.

وصلت قبيل(عطاء) بعدة خطوات؛ لأقوم بإخراج هويتي وأمررها أمام أداة تعريف الشخصية المثبتة عن يمين الباب؛ لتضيء الشاشة باللون الأخضر، لم أنتظر (عطاء) الذي وصل بلهات عنيف، ودفعت الباب بقوة لأجد أمامي نائب المدير وسكرتير مكتبه موليين ظهريهما إلى الباب، التقفنا إليّ بمجرد دخولي ومن ورائي (عطاء).

"السيد (كاظم) ينتظرك في مكتبه".

أفاد بذلك نائب المدير، وهو يشير إلى مكتب المدير بينما سألته أنا:

"هل علمنا ما هي المشكلة؟".

أشاح الرجل نافياً برأسه يمناً ويسرة وهو يقول:

"كلا.. لم نعم بعد.. ستجد تقارير برامج الإصلاح الآلي في الداخل".

توجهت مباشرة إلى غرفة المدير، وحاول (عطاء) استباقي؛ ليترك الباب قبل أن ندخل، ولكنني لم أكن في مزاج يسمح لي بالتفكير في أية قواعد اليوم.. نحن نتحمل نتيجة إصرار مدير متخوف؛ قام بتصميم نظام تشغيل لشبكة من أكبر الشبكات وأعقدها على مستوى العالم، دون أن يسمح لنا نحن مهندسوه أن نستطيع الولوج إليها سوى من نفس المداخل التي تستخدمها الشركة، التي صممت الشبكة من أجلها..

"أهلاً بكما.. من دواعي سروري أنكما لم تتأخرا".

كان هذا رد المدير التلقائي على اقتحامي غرفة مكتبه بدفعي للباب بعنف..

ظلت واقفاً محدقاً في عيني الرجل البنية، وبشرته السمراء وقوامه الضخم حقاً.. كان عريض المنكبين بشكل دوماً ما أثار دهشتي وتساؤلي: أين يمكن أن يقع قلبه وسط كل هذا الصدر، وفارع الطول حتى أنه كان يفوقنا حجماً مثل المصارعين أو لاعبي رفع الأثقال فيما مضى.

ظل هو يبادلني نفس التحديق، ولكن باندھاش وهو يفرد يديه متسائلاً:

"لماذا تحديق إليّ هكذا؟!"

لم أتمالك أعصابي:

"لماذا تصر على تعذيبنا؟.. كم مرة طلبنا منك إضافة أدوات برمجية تسمح لنا بالتحكم في الأجهزة الرئيسية عن بعد.. أي شبكة في العالم كله حتى وإن كانت شبكة منزلية صغيرة؛ مزودة بإمكانية التحكم فيها والإشراف عليها عن بعد.. أي عبث هذا الذي تسميه شبكة اتصالات؟".

على عكس المتوقع.. اعتاد المدير مني في عدة مرات الحدة في المناقشة.. أشار إليّ كي أهدأ، وهو يقول:

"نعم.. أنا أدرك جيدًا أن مثل هذه الميزة غير موجودة لدينا، ولكن انظر للجانب المشرق من الموضوع فقد ساعدنا على إغلاق المجال أمام أية محاولات لاختراقنا.. إذا صممنا نظام تشغيل دون أية أبواب خلفية.. لن يتمكن أحد من اختراقنا أو تهديدنا".

لم أبدل نبرة الصياح بعد من فرط غضبي من مثل هذا الأمان المغلف بالغباء:

"أنت تحمي نفسك من الاختراق، وتقيد يداي أنا مسؤول الصيانة.. وعندما تواجه أية أعطال محتملة تقوم بتسليمي المشكلة، وأنت تعلم من البداية إنني لا أملك لك من الحلول ما يفيد؛ لأنك لم تسمح بتواجدها منذ البداية.. هل يمكن أن تخبرني ما الذي أفادتك به تقارير برمجيات الإصلاح الآلي الآن؟".

سألته متحديًا إياه مع علمي بالإجابة مسبقًا:

"لم تفصح بالكثير للأسف".

"أنت دومًا تقول هذا.. لقد وضعت عدة أدوات غير ذات فائدة؛ بحجة أن تبيع إلى اليابانيين نظام تشغيل متكامل يستطيعون الاعتماد عليه.. وألحقت به برمجيات شكلية للحماية.. لا تقوم بعمل أي شيء حينما تقع هناك مشكلة حقيقية.. وما بك إلا أن تتدارك هذا الخطأ كل عدة سنوات؛ فتقوم بإرسال عدة رحلات فضائية للمسؤولين عن الصيانة؛ كي يقوموا بإصلاح الأعطال بأيديهم وهم هناك.. في الموقع.. ما فائدة فكرة الشبكة من البداية إذن؟".

"(سليم) ربما يجب عليك أن تهدأ قليلًا".

تدخل (عطاء) وهو يجذبني من ذراعي الأيسر، بينما رد المدير مجددًا في هدوء:

"لِمَ أنت ثائر الآن؟".

تبادلنا نظرًا مع كل منهما في استنكار، وأنا أقول ساخرًا:

"حسنًا أنا أعتذر.. إنه خطئي أنا.. لم يكن يتوجب على أن أغضب من استدعائك لنا بعد منتصف الليل لحل مشكلة أنت وضعتنا داخلها".

ظل المدير هادئًا وهو يشير (لعطاء) بأنه ليست هناك مشكلة.. هو لا يمانع من ثورتي وغضبي

"ألست مهتمًا بشأن حوادث سقوط الطائرات؟.. أنا أفترض بأنك علمت بوقوعها.. أليس كذلك؟".

نجح المدير في إدارة دفة الحديث بعيدًا عن المشكلة، وإثارة تساؤلي
واهتمامي:

"أستميتك عذرًا؟ ماذا قلت؟ .. طائرات؟!".

ابتسم الرجل وقد نال مراده، وهو يعود بمقعده إلى الراء بظهره، بينما
يضع ذراعيه الضخمة فوق مكتبه؛ ليئن كل من المقعد والمكتب من
فرط الوزن المحمل فوقهما:

"لقد سقطت منذ ما يقرب من نصف ساعة عدة طائرات حول العالم.. لم
نعلم بالعدد الذي سقط بالضبط، ولكن ما وصلنا من تقارير يفيد بأنه إلى
الآن سقطت اثنتا وعشرون طائرة في مناطق مختلفة حول العالم، في
توقيت مماثل تقريبًا، وبالطبع تم إعلان حالة الطوارئ في وزارات
الطيران حول العالم بأكمله؛ وتم إيقاف حركة الطيران وإغلاق المجال
الجوي في جميع البلاد ورحلات الفضاء السياحية، التي كان مقرر لها
أن تقلع اليوم تم تأجيلها إلى أجل غير مسمى".

عمت لحظات من الصمت سادت الموقف، وتوقف المشهد على ابتسامة
المدير، التي لم أر لها سببًا أو مبررًا منطقيًا، بينما نظرت إلى (عطاء)
الذي كان رد فعله طبيعيًا؛ فلم يتحمل من فرط الدهشة فبادر بالجلوس
على أحد المقاعد المواجهة لمكتب المدير، ومازالت ملامحه تحمل
الدهشة والمفاجأة.

>> اثنتا وعشرون طائرة.. اللعنة.. هذا لا يمكن أن يستوعبه عقل أبدًا..
ما الذي حدث؟ هل انهارت السماء فجأة فوق رعوس الطيارين؟.. كيف
يمكن أن يسقط كل هذا العدد في وقت متقارب هكذا؟.. كلا بل يبدو من

الحادث أنهم قد سقطوا متزامنين.. أي شيء هائل يمكنه أن يفعل مثل هذا؟! ثم لحظة واحدة.. إنه يقول أنه تم إغلاق المجال الجوي، ومنع جميع أنواع الطيران سواء المدني وبالطبع الحربي، بالإضافة إلى رحلات الفضاء.. اللعنة هذا سوف يفسد كل شيء!!>>

"أنت تقول إنه تم إغلاق المجال الجوي في كل البلاد؟!"

لم تختف ابتسامته بل اتسعت وهو يرد:

"هذا صحيح".

"لماذا أنت مبتسم؟.. هل أنت سعيد بما حدث؟ أم أن عضلات وجهك تبيست على هذا الوضع؟!"

في استنكار حقيقي سألت المدير.. لقد كانت ابتسامته بالنسبة لي لغزاً أصعب من لغز تلك الحادثة نفسها، ويبدو أنني نجحت في أن ألفت انتباهه، فتلاشت ابتسامته وهو يرد:

"بالتأكيد لست سعيداً بما حدث.. ولكني أحاول تحفيزك؛ لأنك هذه المرة سوف تحاول القيام بإصلاح المشكلة من مكاتبنا هنا".

نظر إليّ (عطاء) باستفهام وسأل المدير هذه المرة:

"كيف هذا؟!"

عادت الابتسامة المستفزة على وجه المدير، وهو يقول:

"لقد أرسلنا إلى شركة (شيميزو) (*) نطلب منهم أن يعطونا التصاريح بالدخول عبر حساباتهم، وأكدنا أن هذا فقط للتعاون من أجل حل المشكلة، التي نحن بصدها، وليس تدخلًا منا في عملهم أو خرقًا للسرية التي يحظون بها كمالكين للمشروع".

بدأ الإرهاق يدب في داخل أوصالي من قلة النوم، ومن الوقوف لفترة فقت بالجلوس، وأنا أسأل المدير:

"وما هي طبيعة المشكلة التي حدثت في الشبكة القمرية من الأساس؟".

تراجع الرجل في اندهاش وهو يلوح بيديه في ارتباك:

"ألم تعلم بعد؟.. يبدو أنني نسيت من فرط تتابع الأحداث أن أخبرك بما حدث في شبكتنا".

"لا عليك يا سيدي.. نحن نعلم أنك مرهق جدًا من متابعة كل هذه الأعمال".

"نظرت إلى (عطاء) بعد جملته السخيفة المتملقة نظرة تحمل اشمئزاز لا

(*) مؤسسة (شيميزو) للإنشاءات:

واحدة من أكبر المؤسسات اليابانية الرائدة في مجال الهندسة المعمارية والمدنية والمقاولات، تأسست عام ١٨٠٤ على يد (كيس كاي شيميزو) في طوكيو، وتقدم العديد من الحلول الهندسية والإبداعية، وتمتلك عدة أفرع حول العالم، وتصل أرباحها السنوية إلى ما يقارب ١٥ بليون دولار، وتعتبر واحدة من أفضل خمس شركات للمقاولات في اليابان، ومصنفة ضمن أفضل عشرين شركة مقاولات على مستوى العالم، ولها بعض المشاريع المستقبلية المقرر لها أن تقام في الفضاء.

حدود له، بينما انهمك المدير في ضغط عدة أزرار على حاسوبه المكتبي بجانبه، ولم يلاحظني وأنا أشير إلى (عطاء) بأن يصمت،

التقط المدير شريحتي عرض بلاستيكية مضيئة؛ وناولها إلينا مكتوب فوق كل منها تقرير بالمشكلة التي نحن بصدها.

التقط كل منا الملف؛ وأخذت بالقراءة بشكل سريع، بينما أقوم بتقليب الصفحات بأصابعي.. ظلت هكذا إلى أن علق (عطاء) باستغراب:

"كيف يمكن للبواعث أن تتوقف عن العمل بشكل مفاجئ؟!"

نظرت إليه بينما هو ينظر إلى المدير سائلاً إياه.. ثم عدت ببصري مجدداً لأقرأ الملف مجدداً منذ البداية والمدير يعلق:

"هذا ما نود أن نعلم سببه".

انعقد حاجبائي هذه المرة بشكل تلقائي، وأنا أسأل:

"وما شأننا بهذا؟ .. إنها مشكلة تقنية تخص تصميم الشبكة القمرية(*) نفسها، ولا صلة لنا بها بأي حال من الأحوال!"

سألني المدير:

(*) الشبكة القمرية: يقصد بها حزام الطاقة القمري أو هو مشروع مستقبلي تعمل عليه مؤسسة (شيميزو) اليابانية للإنشاءات، ويفترض أن يتم الانتهاء منه في عام ٢٠٣٠، وهو عبارة عن حزام من الألواح الشمسية سيتم إنشاؤه فوق سطح القمر، يحيط بخط الاستواء القمري ويستطيع أن يمد كوكب الأرض باحتياجاته من الطاقة بما يكافئ الاستهلاك المتوقع للبشر من المحروقات عام ٢٠٣٠ .

"ماذا يعنى هذا؟".

"يعنى أن مثل هذا العطب لسنا مسؤولين عنه.. إنه متعلق بالكيفية التي تعمل بها الشبكة القمرية نفسها، وهو أمر لم نقم بتصميمه.. بالتالي ما نبحث عنه هو الأعطال الخاصة بالاتصالات".

تدخل(عطاء):

"(سليم)!.. هل قرأت ما بيدك جيدًا؟".

تسأله جعلني أعيد القراءة مجددًا...

>>ما الذي يقصده؟.. هذا هو المكتوب في التقرير.. (تبين لنا عند محاولتنا للاتصال بنظام التشغيل لمتابعة عملية إرسال الطاقة إلى نقاط

استقبالها أنه هناك مشكلة في الاتصال بالبواعث؛ للتأكد من أنها مستمرة في إرسال موجات الطاقة.. الآن لا يمكننا الاتصال ببواعث الطاقة، ولقد توقفت عن العمل لسبب مجهول.. نريد أن يتاح لنا الاتصال بهذا الجزء؛ كي نتأكد ما إذا كان به مشكلة تستدعي إرسال مهندسينا لإصلاحها.. ولكن لا يمكننا إرسال أحد قبل أن نتأكد من أن البواعث لا تعمل كما (يجب).

لقد فهمت.. لا يمكنهم في الأساس أن يتصلوا بالجزء المسؤول عن إرسال الطاقة إلى نقاط تجميعها فوق الأرض.. هذه هي مشكلتنا إتمام الاتصال.. مجددًا الحرمان من النوم يجعلني أفقد تركيزي>>.

أومأت برأسي إيجابًا وأنا أرد:

"حسنًا يبدو أنني لم أنتبه جيدًا عند قراءة تقرير العطل.. معذرة.. لم أخلد إلى النوم لفترة كافية".

>>في الحقيقة أنا لم أنم.. والشيء الغريب حقًا هو أنني لا أزال مستيقظًا لمثل هذه الساعة.. ثم لحظة واحدة هذا الذي يحدث الآن لا يمكن أن يحدث.. هذه الشبكة مصممة لكيلا يحدث داخلها مثل هذه الأعطال!.. لقد تم تزويدها بعدة أنظمة آلية لتشخيص وإصلاح للأعطال، ولو وقعت أي مشكلة في نظام التشغيل؛ فهناك ثلاث شبكات احتياطية كاملة مزودة بأقراص صلبة ذاتية الإقلاع، مثبت عليها نظام التشغيل بأكمله إن فشل أحد أجهزة النظام الرئيسية في الاستمرار في العمل؛ فإنه يتم إرسال تقرير بتلفه ويقوم نظام الإصلاح بشكل تلقائي بإخراج الجهاز أو الأجهزة التي تحتوى على المشكلة، وغالبًا ما تكون هذه الأعطال أعطال خاصة بالعمر الافتراضي لأحد قطع الأجهزة، فقد تكون تلفت بشكل طبيعي؛ لأنها قضت دورة حياتها كاملة.. ولكن نحن نتحدث عن أجهزة من المفترض أن أعمارها الافتراضية تفوق الخمسين عامًا.... ولقد قامت شركتنا والشركة الأم المالكة للمشروع بعمل عملية صيانة دورية واستبدال كامل للأجهزة منذ سبع سنوات.. هذا يعني أن الأجهزة الموجودة هناك لا تزال جديدة بالفعل.. لذلك لا يمكن أن يحدث بها عطل مثل هذا.. ليس من المفترض أن يحدث هذا....<<.

قاطع أفكارى المدير بندائه:

"(سليم).. هل ما زلت معنا؟".

نظرت إليه بخواء.. أحياناً يكون الانتقال من التفكير للتداول مع انعدام النوم يكون صعباً بعض الشيء:

"بالطبع .. فقط كنت أفكر في كيف حدث شيئاً مثل هذا..".

نظر إلى (عطاء) بتشكك فتبادلت النظرات بينه وبين المدير، وأنا أتساءل:

"إن .. ما الذي سوف نفعله في مثل هذا الموقف؟".

نظر الاثنان إليّ دون أن يفكر أحدهما في أن يجيب.. يبدو أنني أن

النوط بإجابة مثل هذا السؤال

ولكن (عطاء) قرر المبادرة بالإجابة:

"يمكننا أن نراجع خطوات نظام التشغيل؛ لنري ما إذا كان هناك خطأ ما وقع أثناء تسلسل أوامر التشغيل.. ربما هذا سيفيد في الوصول إلى سبب المشكلة؛ وبالتالي يساعدنا على اتخاذ القرار لحلها".

مطيت شفتي لأفكر فيما قال؛ وبدا لي أن كلامه ليس ذا معنى.. يبدو أنه هو الذي لم يقرأ التقرير جيداً:

"هل قرأت أنت التقرير جيداً؟.. مشكلة انقطاع الاتصال لا يحدثها خلل في نظام التشغيل المزود به المكان؛ لأن أنظمة التشغيل التي قامت الشركة بكتابتها مزودة بآليات إعادة التشغيل بالفعل، ولدينا شبكات احتياطية يمكن وبكل بساطة وفي غضون دقائق الانتقال بشكل آلي من شبكة إلى أخرى، في أثناء نومنا.. ولن يتأثر شيء، إنما ما يوجد أمامنا

هنا شيء مختلف.. انقطاع الاتصال ربما يعني عدة احتمالات خارج المؤلف".

ثم نظرت إلى المدير لأسأله:

"هل وردتنا أية أنباء عن وقوع أية حوادث في الفضاء في الفترة الأخيرة؟.. أو هل رصدنا اصطدام أية أجسام فضائية بالقمر في خلال الأيام القليلة الماضية؟".

هز المدير رأسه نفيًا... فطرق تسأول آخر باب تفكيري:

"لقد قلت أنك طلبت منهم التصاريح بالدخول إلى الشبكة عبر منفذهم؛ لأنه بالطبع لا يوجد منفذ لجميع أجزاء الشبكة سواه.. ولكن لم فعلت هذا؟".

عاد المدير ليبتسم ونهض أخيرًا مع صدور أصوات غريبة لمفاصل المقعد، وهي تحاول أن تعود إلى أماكنها بعد أن انسحقت وأخذ يتجول في الغرفة:

"أردت أن أثبت لهم أن الشبكة مؤمنة بالكامل.. حتى نحن لا يمكننا اختراقها أو العبور إليها إلا عبرهم.. وأيضًا أنت تعلم جيدًا أنه كل أربع وعشرين ساعة تمر علينا والشبكة لا تعمل لأي سبب يقع داخل نطاق مسؤوليتنا سوف يكلفنا مبالغ ضخمة.. لذلك فلقد أسرعنا هذه المرة بمحاولة أن أمدكم بكل الأدوات بين يديكم في الوقت المناسب؛ حتى لا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً".

"لم يكن عليك أن تفعل أي شيء قبل أن تستشيرنا أولاً".

هكذا انطلق الرد من فمي في صرامة...

تساءل المدير في جدية وهو يقترب مني:

"ماذا تقصد؟".

نظرت إليه في تحدٍ واضح:

"لقد بدأت تتخذ قرارات المفترض أنها من اختصاص فريق الصيانة، الذي سيكون في هذه الحالة أنا و(عطاء) فما الذي سوف نفعله الآن؟.. هل نتقاسم القرارات كل منا كما يحب نحن وأنت؟.. أم بدلاً من ذلك نترك لنا هذه المهمة، ولا يتدخل أحدنا في عمل الآخر ما رأيك؟".

>>عليه أن يقرر الآن أن يتوقف عن تلك العادة السخيفة، التي دائماً يمارسها لينسب الفضل في النهاية كله إليه، وإلى ذكائه وفطنته وهو يفتقر إلى كليهما في مثل هذه المواقف<<.

بدت على ملامح الرجل أمارات التردد والخوف، وهو يحك ذقنه ليفكر فيما سوف يفعله، وأخذ يسير جيئة وذهاباً في أرجاء الغرفة، التي تحتل ما يقرب من ربع الطابق، و تم تصميم أثاثها مثل المكاتب القديمة، التي تحتوى على قطع أثاث خشبية في كل أرجاء الغرفة، المقعد والمكتب والنوافذ والمكتبة الضخمة كل هذه الأشياء تم تصميمها من أخشاب عالية الجودة، مطلية باللون البني بدرجة تماثل لون حبيبات القهوة المتوسطة النضج.

"حسنًا.. أنا أثق بك.. وسنفعلها بطريقتك".

نظرت إليه لأتأمل ملامحه للتأكد من جدية ما يقوله..

"سوف نذهب الآن .. هيا بنا يا (سليم)".

نهض (عطاء) من مقعده وهو يربت بيده على كتفي الأيسر.. ظللت جالساً لثواني ثم نهضت أخيراً لاتجه إلى مكتبي...

>>الآن يجب علينا أن نفحص تاريخ عمل نظام التشغيل؛ لنحدد ما الذي حدث وقت انقطاع الاتصال، وأتمنى أن تكون المشكلة فعلاً ناتجة عن تعطل أحد أنظمة الصيانة الآلية.. يمكننا آنذاك أن نحل المشكلة من هنا.. وإن كان شيئاً آخر مثل خلل في نظام التشغيل نفسه.. وهذا ما أتوقعه.. سيتحتم علي أحداً أن يذهب في كبسولة فضائية إلى هناك؛ ليقوم بشكل يدوي بمعالجة الأضرار التي حدثت.. هل تتخيل هذا؟! بعد كل هذا التقدم اللعين الذي وصلنا إليه ويصر أحد المسؤولين الأغبياء أن يصمم شبكة تحكم في بقعة خارج الكوكب من الأساس.. ثم يصر على ألا يتم إضافة أية أبواب خلفية أو حتى مخارج تقليدية للتحكم في أجهزتها عن بعد.. وذلك بحجة تأمينها ضد أي مخترق، يمكنه أن يقوم بالعبث بنظام تشغيلنا، وبالتالي يمكن أن يبتزنا بعضهم؛ ويؤدي إلى خسارتنا الكثير من الأموال.. نحن بالفعل نتكبد مبالغاً طائلةً من الأموال من أجل تلك الرحلات الفضائية.. أنا لا أستهين بالطبع بقدرات المخترقين المتواجدين حالياً.. لأنى ببساطة أحدهم، وأعلم يقيناً ما هي قدراتهم، وإلى أية حدود مرعبة يمكن أن تصل تلك القدرات.... ولكن كيف تصد هجوماً زاحقاً بجدار من الصلب؛ ل تمنع قوات العدو وقواتك من دخول مدينتك؟.. الأمر يبدو غريباً أكثر منه فعلاً<<.

دارت تلك الأفكار في رأسي، وأنا متجه إلى مكتبي برفقة(عطاء).. وما أن وصلنا إلى هناك حتى جلس أمام مكتبه في حماس؛ وقام بفتح حاسوبه المكتبي، وهو يقول وقد تملك الحماس من نبرة صوته:

"سأحضر التقرير الخاص بآخر جلسة مستقرة كان يمر بها نظام التشغيل قبل أن يتعطل".

أومأت إليه بالموافقة؛ وضغطت زر تشغيل الحاسوب الخاص بي، وأنا أسند رأسي على يدي كي أظل مستيقظاً، وأقاوم شبح النوم الذي يحاصرني بشكل تدريجي.

"في الغالب لن نصل إلى شيء".

هكذا علقت بعبارة واهنة أثارت استغراب(عطاء) وهو ينظر إلي متسائلاً:

"ما الذي يجعلك متأكداً هكذا؟".

"إنه مجرد إحساس إلى الآن".

>>بالطبع أنا أعلم أننا لن نصل إلى شيء، لم أضيع من عمري سنوات في العمل في كتابة ومراجعة أوامر تشغيل تلك الشبكة؛ لكي لا أعلم طبيعة المشكلات من على بعد.. للأسف نحن الآن نضيع وقتنا ويجب أن نذهب إلى هناك>>.

ظلت أحدق في شاشة الحاسوب، و فقدت القدرة تمامًا على أن أفعل أي شيء.

"(سليم)؟! يبدو أنك مرهق من قلة النوم".

<>ومن ذا الذي يستطيع النوم في يوم كهذا>.

نظرت إليه بنثاقل رهيب فتابع هو:

"الآن الساعة الثانية صباحًا.. يمكنني أن أتولي مكانك العمل إلى أن تحصل على كفايتك من النوم.. ولكن عليك فعلًا بالأ تفكر في أي شيء.. أو أي شخص ييقظك مستيقظًا".

عاد مجددًا يحوم حول سيرتها فتجاهلته تمامًا وسألته:

"أين سأنام؟.. لا يمكن أن أعود إلى منزلي الآن بالتأكد، ولا أستطيع النوم هنا".

توقف (عطاء) عن القراءة من شاشة الحاسوب؛ و بدا الموضوع له مثيرًا للاستياء؛ فقام بإخراج مفاتيح سيارته وهو يقذفها إلي قائلاً:

"خذ هذه مفاتيح سيارتي.. يمكنك النوم بالمقعد الخلفي، ولكن تأكد من خلع حذائك أولاً قبل النوم، وإذا شعرت ببرودة الجو يمكنك بالطبع أن تقوم بتشغيل المدفأة.. أريدك بكامل طاقتك هنا في الساعة الثامنة.. هيا.. اذهب الآن ولا تضيع الوقت".

التقطت المفاتيح منه دون أن أناقشه وذهبت إلى المصعد مسرعًا؛ لكي أهبط إلى مكان انتظار السيارات، وما إن وصلت إلى هناك؛ حتى صرت أسير بخطوات مترنحة مثل السكران.. عثرت على السيارة

وسط هذا الفراغ في ساحة الانتظار، فلم يكن يوجد هناك سوى عدد قليل جداً من السيارات في مثل هذه الساعة ..

فتحت الباب الخلفي وقمت بخلع حذائي؛ لأضعه في أرضية السيارة، وألقيت بجسدي فوق المقعد الخلفي وأغلت الباب الذي دخلت عبره...

وفقدت الوعي.....

>>كيف يمكن أن تسقط اثنتا وعشرون طائرة هكذا بشكل مفاجئ دون أن يستطيع أحد إيقاف مثل هذه الكارثة... لا ريب أن هناك لغزاً وراء تلك الحادثة.. ولكن لماذا أفكر في مثل هذا الأمر؟ لا يوجد سبب بعينه.. ولكن هذا الأمر شاذ غير مألوف وغير منطقي، ولا يمكن أن يحدث مصادفة.. والأمر غير المألوفة.. دائماً ما تثير داخلي مزيجاً من الضيق والفضول في آن واحد...

كانت هذه آخر أفكار مرت برأسي قبل أن يتغلب علي النوم تماماً.....

الفصل الرابع

>>الساعة الآن السابعة والنصف صباحًا، يجب علي إيقاظ أمي الآن
قبل الذهاب إلى العمل<<

"(نعماء)؟! هل ما زلتِ هنا"

تصاعد هتافها بشكل مفاجئ.. لم أجد حتى الوقت لأضع قح الشاي في مكانه؛ فقمّت بالرد وأنا في مكاني.

"نعم يا أمي.. أنا لا زلت هنا.. لقد كنت سآتي حالاً لإيقاظك، ولكنكِ
بادرتي بالاستيقاظ.. صباح الخير..كيف حالك اليوم؟"

أنت والدتي من باب غرفتها أخيراً وهي تتثاءب قائلة:

"أنا بخير..حمدًا لله.. هل تناولتِ فطورك؟ أم ستذهبين كعادتك دون
فطور".

أشرت إلى المائدة؛ لتجد أمامها وجبة الإفطار معدة بالفعل.. بالإضافة
إلى أقذاح الشاي، وما أن رأت كل شيء تم إعداده حتى قالت:

"حسنًا.. سأذهب لأغتسل، وأتي لأشرب الشاي معكِ..".

نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط، وأنا أقول لها قلقة من التأخير:

"ولكن يا أمي سوف أتأخر على العمل إذا انتظرت".

أشارت إلي بيدها كما لو كانت تهدئني:

"لن تذهبي للعمل اليوم .. لا يوجد طيران.. بعد الذي حدث فقد قاموا بإيقاف جميع الرحلات".

"ماذا تقولين؟! ما الذي حدث؟".

"ألم تشاهدي التلفاز؟.. عليك أن تتابعيه، وانتظريني إلى أن أنتهي.. لدي موضوع أريد الحديث معك بشأنه".

قالتها وهي توليني ظهرها لتذهب لتغتسل فقلت لها ممازحة:

"هذا الموضوع الذي تريدان محادثتي بشأنه أكبر دافع لي لكي أفر إلى العمل الآن".

هتفت:

"لا تذهبي إلى أي مكان .. ليس قبل أن نتحدث".

>>لم أكن أحب أن أغضبها .. يكفي كل ما عانتها.. فلا أحب أن أزيد من معاناتها وأضيف عليها مزيدًا من الدلال لن تتحملة... لعلها لديها موضوع ما جديد هذه المرة تريد أن تتحدث بشأنه.. لذا سوف أنتظر... ولكن لحظة واحدة ما الذي حدث بالأمس؟ ..لأريب في أنها ظلت مستيقظة إلى وقت متأخر بالأمس..

الفراغ الذي تعيشه بعد طلاقها من والدي يقتلها ببطء.. كما لو أن الطلاق قد قضي عليها تمامًا قام بتحويلها إلى مجرد امرأة، لا تريد من الدنيا سوى أن تحيا كبقية الكائنات الحية، هكذا.. دون أي هدف.. فهي لا تفعل شيئاً سوى الجلوس أمام التلفاز.. بعضاً من التصفح للمواقع

الإخبارية على شبكة الإنترنت، الطهي، النوم .. هذا لا يمكن أن يكون نمط حياة صحي أبداً.... لن تصمد طويلاً بمثل هذا الأسلوب.. لا بد لها من تغيير أسلوب معيشتها.. وما الذي تريد الحديث معي بشأنه؟.. جدال جديداً! ..

نحن لا نفعل أي شيء في حياتنا سوى أننا نتجادل... ليتهما تتوقف ولو ليوم واحد على معاملتي كطفلة.. كيف أستطيع إقناعها بأن ابنتها التي أصبحت في الثامنة والعشرين من عمرها يمكنها الاعتماد على نفسها بالفعل، ولا تحتاج لأبيها بعد الآن... لن أنسي له ما فعله بنا أبداً.. أتمنى ألا يكون اتصل بها ليطمئن علينا.. هل يوجد واقع ساخر أكبر من هذا .. بعد كل الذي فعله بأمي يريد أن يطمئن عليها، وبالأخص يريد الاطمئنان أنني بخير.. كم أريد أن أشكرك يا والدي على شهادتك المفرطة والمفتعلة.. أرجوك احتفظ بها من أجل نفسك.. لا تحاول أن ترهق نفسك في تمثيل دور الأب المتفهم الحنون .. لقد نضجت الآن يا أبي ولن تنظلي عليّ خدعتك بعد اليوم.. ولكن لحظة ما الذي حدث بالأمس جعل أمي تتأكد من أنه لا عمل اليوم؟>>

بحثت بسرعة على جهاز التحكم الخاص بالتلفاز؛ لأجده فوق مسند الأريكة فالتقطته بسرعة، وأضغط زر التشغيل ليضيء التلفاز.. ويظل لمدة ما يقرب من نصف دقيقة كاملة؛ ليبدأ عرض القناة التي تركته أمي عليه قبيل نومها.

قمت بتغيير القناة إلى أن وصلت إلى قناة الأخبار لأجد الآتي:

#عاجل#

#هذا و استطاع مسؤولينا بوزارة الطيران المدني التواصل مع أحد المسؤولين في الدائرة الوطنية لعلم المحيطات، والظواهر الجوية بالولايات المتحدة، الذي أفاد بأنه من المبكر جدًا الإعلان عن التوصل إلى نتائج التحقيقات؛ لمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى وقوع مثل ذلك الحادث المؤسف، الذي وقع في الساعات الأولى من اليوم، ومع لجوء السلطات إلى إغلاق المجال الجوي لجميع البلاد على مستوى العالم؛ توقفت تمامًا حركة الطيران العالمية، وتوقفت أيضًا جميع الرحلات الفضائية سواء من أو إلى الأرض.. الأمر الذي بالطبع نتج عنه اجتماع عدد ليس بالقليل من العلماء وخبراء المناخ في عدة مناطق حول العالم؛ لبحث أسباب سقوط كل هذا العدد من الطائرات في نفس التوقيت.. وإلى الآن لم يخرج أحد بإجابات أكيدة سوي بعض التكهنات من بعض خبراء الطقس، بأن ما حدث ربما يكون نتيجة لعاصفة شمسية (*) قوية هبت وأصابت أجهزة الطائرات بالتلف؛ وبالتالي بدأت بالتساقط واحدة

تلو الأخرى، إلى أن مثل هذه الأسباب إلى الآن لا تتعدى إلا أن تكون سوى تكهنات في الوقت الحالي

(*)العاصفة الشمسية: هي هالة غازية عالية التوصيلية الكهربائية تسمى بلازما، وهي تهب بشكل مستمر من سطح الشمس إلى كل الاتجاهات بسرعة تقارب مليون ميل في الساعة، عندما تضرب عاصفة سريعة وكثيفة وربما مضطربة المجال المغناطيسي للأرض؛ يمكنها أن تولد عواصف وإشعاعات مغناطيسية قادرة على تعطيل الأقمار الصناعية، شبكات الكهرباء، وأنظمة الاتصالات، وربما تؤدي إلى تعطل أجهزة ومحركات الطائرات، التي تحلق في المنطقة التي تضربها العاصفة في ذلك الوقت، ولذلك يعمل المجال المغناطيسي المحيط بالأرض عمل الدرع الواقية لها من تلك العواصف المغناطيسية

..إلى أن تصلنا أخبار جديدة كانت معكم.....

"هل علموا ما السبب وراء ما حدث؟".

قطعت أُمي تركيزي مع التلفاز، الذي من فرط اهتمامي به لم أنتبه إليها، عندما عادت وجلست على المائدة وبدأت بالفعل في احتساء الشاي.

"كلا.. لم يعرفوا بعد".

التفت إليها و تناسيت ما قيل عن الحادثة لأسألها:

"كنتِ تريدين التحدث معي؟".

تبدلت ملامحها وأعادت القدح مكانه فوق المائدة، وهي تنظر إليّ مباشرةً و تبدلت نظرة عينيها لتحمل لمحة بسيطة من الأسى وهي تندفع قائلة:

"لقد اتصل شقيقك بالأمس".

<<ها نحن سوف نبدأ رحلة الشجار مجددًا>>.

سألت بصبر:

"حسنًا.. وماذا في ذلك؟".

مطت أُمي شفتيها كأنها كانت تحثني على توقع ما تريده هي:

"لقد طلبت منه أن يتحدث معك لكي تحاولوا أن تحلوا الخلاف الذي بينكم".

قاومت انفلات أعصابي وأنا أركز بيدي على المائدة:

"ما الذي تعتقد أنه سوف يحدث الآن؟".

هنا لم تحتمل هي وبدأت دموعها تراود عيونها للسماح لها بالخروج وهي تحاول إقناعي:

"يا بنيتي هذا شقيقك الوحيد.. كيف تقاطعيه بمثل هذه الطريقة.. الأشفاء دوماً يتشاجرون لكنهم لا يقاطعون بعض أبداً".

"هل نسيت ما الذي فعله بخطيبته؟! هي أحضرتني خصيصة كي أشهد على الخلاف الذي بينهما.. لقد قام (إبراهيم) بصفعها! .. كلما ذكرت اسمي أمامي؛ تذكرت صفعته لها كما لو أنني من تلقيتها.. (إبراهيم) مثل أبي ليسا رجلين ولا يمكنني أن أراهما كذلك.. وبالطبع أنت لم تنس وقوفه في صف والدي عند طلاقكما.. هذا ليس أخي ولا يشرفني أن يكون مثله أخاً لي.. رجاءً لا تحاولي التدخل للصلح بيننا.. ليس قبل أن يعتذر (لراجية) وتقبل منه الاعتذار".

تبدلت نبرتها عندما علمت أنها بمثل هذه الاستراتيجية لن تفز؛ فظهر الغضب في صوتها:

"أتساندين الغريبة عنا، وتقف في صفها ضد شقيقك؟".

>>كيف أحاول أن أجعلها تفهم ما أحاول فعله، إن لم يشعر كل من أبي وأخي بمدى تجاوزهما تجاهنا.. سيستمر هذا القهر.. وسنكون كمن ارتضى العيش وسط هذه الوضاعة، التي يعاملوننا بها فقط لمجرد أننا نساء!.. أي حصانة تلك التي منحها الرجل لنفسه في أن يعامل بها

المرأة، بما لا يمكن أن يناسبها كإنسان.. بما كان هو نفسه سيرفضه وسيقاومه إذا ما تبادلنا الأدوار، لماذا كل هذا القهر وكل هذه الامتيازات المجحفة وكل هذا القمع.. الأمر بسيط.. لأنه رجل.. ولأنها امرأة! ما الذي يمكن أن يكون سبباً سوى ذلك؟>>.

"(نعماء)؟!.. لماذا لا تردين؟".

اقتربت منها وأنا أربت على كتفها:

"يا أمي .. ما أفعله الآن مع (راجية) هو نفسه الذي فعلته معك عند طلاقك من والدي.. ليس لأنك امرأة إنه يجب عليك أن تقبلي بأن ينتقص أي رجل من قدرك.. أهم ما يجب أن تحصل عليه المرأة من الرجل هو الاحترام.. أن يعاملها كإنسانة لها وجود.. وليس لمجرد أنها مختلفة عنه في الصفات والنوع.. يعطيه ذلك الاختلاف الضوء الأخضر ليمتلك زوجته.. نحن لسنا عبيدًا.. نحن لسنا درجة رديئة من الإنسان.. نحن نصف الإنسانية.. كيف نقبل أن يعاملنا النصف الآخر بمثل هذه الطريقة؟.. كيف يمكن أن أرى الغريبة كما وصفتيها تتأذى فقط لأنها امرأة! .. ألسنتُ أنا أيضًا امرأة؟.. ألسنتِ أنتِ أيضًا امرأة؟.. هل نواري طبيعتنا لإرضائهم؟.. ما فعله أبي و(إبراهيم) ما هو إلا جريمة في حقنا.. جريمة سنشارك نحن فيها بصمتنا وسلبيتنا واستسلامنا.

ما تظنه الآن (راجية) ليس كون (إبراهيم) شخصًا سيئًا بقدر ما أنها ستتيقن من أنه رجل غير سوي، نشأ وتربي في بيت وسط أشخاص غير أسوياء أيضًا.. لا يحترم أي منهم النساء".

عادت تسألني بنبرة غالبتها المعاتبة:

"هل يكون كثيرًا أن أراكِ وأخاكِ تودان بعضكما؟ .. هل هذا الطلب ثقيل عليكِ لهذه الدرجة؟".

"إن ما أفعله ليس إلا نتيجة لسلوكه معنا.. إن تبدل هذا السلوك وتبدلت أفعاله.. ما الذي سيمنعني من التواصل معه.. إنه أولاً وأخيراً أخي.. ولكن ليس بمثل هذا الأسلوب الذي هو عليه".

تساءلت:

"حسنًا ماذا أقول له إذا ما تحدثت معي مجددًا؟".

"كم مرة قد اتصل بكِ؟".

أخذت تفكر للحظات وهي تشير بيديها:

"ثلاث مرات تقريبًا".

قلت وأنا ابتسم بثقة:

"إنه يريد العودة إلى (راجية)".

>لقد بدأ الحنين يسيطر على رأسه العنيدة في النهاية كما توقعت، ويريد الآن بعد كل ما فعله بها وعلى مرأي من الناس أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه.. ويريد الآن أن يتصالح معي كمحاولة مبدئية؛ لكي يجعلني أنا رسول السلام والحب الأبدي بينه وبينها.. حتى الخطأ يأبى أن يعترف به، ويريد وساطة للتغطية على خطئه.. إنه واهم إن تصور أنني سوف أفعل ذلك<.

"علينا أولاً المحاولة معكما أنتما أولاً؛ كي تعودان شقيقتين قبل أن نحاول مد جسور التواصل لمن هم أبعد من ذلك".

أشرت برأسي يمنةً ويسرةً بعلامة النفي:

"ما تطلبينه يا أمي ليس بمثل هذه البساطة التي تتخيلونها.. عليه أن يتغير، وأن يكف عن أن يتصرف كالطفل الأخرق.. أنت تعلمين هذا أكثر مني.. إنه ابنك الأكبر".

بدا عليها أنها لم تجد فائدة من الحديث بعد إغلاقي لكل طرق التفاوض.

>>عليها أن تكف عن فعل هذا.. أنا لم أعد طفلة يمكن استرضائها ببضعة كلمات، ووعد بأنه كل شيء سوف يتغير ومن الآن فصاعداً.. هذا هو أسلوبها دائماً.. كم أتمنى منها أن تفهمني.. أن تفهم لم أفعل ذلك أن أحاول أن أحمل على عاتقي عناء إصلاح كل ما يحدث حولنا، من جنس الرجال في أسرتنا.. هذا القمع الذكوري، الذي اختفى منذ زمن طويل عاد مجدداً وبقوة.. إن لم نستطع أن نصارع من أجل إيقافه أو حتى إنكار الاعتراف بأضراره.. أقل شيء ألا نتكيف معه على أن هذا هو الأسلوب الطبيعي للحياة <<

"لقد تأخرت... يجب أن أذهب إلى عملي الآن".

تساءلت بانزعاج واضح:

"في ظل هذه الظروف؟!".

ابتسمت لأنني بالفعل لا أملك من أمري شيء:

"أماه.. أنت تتذكرين أنني أعمل في الفضاء.. وليس في مجال الطيران المدني.. ما حدث حتى وإن أوقفوا رحلاتنا لفترة.. فلن يمكن إيقافها لمدة طويلة.. ويجب علينا إعادة تنظيمها بما يتناسب مع أهميتها وهذا للأسف يعني.. أنه حتى في مثل هذه الظروف.. يجب علينا أيضاً أن نعمل".

تابعت بنفس النبرة القلقة:

"أيعني هذا أنهم يمكنهم أن يطلبوا منك السفر على الرغم من كل ما حدث؟".

أدهشني سؤالها.. لأنني سبق لي الذهاب إلى الفضاء بالفعل عدة مرات، كجزء أساسي في مهنتي كرائدة فضاء وطيار ثاني:

"وماذا في هذا؟".

هنا تلاشى ما تبقى من هدوء أعصابها لتتساءل بعصبية:

"لا يمكن أن تسافري في مثل هذه الظروف".

ربت على كتفها، وأنا أحاول أن أوازن ما بين أن أطمئنها وأن أذهب:

"يا أمي.. أنت تعلمين كم هو معقد عملنا.. وكم هي دقيقة الاحتياطات الأمنية وإجراءات السلامة، التي يتم إجراؤها قبل أن نتحرك من هنا.. إن حدث وطلبوا مني أن أذهب في رحلة فضائية.. سيكونون متأكدين تماماً من أنه لا توجد خطورة علي حياة الرواد.. وتذكرني أنني أعمل هناك منذ ما يقرب من ثلاث سنوات الآن.. ولم أراكِ بمثل هذا الرعب عندما تعلمين أنني ذاهبة إلى الفضاء".

"فقط ..كوني حذرة".

قالتها أمي باقتضاب لم أفهم أسبابه .. قَبَّلَتْهَا على وجنتها وسارعت بالمغادرة.

نظرت إلى الساعة في هاتفي لأجدها الثامنة وخمس وعشرين دقيقة.

لقد تأخرت .. يجب علي أن أسرع في القيادة ..

سارعت راكضة إلى المكان المخصص لانتظار السيارات؛ لأجد أحدهم يجلس على مقدمة سيارتي .. اللعنة ليس هذا وقت .. من هذا ولماذا يجلس على سيارتي أنا دون السيارات الأخرى؟

إنه(إبراهيم)!

ما الذي يفعله هنا والآن في مثل هذا التوقيت؟!.

كنت قد اقتربت من السيارة، وهذا ما ساعدني على تبين ملامحه .. وعلى اشتعال الغضب في داخلي مجدداً.

صرخت بغضب هادر:

"ما الذي أتى بك إلى هنا .. ماذا تريد؟".

اعتدل بعدما أخافته اللهجة الغاضبة كما علمت أنها ستفعل.

بصوت خفيض وبابتسامة لزجة بغیضة أجاب:

"لقد أتيت لكي ألقى التحية عليك وعلى أمي".

كنت وقتها وصلت إلى السيارة بالفعل؛ فقامت بفتح باب السائق، واستقرت خلف عجلة القيادة وأنا ألقى بحقيتي على المقعد الجانبي، وأغلق الباب في عنف؛ لكي أفرغ شحنة غضب تجددت داخلي من رؤيته أمامي.

>>بيدو أنكما لا تزالان تمارسان تلك المؤامرات السخيفة أنت وأمي.. تمهد هي لي الحديث في البداية بأنك تريد محادثتي.. لأجذك أمام سيارتي عند مغادرتي.. كم أتمنى أن أسحقك بسيارتي على فعلتك.. <<
"فقط؟".

سألته لكي يأتي بما لديه مباشرة:

"لقد أخبرتك لقد أتيت لألقي التحية عليكما"

نظرت إليه في اشمزاز وتحفز غير عاديين، وأنا أضغط زر بدء المحرك:

"(إبراهيم).. أنا لست بغبية.. أنا أعلم بمجرد النظر إليك ما الذي تريده.. لذا.. سأسألك ويجب عليك الإجابة بسرعة؛ لأنني تأخرت على عملي.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

اندفع قائلاً:

"أريدك أن تتحدثي مع (راجية)".

قالها واقترب من نافذتي وهو ينحني ووجهه يحمل علامات الرجاء..

"ولماذا أفعل ذلك؟.. أنت صفعتها أمام الجميع آخر مرة كنت معها".

بدأ بالتلعثم:

"لم أكن وقتها في أفضل حالاتي.. وأصرت هي على استفزازي".

"حسنًا.. متى ستعتذر لها؟".

تساءل بعصبية وباستنكار كعادته:

"ولماذا أفعل ذلك.. لقد قلت لك للتو لقد أثارت أعصابي وقتها".

"إذن.. فأنت تريد مني أن أتحدث معها؛ لأخبرها أنك الآن قد تماكنت أعصابك.. ويمكنكما متابعة حياتكما كأبي اثنين مخطوبين بشكل طبيعي أليس كذلك؟".

ابتسم وهو يومئ بالإيجاب:

"نعم.. كم أود أن .."

قمت بتغيير وضع عصا تغيير السرعات، وأنا أعود بالسيارة إلى الخلف بشكل مفاجئ، وقمت بإعادة العصا؛ لكي تسمح لي بأن أسير إلى الأمام، وأدرت عجلة القيادة بسرعة؛ لكي تعادل السيارة لتكون في وضع الانطلاق وصحت فيه بغضب مستعر:

"(إبراهيم)... (راجية) لن تعود إليك.. وسوف أحرص على ذلك بنفسني".

"ما الذي حدث؟".

"أغرب عن وجهي.. لا أريد أن أراك ثانية".

كان تلك صيحتي الأخيرة، وأنا أضغط دواسة الانطلاق إلى الأمام؛ لتطلق السيارة من مكانها كالصاروخ مستغلة أنها تمتلك عجلة تسارع تصل من الصفر إلى المائة كيلومتر في خلال سبع ثوان

نظرت إلى الساعة مجدداً.. إنها الثامنة وخمس وأربعون دقيقة.

>>اللعة.. هذا ما كان ينقصني؛ لكي يختتم صباحي بمثل هذا الوغد.. كيف يمكن له أن يكون هكذا؟ إنه فاق أن يكون متبلد الإحساس.. لقد تجاوز ذلك.. إنه ربما فاق الأحجار في قسوتها.. اللعة كيف يمكن أن يكون مثل هؤلاء ينتمون إلى نفس فصيلتنا؟.. هؤلاء بشر؟!.. حقاً؟!.. أنت وأبي يا (إبراهيم) أكثر اثنين رأيتهما في حياتي لديهما معني وبعد آخر للقسوة لم أره من قبل.. وربما لن أراه في أحد.. أنتما سادة الأوغاد بحق.. أبي في بداية الأمر يخون أمي ويحاول تبرير أفعاله وعندما أواجهه يتهرب، بدلاً من أن يتحمل نتيجة أفعاله.. يتحول لكي يصب لعناته على أمي.. التي لم تفعل له أي شيء، لم تقصر في حقه.. ولولا إصراري على أن انفصلا ونجاحي في إبعادها عنه؛ لربما كان قتلها بعنفه وقسوته هذه.. وها أنت تستكمل مسيرة أبيك.. وتصفع خطيبتك.. مجرد اختلاف في وجهات النظر.. أتعلم يا (إبراهيم)؟!.. خير لمن هم مثلكما ألا ينجبان أبداً.. لا بد من وأد صفاتكما بأي شكل.. ولا يمكن المخاطرة بتمرير مثل تلك الصفات لأطفال.. لن يكون وقتها ذنبهم سوى أنك والدهم وهو جدهم.. ما ذنب أن يتحمل الناس تبعات أشخاص لم يحسنوا تربية أبنائهم؟!

ألقيت نظرة على عداد السرعة؛ لأجد قراءته مائة وخمسة وخمسين كيلومترًا في الساعة.. أسير كالسلحفاة ولكي أقطع أكثر من ثلاثمائة كيلومترًا بقليل؛ سأحتاج إلى ما يفوق الساعتين بمثل هذه السرعة تقريبًا.. من السيء حقًا على من هم يقودون مركبات الفضاء أن يقودوا سيارات فوق سطح الأرض .. الأمر ممل بالفعل.. ولا يمكننا التعود عليه.

سأطلب إذن تجاوز السرعة من المرور لظروف العمل؛ لكي أختصر الوقت.. لا بد أن أكون هناك في تمام التاسعة والنصف.

قمت بتثبيت عجلة القيادة، وأنا التقط هاتفي المحمول، وأقوم بالضغط على عدة أزرار لأدخل على أحد الخدمات الإلكترونية، التي تقدمها الإدارة المسؤولة عن تنظيم وإدارة المرور.. يمكنك تقديم طلب بالسماح لك بتجاوز السرعة لظروف العمل، أو لظروف الطوارئ، يفحصون لك الخط الخاص بالطوارئ الخاص لمرور مركبات الإسعاف أو الشرطة، ويتأكدون من أنها ليست بها أية سيارات في الوقت الحالي، ويتابعون معك بشكل حصري طوال الطريق، حتى إن كانت هناك سيارات ستلتقي بها في طريقك فهم يرسلون إلي سيارتك إنذارًا بأن تتزامن سرعتها بشكل تلقائي مع سرعة سيارة الطوارئ، وبعد أن يتأكدوا من خلوها في المنطقة التي طلبت بها الخدمة يسمحون لك باستخدام هذا الخط بأي سرعة تشاء مع دفع مقابل مادي بالطبع إزاء تلك الخدمة.

- المسافة = ٣١٥ كيلومتر .. الوجهة: القاعدة الشرقية للخدمات الفضائية – الصحراء الشرقية ..

السرعة المطلوبة = ٣٢٠ كيلومتر

>>أقصى سرعة للسيارة!!..لم لا أريد الهرب من هذا الكوكب من الأساس لا فقط من مجرد منزلي ومن الأشخاص المحيطين بي<<

• تمت الموافقة على طلب تجاوز السرعة – الطريق أمامك الآن مفتوح يمكنك استخدام الخط الخاص بالطوارئ.. وسوف نتابع معك إذا ما وجدت أية سيارات في طريقك سنقوم بتنبيهك قبلها ب٥٠ كيلومتر..برجاء الانتباه والقيادة بحذر.. تصحبكم السلامة..

قمت بإصدار إشارة أنني أريد الاتجاه ناحية اليمين وقمت بزيادة سرعتي تدريجيًا لأتجاوز سيارتين جانبي في خفة؛ لكي أستقر داخل خط الطوارئ، وقمت بضبط السرعة داخل السيارة على أقصى سرعة مع تثبيت عجلة القيادة.

لم أتمالك نفسي وأنا أجد دموعي تنهال على وجهي بشكل غزير دون سبب.. أو إنه القهر

القهر... مما نراه ويحيط بنا.. ومما نتمناه ويستحيل وجوده.

الفصل الخامس

>> هل بدأت عدالة السماء في التحقق.. الآن؟!.. الآن هي تشعر بأنها قد أخطأت؟!.. الآن استيقظ ضميرها وقررت أن تفعل شيئاً إزاء ما قد حدث بعد كل هذه السنوات!.. قررت العودة لتحاول إصلاح ما قد تلف.. ولكن لحظة.. هذا الذي تلف.. إنه كائن حي.. والذي تلف في داخله ليس مجرد أحد الأعضاء وسيتم زراعة عضو آخر بديل.. لقد تبلدت مشاعره.. كيف يتم إصلاح مثل هذا؟<<

"(سليم).. إنها السابعة والنصف الآن.. هيا.. يجب عليك رؤية هذا.....(سليم)!.. هيا استيقظ!".

>> أتمنى أن يكون قد حظي بوقت كافٍ لينام فيه؛ لأنه دون فترة نوم كافية سيصبح دون فائدة<<.

>> أنا مستيقظ منذ نصف ساعة كاملة.. ولحسن الحظ بكامل طاقتي.. ألم يقل (عطاء) أنه يحتاجني في الساعة الثامنة.. ما هذه الصبيانية؟!<<.

"أنا مستيقظ!".

فتحت عيناى لأرى (عطاء) واقفاً أمام الباب الخلفى للسيارة، ويتحدث عبر النافذة المفتوحة

"لا تقل لي أنك لم تتم جيداً".

تناءبت في مكمنى للحظات ثم اعتدلت مرة واحدة:

"كلا.. لقد حصلت على بعض النوم.. أنا الآن بكامل قواي العقلية.. ما الذي حدث؟".

"لقد فحصت السجل الخاص بتتابع أوامر نظام التشغيل.. وبخلاف ما كنت تقوله.. هناك شيء ليس منطقيًا.. النظام يقوم بإعادة تشغيل نفسه بشكل دوري.. ولكن أجهزة الاتصال لا يصلها أنه هناك خلل في نظام التشغيل.. فهي تتعامل مع نظام الشبكة بأكمله كما لو أنه ثابت.. بينما هو يعيد تشغيل نفسه كل عدة ثوان".

أشرت إليه لكي يبتعد لكي أهبط من السيارة، وأنا التقط حذائي وأرتديه:

"النظام يقوم بإعادة تشغيل نفسه؟!.. هذا يعني أنه لا بد لنا من الذهاب إلى هناك، والقيام بفحص الأقراص الصلبة، التي تحتوى على نظام التشغيل من هناك.. لا يمكننا فعل هذا من هنا.. ولكن لحظة...".

صمت لثوان؛ لكي أنتهي من ارتداء الحذاء، وأنا أفكر مليًا فيما يقوله:

"لماذا لم تلتقط أنظمة الإصلاح الآلية مثل هذا الخطأ؟.. أعني لدينا بالفعل خط أجهزة بديل كامل، كل ما سيحدث هو أن يقوم نظام الإصلاح بنقل عملية الإقلاع الذاتي من الأقراص الصلبة المستخدمة حاليًا إلى الأقراص الموضوعة احتياطيًا.. لماذا لم يحدث هذا؟!".

>>بالطبع أنا كنت أعلم لماذا لم يحدث.. ولكن لا مانع من القليل من البلاهة!.. من البديهي أن نظام الإصلاح الآلي متقدمًا بالقدر الكافي.. ويمتلك ذكاءً اصطناعيًا خاصًا به يمكنه من اتخاذ القرار الأمثل.. إلا أن مديرنا رفض أيضًا وجود أي معدات تحمل ذكاءً اصطناعيًا متقدمًا خوفًا

من أن يطور وعيه الخاص.. وذلك بحجة أنه لا يمكننا بعد الكوارث التي تسبب فيها سوء استخدام الذكاء الاصطناعي على مستوى العالم، تقديم رؤوسنا لمن يود اختراقنا على طبق من ذهب>>.

هزّ (عطاء) كتفيه وهو يرد:

"هذه أنظمة صيانة آلية.. لم يتم منحها خاصية اتخاذ القرار.. كل ما يمكنها الوصول إليه هي أن تجد أخطاء بأرقام معرفة ومسجلة لديها في قائمة الأخطاء.. وتقوم بمطابقة رقم الخطأ بالحل، الذي تمتلكه وتنفذه بشكل آلي دون أن تفكر للحظة".

قام (عطاء) بإغلاق سيارته، بينما أنا التقتطعت معطفي لأضعه على كتفي لنسير جنبًا إلى جنب تجاه المصعد.

>>أتمنى ألا يكون قد قضى الليل يفكر فيها بعد كل ما حدث>>.

مضت ثوان حتى وصلنا إلى بوابة المصعد المعدنية، وضغط (عطاء) زر الاستدعاء، بينما ارتديت أنا المعطف أخيرًا مع عدم احتمالي برودة الجو:

"حسنًا.. هل سيفيد تصريح المرور الذي طلبه المدير منهم بأي شيء؟".

دلفنا إلى المصعد وأنا أسرع بالضغط فوق الزر المشير إلى رقم الطابق، وأنا أنظر إلى (عطاء) منتظرًا إجابته.. ليشيح إلي برأسه نافيًا:

"لن نستفيد منه شيئًا".

>>كما توقعت.. لن نستطيع من مكاننا هنا أن نفعل أي شيء.. لابد من السفر إلى هناك<<.

"حسنًا .. متى يمكننا التحرك؟".

نظر إلي(عطاء) باستغراب لأبادلّه نفس النظرة، ولكني أبادلّه استغراباً لاستغرابه:

"ماذا؟".

"لا يمكننا فعل ذلك؟".

هنا تملكني الاستغراب بالفعل وأنا أتساءل:

"لماذا؟!".

ظل(عطاء) ناظرًا إلىّ بنظرات اختلطت بين القلق والتعجب، فلم أجد بدءًا سوى أن أسأله:

"لماذا تصر على أن ترمقني بتلك النظرات الغبية.. لم لا تتحدث مباشرة؟".

اندفع(عطاء) ليتحدث أخيرًا:

"هل نسيت ما حدث؟.. حوادث الطائرات؟!.. لقد تم إغلاق المجال الجوي".

هزرت كتفي وأنا أنظر إلى الأمام قائلاً:

"لقد منعوا الطيران.. ولم يمنعوا الرحلات الفضائية.. ثم هذه ليست نزهة.. هذا عملنا".

كان المصعد قد وصل بنا إلى الطابق الخاص بالإدارة مجددًا:

"حسنًا.. يؤسفني التسبب بإحباطك، ولكنهم منعوا أيضًا جميع الرحلات الفضائية.. علينا أن نخبر المدير أنه لا يوجد أمامنا حل سوى هذا".

خرجنا من المصعد وتوجهنا في اتجاه غرفة مكتب المدير، وأنا أسير بخطوات واسعة؛ حتى وصلت إلى باب الغرفة، وقمت بفتحه بشكل مفاجئ؛ لأجده أمامي جالسًا على مكتبه، وهو يقرأ أحد الشرائح البلاستيكية، التي وضعها ما أن رأني أمامه وهو يتساءل:

"ألم أحذرك ألا تدخل دون أن تطرق الباب قبيل دخولك؟".

لم أعر عبارته الاهتمام وأنا أخبره ما أتينا بصدد:

"نحتاج إلى أن نسافر إلى مكان القاعدة القمرية.. لذلك يمكنك البدء في طلب التصريح بالإقلاع الآن".

لم يستوعب الرجل ما قلته فاندفع مندهشًا يتساءل:

"ماذا تقول؟.. لماذا؟".

تدخل(عطاء):

"حسنًا هل تعبرني انتباهك للحظات؛ لكي أشرح لك طبيعة المشكلة؟".

هتفت معترضًا:

"الأمر لا يحتاج إلى الشرح.. ليست لدينا الأدوات أو المعدات أو البرمجيات، التي تمكننا من إدارة الأمر من أماكننا هنا.. والتصريح الذي قمت بطلبه من الشركة ولست أدري لماذا.. ما هو إلا مجرد تصريح بالدخول للمستخدم.. فعند ولوجنا من خلال هذا الحساب.. نحن أيضًا نعد ضمن نطاق المستخدم، وليس ضمن نطاق أعلى.. لأنه لا يوجد نطاق أعلى يمتلك صلاحيات الإدارة يمكننا التحكم عبره من أماكننا هنا بكافة أجزاء الشبكة.. والخلل الذي توصل إليه (عطاء) متعلق بتسلسل أوامر نظام التشغيل في بداية عمله.. فالنظام يقوم بإعادة التشغيل بشكل دوري، هذا يعني أنه دخل في حلقة مفرغة، وهذا سيستدعي أن يقوم أحدنا بالذهاب إلى هناك.. والقيام باتباع الحلول التالية.. إعادة فحص أوامر بداية التشغيل والتقاط مكان الخلل داخل كود نظام التشغيل.. إن لم يأت ذلك بنتيجة فعندئذ يقوم باستبدال أجهزة نظام التشغيل بالأجهزة الاحتياطية المتواجدة هناك.. وهذا سيتطلب منكم أن ترسلوا رحلة صيانة دورية أخرى بعد حل تلك المشكلة؛ لتقوم بوضع مجموعة جديدة من الأجهزة المستضيفة لنظام التشغيل كأجهزة احتياطية بديلة للبدائل التي سيتم الاعتماد عليها.. جميع هذه الحلول تتطلب التواجد هناك.. أية تساؤلات؟".

ظل الرجل ينظر إلى في حيرة بالغة.. إنه مدير وليس متخصصًا.. يفترض به إجادة الأمور الإدارية.. أما الأمور التقنية فهذه من اختصاصنا.. ولكن الواقع يقول غير ذلك.. إنه لا يجيد حتى الأمور الإدارية.. لا يمكن تسمية هذا الأمر سوى أنه قدرنا!

"إذا سمحت لي يا سيدي.. هل يمكنني أن أبسط لك الأمر؟".

تدخل (عطاء) مجددًا بطريقته السخيفة تلك، كما لو كان يحدث طفلاً في بداية مشواره الدراسي؛ ليومئ الطفل.. أقصد المدير برأسه وهو يشير إليه ليقول ما لديه:

"نحن الآن نواجه مشكلة في الأجهزة المسؤولة عن استضافة نظام التشغيل داخلها.. وحيث أنك شددت على مواصفات تأمين الشبكة، التي صممتها الشركة من حيث إغلاق جميع المنافذ على المخترقين.. للأسف بقدر ما كان هذا الأمر مزية قوية جداً- وربما هي السبب في وقوع الاختيار علي شركتنا؛ لتفوز بتصميم مثل هذه الشبكة - وبالرغم من أن هذا قد منحنا أقل نسبة أعطال يمكنها أن تحدث لأسباب الاختراق الخارجي - إلا أنه هذه المزية هي نفسها نقطة الضعف التي تقيدنا.. لأننا قد أغلقنا الباب نحن بنينا جداراً نارياً يمنع المتطفلين من الاختراق، ولكنه أيضاً يمنعنا من العبور إلى المكان الخاص بنا من أية نوافذ فرعية أو أبواب خلفية داخل نظام التشغيل.. لا يوجد أمامنا حل سوى الدخول عن طريق الباب الرئيسي والذي لا يمتلك مفتاحه سوانا".

أوما الرجل ادعاءً للفهم، وهو لا يزال متحيراً، ولكن هذه المرة بدرجة أقل قليلاً:

"حسنًا.. كيف يمكن الذهاب إلى هناك في ظل هذا التوتر الحادث في الأجواء؟".

>> أخيرًا.. لقد كبر الفتى الصغير، وأصبح يسأل أسئلة تستحق الإجابة<<.

تدخلت:

"هذا سيكون دورك يا سيدي.. عليك التواصل مع وزارة الطيران، وربما مع رئاسة الوزراء؛ لتوضيح الأمر لهم.. إننا نريد تقديم طلب إلى المحطة الفضائية الشرقية للاستعانة بمكوك آلي يسع لشخص واحد للذهاب إلى هناك.. إنها ليست أول مرة نفعلها.. في الظروف الطبيعية.. لم يكن يتطلب الأمر سوى أن تطلب ما تريده من المحطة الشرقية بالفعل.. ربما عليك أن تبدأ بهذا أولاً.. لترى هل ستسير الأمور كما اعتدنا أم أنه سيكون هناك تغيير".

تساءل الرجل:

"أنت فقط؟!"

نظرت إليه مندهشاً من تساؤله؛ لأعقب بعدها بعدة ثوان:

"أعتقد أن الأمر لا يحتاج لكلانا إنه مجرد صيانة دورية، وكل المعدات المطلوبة متواجدة بالفعل في أرض الموقع.. ثم إن البروتوكول المتبع في رحلات الفضاء هذه الأيام ينص على السفر بقدر العمل المطلوب، وتقليل العنصر البشري قدر المستطاع؛ لذلك فالقرار بين يديك اختياري أنا أو (عطاء)".

قلتها وأنا التفت إلى (عطاء) لأسأله:

"ما رأيك؟".

تفاجأ بتساؤلي فتوتر للحظات ثم أشار إلى المدير قائلاً:

"القرار بين يدي المدير ليس لنا".

هنا تدخل المدير:

"أريدك أنت أن تذهب يا (سليم).. أنا أعلم أنّ كلاكما يستطيع تأدية المطلوب بكفاءة.. ولكنني أريدك هذه المرة أن تذهب".

>> هذا كان مفاجئاً حقاً.. لم يريدني هذه المرة؟.. بالطبع أنا أود الذهاب إلى هناك.. لن أبالغ إن قلت أنني أنتظر هذا الطلب.. لكن.. هذا فقط غريب<<.

"حسناً.. وأنا رهن الخدمة.. لكن لا بد من الحصول على تصريح السفر إلى هناك في أسرع وقت".

أوما المدير برأسه بالإيجاب كأنه يؤكد على عبارتي، ثم التقط سماعة هاتفه المحمول اللاسلكية الموضوعه على يمينه؛ ليضعها داخل أذنه، وهو يضغط على زر صغير ثم تحدث:

"القاعدة الشرقية - مكتب الرحلات الخاصة".

قام المتصل الآلي في الهاتف بطلب الرقم المسجل داخله.

"أريدك أن تذهب إلى القاعدة الشرقية الآن يا (سليم).. ريثما ننتظر إصدار التصريح، أريدك أن تكون مستعداً ومتواجداً هناك بالفعل؛ لكي لا نضيع مزيداً من الوقت".

التفتنا إليه مع عبارته، وأنا أومئ برأسي موافقاً على طلبه.

أشار إلينا الرجل كي نخرج من الغرفة؛ لكي يستكمل إجراء اتصالاته.

سألني(عطاء) وهو يغلق باب الغرفة خلفه:

"الآن ماذا؟".

"الآن.. نذهب.. لنتنظر!".

القاعدة الشرقية للخدمات الفضائية ..مرحبًا بكم.

قرأت الكلمات المكتوبة فوق شاشة ليزر كبيرة في مدخل المكان، الذي أعمل به، وأنا أقوم بالقيادة إلى داخل المكان المخصص لانتظار السيارات.. هذا غريب المكان يبدو شبه خالٍ، وهذا غير معتاد في مثل ذلك التوقيت.

<<أين ذهب كل هؤلاء الناس؟>>.

لم تمر عدة ثوان حتى انطلق رنين الهاتف بشكل مفاجئ؛ لأجد المتصل أحد زملائي بالعمل:

"مرحبًا..(نعماء).. كيف حالك؟.. أين أنت الآن؟".

"مرحبًا بك يا (رامي).. كيف حالك؟.. أنا بخير.. أنا في المكان المخصص لانتظار السيارات لقد وصلت لتوي.. ما الأمر.. ماذا هناك؟".

صمت (رامي) لثوان كأنه يعيد ترتيب كلماته قبل أن يفصح بها:

"لدينا استدعاء عاجل.. رحلة عاجلة إلى القمر.. ونحن في انتظار موافقة وزارة الطيران ورئاسة الوزراء نظرًا لما رأيناه من طوارئ.. فلا بد من أن يوقع رئيس الوزراء نفسه على الموافقة".

<<إلى القمر؟! .. الآن؟!>>.

"إلى القمر؟! لماذا؟ ماذا حدث؟".

التقطت حقيبتي وغادرت السيارة، وأغلقت بابها، ثم قمت بتفعيل القفل الذاتي لجميع الأبواب، بينما أجاب هو:

"هناك عطل قد وقع بأحد شبكات الاتصالات المنشأة هناك.. ومطلوب منا إيصال مهندس الأعطال إلى هناك".

"لا بد وأنتك تمزح معي؟.. كيف يمكن أن تحلق ولو مروحية واحدة في مثل هذه الأجواء.. هل عرفنا ما السبب أولاً وراء سقوط كل هذه الطائرات؟".

صمت لثوان أخري.. ثم أتبعها بالرد:

"كلا.. لم يعرف أحد بعد ما السبب وراء ما حدث".

<<كيف يعقل هذا؟!>>.

سمعت رنين طفيف يشير إلى وصول مكالمة أخري إلى هاتفي:

"هل يمكنك الانتظار للحظات.. هناك من يتصل بي".

أجاب (رامي):

"حسنًا سأنتظرك في مكثبي لنستكمل حديثنا".

"حسنًا".

نظرت إلى شاشة الهاتف؛ لأجد أمي هي من تتصل..

>>يمكنني توقع أنها ستكون نائرة بسبب ما قصه عليها ابنها المدلل.. ابن أبيه!.. ولكن ستكون هناك فرصة لكي أغيب عن المنزل اليوم على الأقل.. تلك الرحلة القمرية لابد وأنها هدية من السماء وفي وقتها المناسب.. أريد أن أغادر هذا الكوكب!<<.

"مرحبًا يا أمي".

صرخت في الهاتف.. كما توقعت تمامًا:

"هل جننت يا (نعماء)؟.. هل حاولت أن تصدمي (إبراهيم) بسيارتك؟".

>>أيها الوغد اللعين<<.

"ما هذا يا أمي .. أنا لست بمجنونة كي أفعل ذلك.. ثم ما ذنب السيارة في أمر كهذا؟.. ولكن هل تعلمين ما الذي يثير الدهشة.. أن تحدثيني عنه في الصباح الباكر؛ لأجده أمام مقدمة سيارتي.. هل كنت تعلمين بقدومه اليوم؟ أم أنك مدبرة هذا اللقاء منذ البداية؟".

تلعثمت وهي ترد:

"كيف لي أن أعلم؟!".

ابتسمت رغم الموقف، وأنا أسارع الخطى تجاه المبنى:

"أماه.. أنا ابنتك.. لست بشخص غريب.. ولم أتعرف عليك بالأمس.. لقد تربييت على يديك.. فكما تعرفيني جيدًا كما تعرفين يديك.. أنا أيضًا كذلك.. لقد اتفقت معه على أن يأتي اليوم.. هل هذا صحيح؟"

انتقلت من خانة الدفاع إلى خانة الهجوم وهي تتساءل:

"وماذا في هذا؟.. أليس لي الحق أن أحاول أن أصلح بين أبنائي، وهما دائماً يتشاجران كل حين؟"

<<هذا النقاش لن ينتهي أبداً..>>.

"أمي .. يجب أن أذهب الآن.. لدينا رحلة إلى القمر اليوم.. لذا ماذا لو أحلنا الحديث عن ذلك إلى أن أعود من السفر؟".

تبدلت نبراتهما إلى القلق:

"القمر؟!.. ما هذا الذي تقولينه يا (نعماء)؟.... لقد رأيت بعينيك ما الذي حدث لتلك الطائرات.. يجب عليك أن ترفضى بالطبع.. هذا ليس أمراً هيناً.. ولم تخبريني بهذا أنتتظرين مني أن أوافق على أمر مثل هذا؟.. بالطبع لا لن أوافق".

"يا أمي هذا ليس عمل حر يمكنني أن أقبل ما أريده وأرفض ما أريده.. الأمر ليس كهذا.. هذه وظيفة رسمية.. أنت تعلمين هذا جيداً".

صاحت:

"أنا أقولها لك لا يمكنك أن تخاطري بحياتك كما يحلو لك.. الحرية لك في نهاية الأمر".

قالتها وأغلقت المكالمة.

>> ما هذا الذي حدث للتو؟.. وهذا المأفون الذي يظن أن الكل تحت إمرته في أي وقت يشاء هو.. لا ضير لديه أن تشتعل الأمور.. فقط ليحقق ما يريد!.. أنا حاولت أن أصدمك بالسيارة؟.. المرة القادمة سوف أسحق عظامك تحت إطاراتها، ولن أصدمك بمقدمتها فقط>>.

ما أن وصلت إلى بوابة المبنى وقبل أن أضع بطاقة المرور في المكان المخصص لها تفاجأت بزميلي (رامي) الذي كان للتو معي على الهاتف يندفع خارجًا من المبنى:

"(رامي)!...".

التفت لندائي وهو يبحث ببصره عني إلى أن رأيته؛ وتبدل وجهه المتجهم قليلاً ويحاول افتعال ابتسامة زائفة فوقه وهو يقترب للتحية:

"(نعماء)..كيف حالك؟!.. يمكنك الدخول إذا أردت.. سوف أقوم بإجراء مكالمة هاتفية سريعة وأعود على الفور".

"كيف حالك يا(رامي)؟.. لماذا يبدو وجهك كما لو أنك انتهيت للتو من شجار؟!".

ابتسم (رامي) رغماً عنه من التعليق، وهو يحمل الهاتف بيد ويشير إليه باليد الأخرى ماطاً شفتيه باستياء :

"كلا .. أنا لم أخرج من شجار.. أنا أخذت فاصلاً للراحة ما بين شجارين.. وخرجت لأستكمل ما بدأته هي".

شعرت بأسف حقيقي تجاهه هو وزوجته، فلقد بدأت مشاجراتهما تزداد حدة في الآونة الأخيرة:

"لم تهدأ الأمور بعد؟".

"كلا.. ولا يبدو أنها ستهدأ قريبًا.. إنها لا تفعل شيئًا حاليًا سوى الشجار.. ثم تهدأ لفترة من الوقت لتحاول البحث عن أسباب أخرى للشجار القادم.. وهكذا.. آخر ثلاثة أشهر في حياتنا لم يحدث داخلها أي شيء جديد سوى مشاحنات طوال الوقت".

انطلق رنين هاتفه مجددًا فتنحى جانبًا؛ لكي يرد وهو ينظر إلى معتذرًا، فأومأت أنا برأسي متفهمة:

"سوف أنتظرك".

بدت عليه العصبية؛ فهو يبدو كمن هو مضطر للرد ولا إرادة له في ذلك.. بدا ذلك واضحًا حيث أنه لم يستغرق سوى نصف دقيقة؛ حتى بدأت ملامح وجهه في التجهم واحمر وجهه غاضبًا، وبدأ يهتف بنبرات حادة لم أستطع أن أميز بدقة محتوى ما يقول لسببين.. الأول أنني لا أهتم.. والثاني أنه كان قد ابتعد بعض الشيء وهذا كان من حسن حظنا جميعًا.

استغرقت مكالمته بضعة دقائق إضافية.. شرحت فيها نبراته بالإضافة إلى لغة جسده وحركاته الكثير.. لقد أخبرتني أنه الآن.. ثائر.. غاضب.. محبط.. عاجز عن الرد.. يبدو دفاعيًا أكثر من اللازم.. أتمنى أن ينتهي من هذا الشجار سريعًا..

انتهت المكالمة ولم تتلاش آثارها بعد.. وها هو يعود إلى مكان انتظاري له:

"أعتذر لكِ على التأخير.. أنتِ تعلمين جيدًا كيف تكون المرأة عند الغضب".

ابتسمت من عبارته:

"لا عليك.. هل كل شيء على ما يرام؟".

أشار بيديه بعلامة تعني ما بين ذلك وذاك:

"نوعًا ما.. الأمر يحتاج إلى وقت كي أعرف هل هي نوبة جنون مؤقتة أم أنها ستدوم طويلًا".

"هل يمكن أن أسألك سؤالًا.. ويمكنك ألا تجاوب إن أردت.. ليس لدي أية مشكلة في ذلك".

هز كتفيه ووجهه يبدأ أخيرًا في الاسترخاء وهو يشيح بيده مبتسمًا:

"كلا لا تقولي هذا.. يمكنك أن تسألي كيفما تريدين بالطبع".

"أنت قلت منذ دقائق أننا لا زلنا نتشاجران منذ آخر ثلاثة أشهر؟! هل تتذكر بالتحديد متى بدأتما التشاجر؟! .. أعني هكذا سيكون الأمر صعبًا بعض الشيء عليكما إذا ما حاولتما تهدئة الأمور، بينما أنت تحتفظ بسجل زمني للشجار هكذا".

تساؤلي كان دافعه الفضول ليس أكثر.. لغرابة مقولته وقتها.

ضحك هذه المرة من السؤال، وهو يعيث بخصلات شعره الأسود الطويلة من الخلف:

"أنا أفهم ما تقصدين.. ولكن لا.. منذ أن تلقيت الترقية الأخيرة في ذلك الوقت تقريبًا.. حتى بدأت هي الشجار، ومنذ ذلك الحين وأنا أراها تحولت إلى ما يمكنني أن أطلق عليه بتعبيراتنا.. ثقب أسود مالي كبير لا قرار له.. لا تهدأ أبدًا وتطالب بأن تحصل على كل شيء بالمعنى الحرفي".

"كل زواج ولا بد له وأن يمر بمجموعة من المصاعب.. أنت تعلم هذا جيدًا".

تنهد(رامي) بنبرة يائسة:

"لا أعتقد أنني أستطيع احتمال مثل هذا النوع من المصاعب لمدة طويلة.. خاصة عندما تكون تلك المصاعب مفتعلة"

>>سيبدأ بأخذ منحني الشكوى ولن يكف عن وصف حياته كم تبدو مستحيلة ولا تطاق، ولا بد طالما أخذ ذلك الاتجاه في الكلام أن ينتهي الأمر بأن يرسخ ذلك الانطباع التقليدي، بأنه أكثر أهل الأرض بؤسًا في كل الأزمان.. محاولة غير مباشرة لاستجداء التعاطف.. لا أجيد التعاطف الزائف ولا الاهتمام المفتعل.. هذه ليست أول مرة أواجه مثل هذا... لذا.. على هذا النقاش أن ينتهي الآن!<<.

"حسنًا أتمنى أن تهدأ الأمور بينكما قريبًا بإذن الله.. أخبرني.. ما هي تفاصيل هذا الاستدعاء؟".

"هل سنناقش هذا هنا؟!"

<<طريقة تساؤله مثيرة للاستفزاز.. وماذا في هذا؟!>>.

"ولم لا؟!"

سألته في براءة ليرد هو في توتر:

"لا شيء.. لا شيء.. لقد اعتقدت فقط أنه يجب علينا أن نتحدث عن هذا في الداخل".

"أنا فقط أريد أن أفهم ما نحن بصدده ليس أكثر.. أعني كيف سنسافر في ظل تلك الأزمة؟ لقد علمت أنه تم إغلاق المجال الجوي على مستوى العالم، وتوقفت جميع الرحلات من وإلى الفضاء؛ لذلك لا بد أن يكون هناك تفسيرًا لما حدث، وإلا كيف يتم استدعاؤنا للطيران في ظل تلك الظروف؟!"

عقد ذراعيه أمامه وهو يتساءل:

"في الواقع.. أنا لدى نفس هذا التساؤل... ربما يعلم المسؤولون السبب ولا يمكنهم الإفصاح عنه؟! ..لست أدري في الحقيقة.. ولكن.. هل سيصمت الناس على حدث مثل هذا؟!"

"بالضبط! .. حتى وإن صمتت الجماهير على ما حدث.. كيف لنا نحن من نعمل في هذا المجال أن نعرض حياتنا للخطر هكذا بشكل أعمى؟!"

التفت تجاه بوابة المبنى، وهو يشير إليها:

"حسنًا.. ما رأيك في أن نستكمل النقاش في هذا الموضوع بشكل موسع في الداخل، حيث يوجد المدير ربما يكون لديه معلومات عما حدث لتلك الطائرات.. أمهليني فقط عدة دقائق وسأتبعك إلى الداخل".

"حسنًا".

قمت بتمرير بطاقتي في جهاز قراءة البطاقات، الذي يسمح لنا بالدخول، ويقوم بحفظ موعد الدخول لتضيء شاشته بصورتي ويضئ مصباحًا مستطيلًا بلاستيكيًا في جانب الجهاز باللون الأخضر؛ ليعلن السماح بالمرور عبر البوابة الإلكترونية.. لا يوجد أفراد أمن.. لا يوجد أحد في المكان من الأساس كما لو أنه مهجور منذ فترة.. إلا أن المكان جميع الأروقة والمصاعد والمرايا والنوافذ الزجاجية الموجودة داخله جميعها نظيفة تمامًا.. رجال التنظيف الآلية بالطبع من غيرهم.

ذهبت لأستقل المصعد كي يهبط إلى الأسفل الطابق الخامس تحت الأرض.. كما هو الطراز الحديث الذي يتم إتباعه من المباني والجهات الحكومية يتم إنشاء أغلبها الآن تحت سطح الأرض لعدة اعتبارات أمنية وبسبب العديد من التداخلات الناتجة عن الإلكترونيات الحديثة التي تقع من أن إلى آخر بسبب الاعتماد على استخدام صورًا متعددة من الإشعاع الكهرومغناطيسي المكثف جدًا.

ما أن وصلت وانفتحت بوابات المصعد حتى سمعت النداء:

"(نعماء)!.. حمدًا لله أنك هنا.. لقد ظننت أنك لن تأتي اليوم".

نظرت لأحد مصدر النداء.. كان شخصًا يقف على بعد عدة خطوات أمامي.. ضئيل القوام ذي وجه مستطال، وجبهة عريضة تحفها من الأعلى فروة رأس مموجة يغلب عليها اللون الأبيض.. ولحية نامية تتشارك معها في نفس اللون عدا الشارب.. لا يزال بلونه الأصلي الأسود.. يرتدي قميصًا قطنيًا أبيض يمتلئ بالخطوط الرمادية وفوقه صدرية سوداء لامعة/ وربطة عنق قبيحة رمادية تتخللها خطوط بيضاء مائلة.. لقد كان هذا هو مديري في العمل.

"أين الجميع؟!"

لم أجد أمامي أحد في الطابق سوى المدير.

"اليوم لدينا عطلة طارئة.. لا يوجد أحد سواكما أنتِ و(رامي) اليوم.. لدينا مهمة عاجلة يجب القيام بها".

عبرت بالفعل بوابات المصعد، ووقفت أمامه مباشرة وأنا أشير له بأن يتوقف بيدي:

"قبل أن تخبرني بكلمة واحدة إضافية".

نظر إلى مندهشًا من نبرة الحديث.. فالآن صار الأمر كما لو أننا تبادلنا الأدوار فصرت أنا مديرتَه وهو مرؤوسي:

"ماذا نعرف عن السبب الحقيقي وراء حوادث سقوط الطائرات إلى الآن؟".

تبدلت ملامح وجهه للاستياء.. كما لو أنه كان يخشى أن أسأل هذا السؤال بالتحديد.. مط شفتيه وظل صامتًا يفكر في إجابة مناسبة يمكن أن يطرحها:

"حسنًا.. الحادث وقع فجر اليوم.. في الساعة الثانية والنصف صباحًا.. ولدينا هنا في البلاد سقطت ثلاث طائرات ركاب وطائرة خاصة.. واحدة فقط من طائرات الركاب هي التي نجح طياروها في السيطرة عليها، والهبوط بها بشكل اضطراري.. بينما تحطمت البقية ونتج عن تحطمهم العديد من الوفيات، لم يتم حصرها بعد بشكل دقيق.. وبالمثل في عدة بلاد في أوروبا وفي الولايات المتحدة وآسيا سقطت العديد من الطائرات، تقريبًا في نفس التوقيت الذي سقطت طائرتنا، وبالطبع هذه أول مرة..."

قاطعته بنبرة حادة:

"لقد سألتك سؤالًا واحدًا.. سؤالًا محددًا.. أنا لم أسألك ما الذي حدث.. بل سألتك.. ما السبب وراء ما حدث.. ها أنا أذكرك بسؤالي مجددًا في حالة إذا كنت نسيت السؤال".

>>إنه يتحاشى الإجابة.. إما لأنه لا توجد إجابة.. وإما أن الإجابة غير منطقية.. وكلاهما لا بد أن أعلم بشأنهما؛ لأنني سوف أواجه هذا المجهول بنفسى<<.

بتردد وحذر بدأت نبرات صوته في التحدث:

"في الواقع.. رغم أنه العالم أجمع يعمل على قدم وساق؛ ليحدد أسباب مثل تلك الحادثة.. إلا أنه إلى الآن كل تقارير فحص الحطام تشير إلى أنه لم يتم العثور على سبب، أو حتى عدة أسباب يمكنها أن تؤدي إلى مثل هذا الحادث.. لا أخفي عليك.. لا يمكن لما حدث أن يحدث.. ليس كل هذا العدد.. وليس في نفس التوقيت.. هذا حادث يعتبر الأول من نوعه منذ اختراع الطائرات".

>>كلماته تؤكد نفس المعنى.. لقد وقعت كارثة جوية لا مثيل لها من قبل، ولا أحد يعرف إلى الآن ما هو السبب>>.
>>كيف يتحدث بمثل هذا الثبات و يطلب منا هكذا بكل أريحية أن نقود مركبة فضائية في مثل هذا التوقيت.. وإلى متى سوف يظل العالم بأسره هكذا دون أن تدلي جهة رسمية مسؤولة بمعلومات عما حدث.. العالم اليوم دون طيران.. على الرغم من وجود البدائل له.. إلا أنه عامل أساسي لا يمكننا مجرد استبعاده من القائمة لمشكلة أملت به>>.

"لم تعلن أي دولة عن أسباب حتى محتملة إلى الآن؟!".

تساءلت لعلي أجد إجابة هنا أو هناك.

"كلا لم يصرح أحد بصفة رسمية بأي شيء إلى الآن على حد علمي".

"وماذا عن الذين صرحوا بصفة غير رسمية؟".

ابتسم المدير وهو ينظر إلي قائلاً:

"لا يمكننا الاعتماد في عملنا هنا على التكهّنات خاصة في مثل تلك الظروف".

"إذا ما الذي سنفعله؟.. هل نسافر إلى هناك على الرغم مما حدث؟".

بدا التردد على وجهه وهو يقول:

"أخشي أنه لا يوجد أماناً سبيل آخر.. لا يمكن لأحد إجباركم على السفر بالطبع على الرغم من ذلك نظراً لما نمر به.. ولن نتخذ أية إجراءات جزائية ضدكم".

كان المصعد قد غادر وعاد، وأنا لم أشعر به سوى مع صوت بواباته وهي تنفتح مجدداً ويظهر (رامي) الذي لم ينبهني لوجوده سوى سؤاله:
"ألا يمكن لهذا الأمر أن ينتظر؟... على الأقل حتى نعلم ما الذي حدث؟".

اتكأ المدير على أحد المكاتب المجاورة له.. بينما جلست أنا على المقعد المقابل للمكتب، واقترب (رامي) منا...

"هل تستطيع السفر أم أعتبر ذلك رفض؟".

سأله المدير بعصبية ليحاول (رامي) تهدئته قائلاً:

"لماذا تعتبرني أمتنع عن السفر؟.. كل ما في الأمر أنني أتساءل ألا يمكن للأمر أن ينتظر.. على الأقل كي نتأكد من أنه لا توجد خطورة من إقدامنا على السفر في مثل هذا التوقيت.. ربما تكون عاصفة شمسية هي السبب.. عند ذلك ينبغي لنا الحذر و....".

"إنها ليست عاصفة شمسية".

قلت مقاطعةً له بلهجة واثقة وأنا التفت إليه:

"لا يمكن لعاصفة شمسية أن تحدث هكذا دون أن نعلم بشأنها، ولدي ناسا بالفعل سلسلة من أقمار إيس (*) الخاصة بمراقبة النشاط الشمسي.. لذلك الموضوع ليس بهذه البساطة ليغفل عنه كل العالم!".

صمت ثلاثتنا.. لعدم قدرة أحدها على مواصلة الحديث.. من فرط الحيرة!.

سألت بينما ظل كل منهما لا يدري ماذا يقول:

"حسنًا .. الآن ما الذي سيحدث؟".

مضت لحظات إضافية من الصمت....

"حسنًا.. في البداية أريد أن أعرف.. هل يمكنكم السفر أم لا؟"

سألنا المدير لنعود مجددًا للصمت الذي عدت أقطعه..

نظر إلي مندهشًا متسائلًا:

"(نعماء).. ماذا دهالك؟.. هل تريدان الذهاب أم لا؟".

(*) إيس ACE أو (Advanced Composition Explor) برنامج

استكشافي خاص أطلقته وكالة ناسا في أغسطس من العام ١٩٩٧، وكانت مهمته الأساسية هي مراقبة النشاط الشمسي بشكل عام وقياس ودراسة تشكيل الهالة الشمسية، ومدى تسارع الرياح الشمسية، ودراسة أنواع الجسيمات التي تنطلق من الشمس أو من أية أجسام أخرى بين نجمية مجاورة في الفضاء.

"أشعر في طيات كلامك بمن يؤنبه ضميره على مثل هذا الطلب.. ترى ما الذي يجعلك كذلك؟".

ابتسم المدير وهو يحاول إخفاء توتره وفشل في ذلك بالفعل:

"ولم تظنين أنني أحاول أن أخفي شيئاً؟".

"هل تراهن بحياتنا وسلامتنا الشخصية على أنه لن يحدث شيء لنا بالأعلى إذن؟".

تساءل(رامي) مذعوراً:

"ما الذي يمكن أن يحدث لنا بالأعلى؟!".

نظرت إلي (رامي) ثم عدت ببصري إلى المدير قائلة في تحدٍ وسخرية:

لا شيء.. قد يسقط المكوك الرائع بنا بكل بساطة هكذا مثل الصخرة من أعلى الجبل.. بالضبط كما حدث مع تلك الطائرات، إلا أن الفارق أننا ربما يتم قصفنا في الجو إذا ما تعطل بنا فوق منطقة مأهولة.. ليس بالشيء الكبير كما تعلم.. أعني.. ما هو الشيء الأسوأ من أن نعود في توابع، وأجسادنا ليست سوى بقايا بشرية محترقة.. هذا لو وجدت؟!".

تساءل(رامي) الذي بدا أنه فقد أعصابه ما بين سخرיתי وتوتر المدير:

"لحظة واحدة.. لم لا يسافر فريق الصيانة هذا على متن أحد المركبات الفضائية الآلية.. لماذا تريد إرسالنا نحن بدلاً من المركبات الآلية؟".

ابتسم المدير هذه المرة وكان التهكم من نصيبه:

"يبدو أنني لم أذكر لكم التفاصيل بأكملها منذ البداية.. أعتذر لكم إنه خطئي أنا".

قاطعته (رامي) صائحًا:

"وما الذي يمنعك؟".

مط الرجل شفتيه.. بعد أن صمت للحظات.. فقد شعر من الطريقة التي نخاطبه بها أننا نود اقتلاع رأسه من مكانها.. ظل هكذا صامتًا لعدة ثوان، وهو يسير جيئةً وذهابًا في المكان إلى أن توقف ثم تكلم أخيرًا:

"تم حظر استخدام أية آليات للطيران تعمل بشكل آلي إلى أن يتم الوقوف على أسباب سقوط الطائرات".

"لذا فأنت تحاول أن تجعل كلامك لبق بقدر المستطاع لكي لا نرفض!.. حسنًا.. أنا موافقة.. وليس لأنك نجحت في إقناعي.. ولكن لأن هذا هو عملي أولًا وأخيرًا".

"(نعماء).. هل جننت؟".

سألني (رامي) باندعاش وبدا أنه متفاجئ من قراري لأجيبه بعد ذلك بأسباب موافقتي:

"لم ذلك؟.. لم يتبق لي سوى ثلاثين ساعة طيران كي أصبح طيار أول.. عندها يمكنني أن أحلق بأي طائرة أو مركبة فضاء متى أشاء بمفردي".

>> هذا السبب السخيف هو الذي يجب أن أذكره له.. كيف أستطيع أن أخبره أنني أريد الهرب من هنا.. أريد الهرب من هنا قبل أن أفقد عقلي!<<.

"لا أحد يعترض على سعيك لكي تصبحي طيار أول.. ولكن في مثل هذه الظروف.. أنتِ تخاطرين بحياتك.. ومن أجل ماذا؟".

ظل(رامي) ينظر إليَّ غير مصدقٍ أو مقتنعٍ بالسبب الذي ذكرته له للتو بينما سأله المدير:

"وأنت يا(رامي)؟ ما هو قرارك؟".

>> لماذا أخطر بحياتي من أجل رحلة روتينية كهذه يمكن أن أفقد حياتي بسببها؟ على الرغم من كل قواعد وشروط الأمان التي تتخذ في عمليات الطيران هذه الأيام، وبشكل آلي ومكثف ورقابة مشددة على معايير الأمان بالنسبة للرحلات.. قد وقع ما وقع.. انهالت الطائرات متساقطة علينا لا يدري أحد لم سقطت؟.. والأهم لا يدري أحد هل ستسقط مجددًا في المستقبل أم لا.. ما وجه البطولة في سقوط المرء وسط حطام مركبة فضائية متفحمًا... كلا.. لن أوافق.. ربما أنا في حاجة إلى المال بالفعل الآن.. للأسف بعد أن وصلت لنهايات الأربعينيات ما زلت أحتاج للمال رغم كل هذا.. يمكنني الانفصال إن أردت السيطرة على نفقاتي.. حسنًا.. لن يحدث هذا.. أحتاج للمال ولكن ليس لدرجة أن أضحي بحياتي من أجل المال<<.

"(رامي)".

هتفت لأخرجه من سبات أحلام اليقظة الذي كان يبدو واضحًا على وجهه:

"أين ذهبت؟.. هل أنت موافق على أن تقوم بهذه المهمة أم لا؟".

"هل يمكن أن آخذ وقتًا للتفكير قبل أن أحسم قراري؟".

سأل(رامي) المدير الذي تردد في أن يجيبه؛ ليقوم الأول بفرد ذراعيه بطريقة مسرحية قائلاً:

"ربما تكون هذه آخر رحلة يقوم فيها المرء بالطيران.. ألا يستحق بعضًا من الوقت ليفكر فيما يفعله؟".

"من حسن حظك أننا ننتظر تصريح وزارة الطيران ورئاسة الوزراء لذلك.. أنت لديك بعض الوقت لتعيد خلاله التفكير في قرارك النهائي.. ولكن.. أمامك ساعة واحدة فقط!".

>>ساعة واحدة.. يجب أن أقرر خلالها.. هل يستحق الأمر المخاطرة.. هل تستحق حياة المرء المخاطرة بها من أجل المجهول؟!<<.

>> أين أنت اليوم؟.. أنا اليوم أقرب إلى هدفي.. اليوم بالنسبة لي هو اليوم الحاسم.. بمجرد انتهائه سيعاد كتابة التاريخ مجدداً.. وسأدخله من نفس الباب الذي دخل منه أينشتاين وتوماس إديسون.. كلا.. سأزيح الأخير عن مكانه وأكون أنا بدل منه.. سأكون أنا..

"د.(فاديم)؟!"

"لقد قلت لا أريد أن يقاطعني أحد في وقت الراحة".

صحت في صاحبة النداء.

"آسفة يا سيدي ولكن.. وددت فقط أن .."

"هل سمعت ما قلته جيداً؟.. أنا أفترض أنك تسمعين جيداً.. وتعين جيداً ما أقوله.. لا أريد رؤية أحد أمامي الآن".

"آسفة".

...

>> أين أنت اليوم ؟

أنا اليوم أقرب ما أكون إلى هدفي...

اليوم هو يومي الحاسم...

في نهايته سأعيد تشكيل التاريخ من جديد.....

سأدخل التاريخ و قائمة العظماء

سوف يكون د.(أيفان فاديم إيجور) عالم الفيزياء العظيم

الحاصل على جائزة نوبل بالتأكيد في علوم الطاقة وذلك لابتكاره مصدر جديد للطاقة؛ سيغير به كل ما يعلمه العالم اليوم عن مصادر الطاقة. سوف أصبح الأول ...

بلا منازع
الآن ليس عليك سوى الحذر ...
الحذر كل الحذر لخطواتك
أي خطأ تافه قد يكلفك كل شيء
هل تفهمني جيدًا؟
أخطأوك ستكلفك حلمك.
انتبه وحافظ على أدائك
وسوف تسير الأمور كما خططت لها بدقة>>

قمت بالنظر إلى نفسي مجددًا في المرأة.
اليوم عيناى الزرقاوان تبدوان أشد حيوية
بالتأكيد.

ليس اليوم مثل أي يوم.....جسدي الممشوق لم يؤثر فيه تقدم العمر.
اثنان وخمسون عامًا من العمل الشاق.... لم يشر إليهم سوى بوابر
صلعة في مقدمة الرأس وخصلات من الشيب متناثرة حول جوانب
الرأس.

وجبهة تخطها تجاعيد مائلة من جانبي الجبهة إلى بداية الأنف.

عدلت من وضع الحلة لأتأكد من أنها تظهر بشكل لائق، ثم أعدت تصنيف عدة خصلات نافرة من فروة رأسي.

>>ألم يكن من الأفضل لهذا النجاح أن يأتي مبكرًا عشرة سنوات، بينما كنت أحتفظ بشعري بكامل رونقه! .. الأهم دومًا العقل الذي يرقد تحت هذا الشعر<<.

خرجت من الغرفة الملحقة بمكتبي في مكان عملي، أحد الأماكن التابعة للإدارة الوطنية لعلم المحيطات والظواهر الجوية، في كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية.

أنا المدير المسؤول لهذا المكان، وبالطبع وقوع كل حوادث الطيران الأخيرة يجب علينا البحث عن تفسير له؟ بل والتحذير من وقوعه.. لا تتواجد لدينا أية معلومات استباقية يمكنها أن ترشدنا إلى وجود شيء ما خاطئ يمكن أن يحدث.

ولكن ما حدث كان لا يمكن تصنيفه مجرد "خطأ".. هذا كارثة تحتوى داخلها على كومة من الأخطاء والتي يجب التعامل معها.

ومن أجل التعامل معها كما يجب.. قمنا بعقد عدة مؤتمرات فيديو عالمية ربطتنا بمعظم العلماء المتخصصين في أحوال المناخ على مستوى العالم.. واتفقنا على أن للجميع الحرية في طرح أي نظرية، حتى وإن كانت مستحيلة.. ونحن سنتولى تصفية تلك النظريات، ونأتي لهم بنتيجة نهائية يمكنها أن تجيب على التساؤل الذي يحير معظم العالم الآن .. "ما السبب الذي جعل كل هذا العدد من الطائرات تسقط فجأة بدون سابق إنذار".

الآن سيتم عقد اجتماع نهائي لفحص وتصفية النتائج والأسباب التي طرحها العلماء .. على أمل التوصل إلى سبب حقيقي لما حدث.

قمت بالخروج من غرفتي إلى قاعة الاجتماعات، التي قلما تستقبل مثل هذه الأحداث لندرة حدوثها .. اليوم أصبح العلم متقدماً لدرجة تباطؤ المجهول معها أمام الإنسان .. لم يعد هناك الكثير لكي نكتشفه .. إما لأنه لم يعد هنالك الكثير باقياً لنعرفه بالفعل .. وإما أننا فقدنا الشغف والرغبة في البحث.

اتخذت جلستي على قمة طاولة الاجتماعات، بينما كان يجلس حولي ثلاثة علماء آخرين..... امرأتان ورجل:

"صباح الخير جميعاً.. كيف حالكم؟".

"نحن إلى حد ما نعتبر بخير.. ولكننا شارفنا على الجنون".

كان صاحب هذا التعليق هو(كلايد ريمكنين) عالم الفيزياء النووية البولندي الأصل، صاحب البشرة البيضاء، والعيون الخضراء الضيقة، واللحية النامية ذات اللون البرتقالي المماثل للون شعره القصير المجعد.

"لماذا تقول هذا؟".

ابتسم الرجل واشتركت معه المرأتان في الابتسام وهو يقول بسخرية:

"تلقينا إلى الآن ثلاثة وتسعين تفسيراً لتلك الحادثة من مختلف أنحاء العالم، وكلها خرجت من بين أيدي علماء.. ألا يكفي هذا ليؤكد أننا إن لم

نجن من وقوع الحادث.. فسوف يكون هذا بالشيء الأكيد عندما ننتهي من فحص جميع هذه التفسيرات؟".

"لا أعتقد أن الأمر يمثل هذه الصعوبة".

تدخلت إحداهما وهي (مارلينا إليزار) عالمة مختصة بدراسة الظواهر الفلكية ومحاضرة بجامعة ماساتشوستس للتكنولوجيا.. تشير ملامحها أنها من أمريكا الجنوبية.. يشير إلى هذا بشكل قاطع لون بشرتها السمراء، وعيناها البنية الواسعة، وشعرها الأسود الفاحم المعقود بصعوبة خلف رأسها من فرط كثافته ونعومته.

التفت (ريمنكين) كما يحب أن يخاطبه الناس إليها مندهشاً:

"كيف ذلك؟".

تدخلت أنا:

"سوف تعرف حالاً كيف".

ارتكز بذقنه على راحة يده كي يري ما الذي سأفعله.

"عزيزتي (ميا) كيف حالك اليوم؟".

أجاب صوت الحاسب الآلي الأنثوي، الذي يساعدنا في عملنا داخل المكان:

"أنا بخير.. كيف حالك يا د.(فاديم) اليوم؟".

"في أحسن حال ..(ميا) رجاء.. أريد منك أن تقومي بشيء من أجلي".

"بالطبع د.(فاديم).. ما الذي يمكن أن أقدمه لك اليوم؟".

صاح(ريمنكين) معترضًا:

"لابد وأنتك تمزح أليس كذلك؟.. ستستعين بالحاسوب؛ لكي يقلص لك الاحتمالات؟!".

"عزيزتي هل يمكنك أن تفحصي لنا التقارير، التي وردت لدينا عن أسباب وقوع حادثة سقوط الطائرات بالأمس؟".

ثم التفت إلى (ريمنكين):

"فقط انتظر وشاهد".

"كيف تريدني أن أفحصها د.(فاديم)؟".

"هل يمكنك الانتظار لدقيقة يا(ميا)؟".

"بالطبع .. د.(فاديم)".

نظرت إلي الجميع وأنا أسأل:

"في رأيكم.. كيف يمكننا تقليص هذا العدد من التقارير بشكل لا يتعارض مع أهمية ما قد جاء فيها؟".

"نحذف التكرار والتشابه إن وجد".

هتفت(مارلينا).

"يمكننا أيضًا أن نقارن ما بين الاستنتاجات الغير منطقية أو ال...".

صمتت صاحبة الاقتراح بشكل مفاجئ.. فقد كانت هي أصغر الجالسين، التي تدعي (أوديت) .. (أوديت مونرو) فتاة رائعة.. ضئيلة الجسد.. ذات شعر مصفف بصورة مجعدة معقود خلف رأسها يتموج لونه ما بين البني والأصفر.. تملك وجهًا ببشرة ناصعة البياض حتى تكاد تتصور أن ملامحها على وشك أن تختفي وسط هذا الوجه.. هي باحثة حديثة التخرج، قامت بعدة أبحاث تتمحور حول دراستها للأرصاد الجوية، وتأثير الطقس على كل من الطيران، وتأثير الاستخدام الواسع للإلكترونيات على الغلاف الجوي للأرض.. ودائمًا ما تصاب بالخجل ولا تستكمل حديثها الذي بدأته!

"(أوديت) .. أريد عبارة كاملة من فضلك".

ابتسمت وقد غلبها خجلها وهي ترد:

"معذرة د.(فاديم) .. كنت أريد أن أقول أنه يمكننا أن نحذف ما هو غير منطقي أو متناقض من الاستنتاجات التي لدينا".

التفت إلى(ريمكين) متسائلًا:

"أليدك ملاحظات؟"

رفع يده هاتفًا:

"هل يمكنني أن أسجل اعتراضي على هذه الطريقة في البحث؟".

ابتسمت من عبارته:

"(ميا).. أريد منك أن تقومي بتلخيص ما لديك من تقارير؛ بأن تحذف المضمون المتكرر، وتفصلي كل مضمون متشابه وتقومي بدمج التقارير المتشابهة".

"حسنًا د.(فاديم)".

مضت خمس ثوان حتى انبعث صوتها من جديد:

"لقد انتهيت يا د.(فاديم)".

استرخيت في مقعدي متحدثاً (ريمكنين) الذي تساءل:

"هل أنت متأكد من أنها قد فحصت كل التقارير؟".

لم تتمالك (مارلينا) نفسها من الضحك بينما سيطرت على نفسي وأنا أحادثه:

"أنت تتحدث عن كمبيوتر.. لديه الكثير من المعالجات.. يمكنه التفكير واتخاذ القرار في جزء من الثانية وليست عدة ثوان".

"ما زلت لا أفضل إتباع هذه الطريقة".

هتفت أنا:

"(ميا) يبدو أن د.(كلايد) هنا لا يحبك.. ما رأيك؟".

اندفع الصوت الأنثوي قائلاً بثقة:

"لا يمكنني أن أجبر الجميع على حبي.. فإن كان لا يحبني فهذا حقه، ولكن كملاحظة - ليس أكثر - أنا أيضًا لا أحبه".

بدأت أمارات الاندهاش على وجه (ريمكين) بينما تابعت (ميا) الرد:
"هذا ما يقتضي العدل!".

بعد أن صمت الجميع ما بين مبتسم وساخط عادت صوت (ميا) يتساءل:
"د. (فاديم) أعتقد أنك تود الاستماع إلى النتائج أليس كذلك؟".
"بالطبع".

"حسنًا في هذه الحالة كان لدي ثلاثة وتسعون تقريرًا، منهم عشرون تقريرًا جانبهم الصواب؛ لتناقض الأدلة التي أتوا بها.. تبقى ثلاثة وسبعون تقريرًا.. تم استبعاد ثماني وخمسين تقريرًا؛ لعدم الارتباط بشكل رئيسي بالحدث، وتم دمج المتشابهات، وحذف التكرار من خمسة عشر تقريرًا متبقي لتصل النتيجة في النهاية إلى ثلاثة تقارير، هي التي تحتوي على احتمالات مختلفة.

نظرت إلى (ريمكين) وأنا أشير إلى المكان الذي يقع فيه الحاسب الآلي المسؤول عن (ميا) قائلاً:

"هل رأيت؟.. الآن سنقوم بالتركيز على ثلاثة احتمالات، بدلاً من ثلاثة وتسعين احتمالاً، وكل هذا في غضون دقيقتين.. هل هناك أفضل من ذلك؟".

"وما الذي أدرانا أنها لم تستبعد آراء هامة، ظنًا منها كما تقول أنها خاطئة أو متناقضة؟".

هنا تدخلت (ميا):

"هذا لم يحدث؛ لأنني قبل أن أبدأ بفحص التقارير نفسها، قمت بإجراء كشف شامل على خلفية كل العلماء المشاركين في كتابة تلك التقارير العلمية.. خلفيتهم العلمية وسيرتهم الذاتية بالطبع.. ألفان وثلاثمائة وخمسة وثمانون عالمًا حول العالم شاركوا في إعداد تلك التقارير، التي هي بين أيدينا اليوم هنا، وما قمت باستبعاده من الاحتمالات لتناقضه كان ليس فقط اعتمادًا على أخطاء بشرية بحتة، بل وكان أيضًا بناء على خبرة هؤلاء العلماء ومسيرتهم السابقة، ومعدل الأخطاء التي وقعوا فيها في أثناء مسيرتهم.. أعلم أن الأمر يبدو بسيطاً وأعلم أيضًا أنك دومًا ما لديك تلك النظرة الخاطئة تجاه سرعة إنجاز شيء ما ربما لا تعني بالضرورة إتقانه.. ولكن هذا هو عملي وهذا ما أفعله".

علق (ريمنكين) ساخرًا:

"إذن وكيف قمتي باستثناء التقارير بناء على تاريخ أخطاء واضعي تلك التقارير؟ هل قمتي باختيار صاحب أقل عدد من الأخطاء؟".

لاحظت ابتسامة خفية في نبرة صوت (ميا) وهي ترد:

"توقعت أنك سوف تقول هذا.. بالعكس لقد قمت باختيار أصحاب الأخطاء الأكثر عددًا بالطبع".

هنا لم يتمالك (ريمنكين) أعصابه وهو يلتفت إليّ:

"هل هي تمزح معي؟.. هل تظن أن هذا وقت مثالي للمزاح؟".

قبل أن أحاول أن أرد سبقتني هي:

"د.(كلايد).. أنا لا أمزح أبدًا.. دائمًا الإنسان صاحب أكثر الأخطاء هو دومًا الأفضل في مجاله والأكثر خبرة.. أخطاء كثيرة جدًا.. تعني أنه قد قضى وقتًا ليس بالقليل في تجاربه وأبحاثه.. وتعني أنه لا يخشى من الخطأ.. والدليل على هذا كثرة أخطائه.. فهو يحاول دائمًا.. لا يستسلم بسهولة.. وكل من هم أصحاب الخبرة من أصحاب التقارير التي بين يديكم هم أصحاب أعلى معدل في الوقوع في الأخطاء.. لهذا هم الأفضل دائمًا".

تدخلت(مارلينا):

"حسنًا شكرًا لك (ميا) على جهدك.. هل يمكنك أن تعرضي علينا النتائج النهائية لعملية المعالجة التي قمتي بها؟".

صدقته على كلامها:

"(ميا) قومي بتنفيذ ما أمرتك به د.(مارلينا)".

"حسنًا".

إن الأسباب التي اقترحتها التقارير الصالحة لتفسير الحادث، الذي وقع هي الآتي بترتيب توقيت إدراج التقارير:

* مؤثر خارجي أدى إلى عطل في المحركات وأجهزة التحكم.

* أحد عيوب الصناعة المتعلقة بالتصميم، الذي يتم تصميم الطائرات عليه هذه الأيام.

* عمل إرهابي.

هذه هي الأسباب التي ذكرت في التقارير الثلاثة المتبقية".

نظرت إليهم لأستنبط تأثير ما قالته للتو(ميا) على وجوههم.

كان وجهه(ريمكين) لا يزال متشتتًا ما بين الحيرة، وقليل من الغضب وعدم الفهم.

بينما كانت(مارلينا) تستمع ببطء وانتباه وتركيز كامل وشاركتها في هذه الحالة (أوديت).

لم تعلقا لدقائق وكل منهما تستعيد الاحتمالات داخل رأسها فهتفت:

"(ميا) رجاء.. نريد النتائج معروضة فوق جدار العرض".

انطلق من خلفهم شعاع ليزري مركب يحتوي على العديد من الألوان المتداخلة، التي تتغير بسرعة مع تغير ما هو معروض أمامهم، وأضاء في الناحية الأخرى المقابلة لجلوسهم الجدار المقابل، وتغيرت إضاءته من اللون الأبيض بنعومة إلى لون أزرق باهت، يماثل لون السماء الصافية، وبدأت السطور تظهر فوق الشاشة بشكل متتابع.

سألتهن:

"والآن ما الذي يمكن أن يكون المسؤول عن سقوط كل هذا العدد من الطائرات بشكل مفاجئ؟".

سألت (مارلينا):

"ألن تشترك معنا في هذا النقاش؟".

أجبت:

"بالطبع سأشارك.. إلى الآن أعتبر نفسي أول المشاركين، ولكني فقط أنتظر؛ لأستمع إلى آرائكم ونعيد تقييمها سوياً".

مطت شفتيها وهي تنتظر مجدداً لجدار العرض ثم رفعت يدها:

"حسناً سوف أبدأ أنا.. أنا أعتقد أن مؤثر خارجي أدّى إلى عطل المحركات سيكون الاحتمال الأرجح".

التفت إليها الآخرون ثم أعاد كل منهم النظر إلى المکتوب أمامه مرة أخرى؛ لتقول (أوديت):

"أعتقد أن الأمر محير بعض الشيء.. فأنا أظن أن أغلب ما هو مكتوب هنا يمكن بقوة أن يكون هو السبب".

قمت بالطرق بسبابتي فوق الطاولة عدة طرقات متتالية:

"حسناً.. ماذا عن استبعاد ما هو غير ممكن من هذه الاحتمالات أيضاً!".

استدرت بالمقعد مجدداً لأواجه الاحتمالات المعروضة.

"لا يمكن أن يكون هناك عيب في التصميم العام للطائرات؛ لأنه بشكل بديهي لم تسقط كل الطائرات التي كانت تحلق في الأجواء في ذلك الوقت.. لقد سقط فقط هذا العدد!.. ما رأيكم؟".

ظل الجميع يستمع باهتمام دون أن يعلق أحد.

"أنا ما زلت أرى أنه من الأفضل أن نرى ما حذفه الكمبيوتر من احتمالات.. الأمر لا يخل من تسرع أو خطأ".

سألت (ريمكين) صاحب الاعتراض:

"لماذا أجد لديك إصرار يتعاضم بمرور الوقت على أن تشكك في مدى كفاءة الذكاء الاصطناعي لدينا؟".

"هذه وظيفتنا كعلماء.. أن نشكك بكل الثوابت التي توجد لدينا.. ولا نرتكز في قرار اتنا واستنتاجاتنا سوى للعلم والعلم فقط".

نظرت إليه وقد أصابتني عبارته بالدهشة:

"أليس هذا الذكاء الاصطناعي هو الآخر أحد نتائج العلم؟".

"في مثل تلك الأوقات الحالكة - أعني في أوقات الأزمات - يجب اتخاذ الطرق الأكثر سلامة دومًا".

"أرجو ألا يغيب عن ذهنك أننا نصارع الوقت هنا.. نحن نتحدث عن صناعة قد تكون أصيبت في مقتل، وعن عدة وسائل رئيسية للمواصلات والتنقل حول العالم تم إيقافها لحين إشعار آخر.. العالم الآن يعيش دون طيران بشكل كامل، ودون أية رحلات للفضاء الخارجي..

ونحن جميعًا نعلم مدى أهميتهم بالنسبة لحياة الإنسان في مثل هذه الحقة.. لذلك فأنا أتحمل كل الأضرار التي قد ينتج عنها لجوئي إلى مثل هذه الطريقة.. بينما الأهم الآن هو الوصول إلى إجابة ومعرفة تفسير لما حدث".

أشرت بعدها إلى جدار العرض، وأنا أتبادل النظر بينهم متسائلًا:
"أعتقد أننا نفتقد مشاركتك يا (أوديت)".

نظرت (أوديت) إلى ما هو معروض أمامها من احتمالات، ولم تعلق بل كانت تبدو حائرة كعادتها.

"عزيتي لا يوجد لدينا الوقت للحيرة.. عليك قراءة ما هو موجود أمامك؛ ثم تخبرينا برأيك فيه بلا تردد أو خجل".

كانت دومًا ما تصاب بالحرج عندما تطالب بأن نتحدث أمام مجموعة من الأشخاص.. الأمر الذي تفاقم عندما خاطبتها بشكل مباشر، وأشرت إلى علتها.. ليست الحيرة.. وإنما الخجل.

"حسنًا أظن أنني سأختار وجود مؤثر خارجي.. وأعتقد أنه يتساوى لدي مع وقوع عمل إرهابي.. لماذا لم يناقش أحدكم تلك الفرضية؟".

أتي ردي مباشرًا:

"إذا كان عملاً إرهابيًا فقد مضى إلى الآن ما يقرب من عشر ساعات، دون أن تعلن أي جهة مسؤوليتها عما حدث.. ويفترض بمن يقومون بمثل هذا النوع المفرط في القوة والتدمير، وعلى هذه الدرجة العالية

من البراعة؛ ويقومون بإسقاط كل هذا العدد من الطائرات، وفي وقت متزامن فلا بد لهم أن يظهروا للعالم.. هذه القوة لا بد لها من أصحاب ليحصدوا الإعجاب والخوف من الجميع".

أردفت (أوديت):

"تفسير منطقي ..".

تدخلت (مارلينا):

"هناك شيء مستتر في داخل هذا الحادث، يجب علينا أن نعثر عليه".

نظرت إليها بوجه متساءل:

"شيء مثل ماذا؟".

هزت (مارلينا) كتفيها ووجهها انتقلت إليه نفس عدوي التساؤل:

"كيف لي أن أدري؟.. لكن ما أستشعره هنا هو أنه هناك شيء ما .. شيء ليس في مكانه الصحيح هنا".

سألت (أوديت):

"مثل ماذا؟".

فكرت (مارلينا) لعدة ثوان ثم قالت:

"هل تم عمل محاولات أخرى للطيران منذ أن تم إيقاف الطيران على مستوى العالم؟ .. أعني هل حلق أي شيء بعد توقيت إيقاف الطيران العالمي؟".

قال (ريمنكين) مستنكراً تساؤلها:

"وكيف يمكن أن يحدث مثل هذا؟ .. إجابة تساؤلك تتواجد في النصف الثاني منه".

نظرت إليه (مارلينا) مستفهمة، وكأنها تحاول إعادة التفكير فيما قالته؛ ثم انتبهت لمقصده؛ فضحكت ضحكة خفيفة وأتبعته بقولها:

"لم أعن ذلك بشكل رسمي.. أعني ماذا عن أية محاولات طيران من طرف قوات الجيش على سبيل المثال؟".

"مثل هذه التحركات بالطبع لن يعلن عنها للعامة أمثالنا".

جاوبتها فوراً.

"هذه الأزمة لم تفرق ما بين العامة والخاصة وقامت بإيذاء الجميع.. بالطبع أنا أفهم معني مثل هذا الرد ..لذا.. هل يمكنك التواصل مع رئاسة الوزراء؛ لتنتقل إليهم مثل هذا الاقتراح.. نريد أن يتم عقد اتفاق بيننا وبين عدة دول، لتكن دولتين في البداية على أن نقوم بمحاولة اختبار للمجال الجوي.. نريد أن نطلق بطائرة واحدة في كل دولة.. ونري ما الذي سوف يحدث لتلك الطائرات.. ويمكن أن يتحدد المكان فوق مناطق غير مأهولة بالسكان، ربما في الصحراء مثلاً، بحيث إنه إذا حدث ووقع أي مكروه أو إذا تكرر الأمر وسقطت الطائرات؛ فعندها

لن تتجاوز خسائرننا سوى ثلاث طائرات.. ومع تزويد طياريتها بمظلات للطوارئ؛ بالتالي لن تكون هناك خسائر في الأرواح.. هذا من شأنه أن يجيب على تساؤلات عديدة وفي وقت قياسي".

<<حسنًا.. هذه فكرة جريئة لم أكن أتوقع أن تأتي بمثل هذه السرعة>>.

سألت:

"هل تشرحين لنا الذي تفكرين فيه يا د.(مارلينا)؟".

مطت شفيتها وهي تقوم بتدوير أحد الأقلام التي أمامها بين أصابع يديها:

"فكرتي تتلخص ببساطة في أنه لسبب ما مجهول إلى الآن أصبحنا غير مسموح لنا بالطيران في سماء العالم بأسره.. وما حدث قد حدث بشكل سريع جدًا ومفاجئ، ولم يتوقعه أحد، ولم يعلن أحد مسؤوليته عن الحادث أيضًا.. والمثير للاندعاش أيضًا هو لماذا لم تسقط جميع الطائرات التي كانت تحلق في الجو بأكملها؟ لماذا هذا العدد فقط؟ هذا أيضًا أمر يثير الاستغراب، ويفتح الباب أمام بعض محاولات جديدة للطيران.. أعني.. ولمَ لا نحاول مجددًا؟".

<<كانت فكرتها بالفعل عبقرية بسيطة ومباشرة تستحق الإشادة بالفعل.. إلا أنه هناك فارق شاسع ما بين الإشادة والتنفيذ.. روعة الفكرة لا تعني أنها تستحق المجازفة>>.

"فكرة رائعة.. سوف أعرضها على رئاسة الوزراء بالفعل".

ابتسمت(مارلينا) للاستجابة السريعة لاقتراحها.

قمت بالتقاط سماعة الهاتف الدقيقة من جيب السترة الداخلي، ووضعتها داخل أذني، وأنا أضغط زر تشغيلها:

"اتصل برئاسة الوزراء".

طلب المتصل الآلي الرقم في خلال ثوان، وقمت بنزع السماعة من أذني ووضعتها أمامهم على المكتب :

"قم بتشغيل مكبر الصوت".

أتى صوت أنثوي من الطرف الآخر:

"مرحبًا بك د.(فاديم).. كيف حالك؟.. نتمنى أن نجد لديك جديدًا".

ابتسمت لتساؤلها فأنا أعلم جيدًا أن الجميع يجلس على أعصابه، وينتظر إجابات شافية لمثل تلك الكارثة، إلا أنه الأمر بالفعل غاية في التعقيد هذه المرة.. أو هكذا يبدو الأمر.

"أنا بخير.. شكرًا لك يا (بيث).. في الحقيقة كنت أتمنى ذلك، ولكن نحن نحتاج إلى مزيد من الوقت للأسف.. ولكن إلى أن يأتي الحين الذي أعطيك فيه الإجابات التي ترضي الجميع.. هل يمكننا أن نطمح في القليل من المساعدة؟".

"بالطبع د.(فاديم) نحن رهن إشارتك".

>> هذا ما يجب أن تكونوا عليه بالفعل عندما تتعاملوا مع شخص بمثل قدرتي <<.

"أنت الآن معك على نفس هذا الخط صفوة من أعظم علمائنا، واحدة منهم كان لديها اقتراح، وكانت تتساءل ما إذا كان يمكن أن تقوم رئاسة الوزراء بالمساعدة في تحقيقه".

"حسنًا ما هو؟".

"هل تمت أية محاولات للطيران بعد وقوع تلك الكارثة؟".

أجابت على الفور:

"كلا بالطبع.. أنت تعلم بنفسك أنه قد تم إعلان إيقاف حركة الطيران العالمية لحين إشعار آخر".

"وماذا عن حركة الطيران غير الرسمية.. أو الحربية؟.. ماذا عن الدول التي ربما لم تلتزم بهذا التحذير، وتوقف حركة الطيران لديها.. هل حدث شيء مثل هذا؟".

صمتت (بيث) لثوان ثم أجابت:

"أنت تعلم أنه لا يمكنني أن أخبرك بأية تحركات سرية تخص سلاحنا الجوي.. بل ولا يمكنهم هم إخباري إلا في حالات الضرورة القصوى فقط".

"أليست هذه حالة من حالات الضرورة القصوى؟!".

"أنا أعلم ذلك.. ولكن..".

قاطعتها:

"لا أريد أية بيانات تفصيلية، أريد فقط أن أعلم هل حاول أحدهم الطيران بعد وقوع حوادث الطائرات؟ وما الذي حدث معه بعدها؟ ما أريده هو إجابة هذه التساؤلات".

"حسنًا.. لم يرد إلى علمنا عن اتخاذ أية محاولات مثل ما تقول، سواء هنا أو لدى أية دول أخرى عن أية محاولات مجازفة للطيران.. لم ترد إلينا أية أخبار تتعلق بهذا الشأن للأسف".

هتفت (مارلينا) متسائلة:

"هل يمكننا التنسيق مع أي دولة أخرى بأن نختبر الطيران مجددًا بطائرات هيكليّة وتزويد الطيارين بوسائل للإقناذ؟".

"لا يمكننا أن نقوم بذلك بأنفسنا.. يمكننا بدء المشاورات، ولكن لكي نستطيع إقناع حتى أنفسنا لابد وأن تكون بين أيدينا بعض من البيانات، التي بشكل أو بآخر تشير إلي أن ما سنفعله سيقودنا إلى شيء ما".

مطت (مارلينا) شفثيها باستياء.. فقد كان الرفض المنطقي المنمق غير متوقع بينما تابعت (بيث):

"ولكن هناك شيء أعتمد أنكم لم تعلموا بشأنه بعد".

التفت الجميع وأنا أولهم باهتمام شديد تجاه سماعة الهاتف وأنا أسألها:

" ما هو؟".

"لقد وردتنا أنباء بأنه هناك شركة اتصالات مصرية سوف تقوم بإرسال مكوك فضائي للقمر في غضون الساعات القليلة القادمة.. رغم كل التحذيرات فقد أعلنوا أنهم لا يمكنهم الانتظار؛ لأن هذا الأمر متعلق بأعمال خاصة بهم على سطح القمر، ولذلك فإنهم أعلنوا تحملهم الكامل لآلية أضرار يمكن أن تنتج عن إرسال المكوك، ومع أخذ تعهد بأنه إذا أصيب بنفس المشكلة وفقد قائديه التحكم فيه؛ فسوف يتم نسفه في الجو حتى لا يتحطم فوق منطقة مأهولة بالسكان، ولقد وافقت حكومتهم على هذا أيضاً!.. وهناك أيضاً شركة صينية تنوى إرسال عدة طائرات؛ لتبادل صفقة سرية مع كوريا الجنوبية.. رغم كل ما حدث.. فلم تبلغنا أية أنباء بتغيير ميعاد تلك الصفقة ويفترض أنها ستتم قريباً".

>>ما هذا الهراء الذي تقوم به تلك الدول؟.. ثم كيف يمكن أن توافق أي حكومة مهما كانت على التفريط في سلامة مواطنيها بهذا الشكل؟.. ألا يوجد لدى هؤلاء البشر أي اعتبار لحياة مواطنيهم؟!<<.

"حسناً أعتقد أن مثل تلك الأنباء ربما تكون مفيدة، ولكنها ستصبح كذلك بمجرد أن يستقر أي منهم في رحلته، ويصل إلى وجهته بسلام.. هل يمكن أن أسأل عن بعض التفاصيل الإضافية عن تلك الرحلات؟ "

بدأت نبرة المتحدث متشككة:

"هذا يتوقف على نوع التفاصيل".

ابتسمت متفهماً لتشككها وأنا أسألها:

"من الذي سيبدأ منهما بالتحليق؟ .. وهل يمكن أن أعلم متى سيقوم هذا الأول بالتحرك؟".

صمتت هذه المرة طويلاً وهي تستدعي الإجابة من مصدرها ثم قالت بحذر:

"سيبدأ المصريون بإرسال مكوك الفضاء الخاص بهم في غضون ربما ثلاث ساعات من الآن.. ربما أقل.. أنتم تعرفون جيداً أنهم دومًا لا يكثرثون بأهمية الوقت كما هو معروف عنهم".

صمت الجميع ...

اقتراح (مارلينا) لا يمكن تنفيذه.. ولكن على صعيد آخر هناك بالفعل مغامرون آخرون حمقي سيجازفون بحياتهم من أجل أنفسهم.. ويمكننا اعتبار أن مجازفتهم هذه ستكون لأجل العالم أيضاً!

نظرت إلى الجميع وأنا أسأل:

"حسنًا هل لديكم أية تساؤلات إضافية في الوقت الحالي؟".

أشار الجميع بالنفي برؤوسهم وحتى أنا لم تكن لدي أيضاً المزيد لأسأل بشأنه:

"كلا.. شكرًا لك يا (بيت) على المعلومات القيمة، التي بالطبع ستكون مفيدة لنا في إعادة تقييم الأمور سنوافيك بكل ما هو جديد.. الوداع... إنهاء الاتصال".

سادت بضع لحظات من الصمت..

<>والآن ماذا؟!>.

سأل (ريمنكين):

"والآن .. ماذا عما تبقى لدينا؟".

نظرت إليه بتساؤل فتابع هو:

"أعني أنه لا بد وأن نتوصل لاحتمال مبدئي يمكننا أن نسعي خلفه.. ليس من المنطقي أن كل الأسباب المحتملة جميعها تستحيل الحدوث".

هزرت كتفي وأنا أؤكد:

"بالطبع مستحيل".

استند بوجهه على راحته وهو ينظر إلى جدار العرض مجدداً:

"مؤثر خارجي أدي إلى عطل في المحركات وأجهزة التحكم.. أعتقد أننا ربما نصل من هنا إلى شيء..".

تأملته في اهتمام.. لأنني لدي ولع غير طبيعي بالأفكار الجديدة والغريبة.. وأريد أن أتابع ما الذي سينتج عنه اجتماع تلك الحفنة من العقول.

التفت (ريمنكين) إلى (مارلينا) متسائلاً:

"د.(مارلينا).. هل من الممكن أن تكون هناك ظاهرة طبيعية مسؤولة عما حدث؟".

فكرت (مارلينا) لثوان قبل أن ترد:

"كلا.. الاحتمال الوحيد لأن نجد مثل ما هو أمامنا.. هو أن تكون هناك عاصفة شمسية عاتية هبت بشكل مفاجئ.. لم تنتبه إليها أقمار مراقبة النشاط الشمسي.. وهناك شيء آخر.. العواصف الشمسية لا ينحصر تأثيرها فقط على حركة الطيران.. بل يؤثر أيضًا على بعض الأقمار الصناعية غير المزودة بأنظمة حماية ضد الإشعاع الشمسي، وعلى شبكات الاتصالات، وشبكات الطاقة الكهربائية.. ومن أجل هذا في المقام الأول أنشأت ناسا سلسلة أقمار كاملة مخصصة لدراسة النشاط الشمسي.. عندما يحدث هذا.. أعني.. إذا حدث هذا.. وباغتتنا إحدى العواصف الشمسية فنحن لابد وأن نعلم بشأنها في أسوأ تقدير قبيل وصول العاصفة الشمسية للأرض بثماني وأربعين ساعة.. هذا إذا كنا متأخرين جدًا.. أي طفل يدرس الفيزياء اليوم يمكنه أن يعرف هذا!"

"ألا توجد أية ظواهر طبيعية أخرى يمكنها أن تكون السبب في ذلك؟"

أخذت (مارلينا) تفكر مجددًا... هذه المرة تأخرت لما يقرب دقيقتين ثم ردت:

"إن كان هذا الحادث بسبب أحد الانقلابات العنيفة للمناخ.. فلم ندرس ظاهرة مناخية يمكن أن يتسع تأثيرها ليشمل أكثر من نصف الكرة الأرضية في نفس التوقيت!"

<<اللعة.. هذا النقاش رائع بالفعل.. هؤلاء القوم رائعون حقًا>>.

...

نظر إليّ (ريمنكين) وهو يقول:

"لا بد وأن ما حدث هناك سعى أحدهم لتحقيقه.. لا يمكن أن يكون للأمر حل آخر".

هنا تملك الاهتمام من الجميع وتحول وجه الكل لترتكز أنظارهم على وجه (ريمنكين) وأنا أسأله:

"ماذا تعني؟".

"لا شيء مما سبق يمكنه أن يفسر ما حدث.. معنى هذا أننا سوف نعود إلى نظرية العمل الإرهابي مجددًا.. لا توجد أية احتمالات منطقية أو طبيعية أو حتى من منطلق الصدفة، يمكن أن ينتج عنها كل هذا العدد من الحوادث في وقت متزامن.. علينا الاستعلام من وزارة الدفاع إذا كان لديهم أية أسلحة سرية يمكنها إحداث مثل ذلك التأثير.. أو ربما لديهم بعض من المعلومات عن يمتلك هذا النوع من الأسلحة، الذي يمكنه إحداث مثل هذه الأضرار.. إذا كانت تلك الفرضية صحيحة بالفعل عندئذ يمكننا التوقف عن البحث وترك الأمر بين يدي وزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات الأمريكية ورئاسة الوزراء".

نظرت إليّ البقية وأنا أسألهم:

"ما رأيكم؟".

أومات (مارلينا) برأسها إيجابًا في البداية.. لتتبعها (أوديت) مستسلمة والأولي تقول:

"أتفق مع د.(كلايد) في طرحه.. يمكن أن نتشاور الآن مع رئاسة الوزراء لعرض وجهة النظر عليهم ولنرى كيف سيكون ردهم".

<<... نعم ..ربما... لم لا؟!>>.

نهضت من مقعدي، وأنا انظر تجاه(أوديت)؛ لأشير لها إذا ما كان لديها تعليقاً لتضيفه؛ فأشاحت بيديها أنه لا تمتلك شيئاً لتضيفه.. فخاطبتهم جميعاً:

"حسنًا.. سوف نأخذ استراحة حتى أذهب لأبلغهم بآخر ما توصلنا إليه.. وسنجتمع هنا مجددًا بعد ساعة من الآن"..

"(سليم).. أين أنت؟".

هتف (عطاء) منادياً ليّ بينما نحن في سيارته نتجه في طريقنا للقاعدة الشرقية، وأدي نداءه إلى أن أخرجني من تفكيري لثوان:

"هل أصابك العمى يا (عطاء)؟!.. أنا أجلس بجانبك.. لا داعٍ لأن تصيح في وجهي هكذا".

تبدلت نظراته ما بين فحص الطريق ببصره وبين النظر إليّ متسائلاً:

"وأين عقلك الآن؟.. فيم تفكر؟".

"هل كنت تصيح من أجل ذلك؟".

نظر إلى بنظرة المتشكك:

"أنا أخاف عندما تدخل في مثل هذا الصمت المطبق.. لقد انطلقنا منذ ما يقرب من عشر دقائق ولم نتحدث خلالها بحرف واحد.. لذلك نعم.. صمتك هذا يقلقني".

أرخيت رأسي على مسند الرأس بالمقعد، وأنا أغمض عينيّ قائلاً بهدوء:

"لا داعٍ للقلق.. لا أشعر برغبة في الحديث ليس أكثر".

"ما الذي تتوى أن تفعله معها؟".

اعتدلت وأنا انظر إليه:

"أنت لا تتعلم ألا تتوب.. يبدو أنني لم أصدم رأسك بقوة كافية في المرة السابقة.. توقف عن الحديث عنها..

لم يعد لها وجود لا تصر على ذكر سيرتها أمامي مجددًا".

عادت النبرة القلقة تستحوذ على صوته، وهو يقول:

"إذا حدث ما أخشاه فهذا لن يكون شيئًا جيدًا أبدًا".

"وما هذا الذي لن يكون جيدًا؟".

"كفاك مراوغة.. أنت تفكر في أن تلتقي بها مجددًا.. أليس كذلك؟".

"لماذا يفكر خيالك المريض في أنني سوف أحاول التواصل معها مجددًا؟".

"لأنني أعرفك جيدًا".

>>بيدو أنه يشعر بما بذلت قصارى جهدي لأخفيه.. وسأظل أخفيه مهما ظل يواجه به، يستشعر الحيرة وصراع المشاعر في داخلي.. ما بين كبح غضب مستعر، والتزام هدوء يجب وجوده لإتمام عملي.. الأمر في غاية الصعوبة فعلاً<<.

"أنت وهو أجسك هذه ستؤدي بك إلى حتفك يوم ما".

صمت(عطاء) للحظات.. ثم عاود السؤال:

"هل ستتصل بها؟".

نظرت إليه وأصابني الملل من هذا النقاش:

"لماذا تهتم؟".

"لأنك صديقي يا (سليم).. واجبي أن أهتم".

"وحقي أن أمتنع عن الحصول عن مثل هذا الاهتمام".

"لا يمكنك أن تظل هكذا طوال عمرك.. لابد أن تتغير".

ظلت صامتاً ولم أعلق على حديثه.

نظر (عطاء) إلى الطريق لما يقارب دقيقتين غلفتا الأجواء خلالها بالصمت، ثم التفت إلى مجدداً:

"(سليم)؟"

"ماذا تريد؟".

"من واجبي كصديقك أن أخبرك أنني قلق بشأنك بجدية.. كل ما أحاول فعله؛ لأنني أريد أن أراك أفضل مما أنت عليه".

"ربما ما تراه أنت الأفضل بالنسبة لي.. لا يكون الأفضل بالفعل!".

صاح (عطاء):

"(سليم).. كفاك هذه الفلسفة".

هزرت أكتافي وأنا أرد ببرود:

"حسنًا.. أعتقد أنك توصلت إلى شيء من وسط كل هذه الفلسفة".
"ماذا تقصد؟".

"اتركني ..بمفردي".

مط(عطاء) شفتيه، وقام بتثبيت بصره على الطريق أمامه، ولم يحاول أن يتحدث مجددًا.

<لقد انطلت عليه الخدعة>...

هنا انطلق رنين هاتف(عطاء) المحمول؛ فأخرجه من جيب سترته؛ ووضعهُ فوق المكان المخصص لتثبيته في لوحة قيادة السيارة، وهو يضغط شاشته ليستقبل المكالمة عبر مكبر الصوت:

"(عطاء حلمي)".

"مرحبًا بك يا (عطاء).. هل اقتربتم من الوصول؟".

كان هذا هو صوت المدير.

"أماننا حوالي عشرين دقيقة سيدي".

رد المدير:

"جيد .. هذا يعني أنكما اقتربتما".

سألته:

"هل حصلنا على تصريح بالموافقة؟".

بدا صوت المدير مترددًا بعض الشيء وهو يرد:

"ليس بالضبط".

"معذرةً.. ماذا قلت؟".

صمت الرجل للحظة ثم تابع:

"للأسف لا يمكن لرئاسة الوزراء أن تعطي لنا تصريحًا بالموافقة على ذهابك إلى القمر يا (سليم) الآن".

"إذن لا فائدة من ذهابي الآن".

هتف المدير:

"أنا لم أستكمل عبارتي.. لا يمكن الموافقة على ذهابك إلى القمر باستخدام مكوك آلي.. لا يمكن المخاطرة بأن يتعطل المكوك في أثناء رحلته؛ ويسقط بك فوق أحد الأماكن المأهولة.. وهذا إذا حدث قد يضطروا إلى نسفك وأنت ماتزال بالسماء".

سألته:

"إذن؟!!".

"لابد وأن يرافقك قادة المكوك.. طيار أول وطيار ثان".

>>ما هذا الهراء الذي يقوله؟.. قادة.. وليس قائدًا واحدًا.. كيف يمكن أن يكون هذا قابلاً للتصديق؟.. اللعنة.. لقد بدأت الأمور بالفعل تتخذ المنحني الأصعب من الآن<<.

"هل يمكنني أن أسأل لماذا سيصحبني اثنان من الطيارين؟.. أنا لست بمثل هذه الأهمية".

"هذه هي الأوامر التي أصدرتها رئاسة الوزراء إلينا.. لا يوجد أية آلات ذاتية القيادة سيسمح لها بالطيران داخل أو خارج الغلاف الجوي للأرض".

"حسنًا.. لماذا أكثر من طيار؟".

"الحكومة قلقة من أنه ربما يحدث احتمال بدرجة واحد في المائة بأن يصيب الطيار مكروه، أو ربما يموت على متن المكوك.. من أجل هذا لابد من وجود طيار آخر احتياطي في حالة وفاة الطيار الأساسي".

>>حسنًا.. المعتاد حاليًا في أي طائرة أو مكوك فضائي يطير في مثل هذه الأيام أن يكون مزودًا بقائد آلي، وقائد بشري و كليهما بديل كامل للآخر.. ما الفائدة في أن يتم المخاطرة بحياة قائد إضافي في رحلة تقليدية تستغرق عدة ساعات، وقمنا بالذهاب إلي هناك مئات المرات من قبل، ولم يكن هناك مثل هذه الاحتياطات التعسفية>>.

"حسنًا.. ليس لدي مشكلة.. هل هناك أية تفاصيل أخرى ينبغي أن أكون على دراية بها؟".

أجاب المدير:

"كلا.. سنوافيك بأية تطورات إذا استجد أي شيء".

ضغطت زر إغلاق المكالمة بينما تساءل(عطاء):

"حسنًا.. هذا غريب!"

<<لا بد وأنه سيحاول أن يعاود الكرة من جديد>>.

أخرجت هاتفي المحمول من جيبي؛ وأخذت بالتظاهر بتصفح صفحات الأخبار على شبكة الإنترنت؛ لكي يشعر أنني أتجاهله متعمدًا..

"أنت تتجاذب مع فكرة أن يكون لك مرافقان بشكل طبيعي هذه المرة.. أنت دومًا تكره هذا".

نظرت إليه وأنا ابتسم:

"حسنًا.. يبدو وأنه ليس لدي أي خيار آخر".

"هل عدت إلى عادتك القديمة، وتقوم بتصفح صفحتها الشخصية كما اعتدت أن تفعل؟".

<<...لم لا؟!>>.

قمت بتغيير خصائص الشاشة؛ بحيث لا يرى ما يعرض عليها سواي، وقام الهاتف بمسح قرنية عيني للتأكد من أنني المستخدم الرئيسي.. ومنع (عطاء) من أن يري ما الذي أفعله بالهاتف.

كنا اقتربنا من بوابة القاعدة الشرقية للفضاء، التي تم إنشاؤها في قلب الصحراء الشرقية المصرية.

قمت بسرعة بإخراج بطاقة تعريفني الخاصة بالشركة، وقمت بإعطائها إلى (عطاء) الذي قام بتهدئة سرعة السيارة بالفعل؛ ليتوقف بعد لحظات

أمام البوابة المغلقة، وأشار إليه أحد ضباط الجيش المكلفين بحماية المكان بأن يتوقف..

أحاط بنا بسرعة ثلاثة جنود، بينما انحنى الضابط المسؤول عنهم إلى (عطاء) ليأمره:

"بطاقات الهوية من فضلك.. قم بفتح حقيبة السيارة وأبطل المحرك.. سنخضع السيارة للتفتيش بينما يتم التحقق من بطاقتكما"

أطاعه (عطاء) بشكل فوري... بينما توقفت عن العبث في الهاتف، وأخرجت بطاقة هويتي من جيب سترتي وناولتها ل(عطاء).

استغرق التفتيش عدة ثوان ليتهف الضابط مجددًا:

"ترجلا من السيارة وأخرجنا المتعلقات التي يلزم وجودها معكما إلى الداخل، وضعها بهدوء فوق سطح السيارة، وليواجه كل منكما مقدمة السيارة ويفرد يديه ويباعد ما بين قدميه".

أطعناه وقام بفحص حقيبتي جيدًا؛ كي يتأكد من خلوها من أية ممنوعات.

بعد انتهاء عملية التفتيش؛ أشار إلينا الضابط بأن نلتقط متعلقاتنا من فوق سطح السيارة، وهو يعيد ل(عطاء) بطاقات الهوية قائلاً:

"مسموح لكما بالمرور ..".

ثم التقط جهاز اللاسلكي؛ ليقوم بإبلاغ مسؤول الأمن؛ لفتح البوابة الإلكترونية للمكان، والسماح لنا بالدخول.

عدنا إلى داخل السيارة، وأعاد تشغيل محركها مرة أخرى، وهو ينطلق بها تجاه المبنى.

وصلنا إلى البوابة الداخلية للمبنى، وقام (عطاء) بإيقاف سيارته في أحد الأماكن المخصصة لانتظار السيارات، وغادرنا السيارة واتجهنا إلى المبنى.

كان المبنى مكوناً من أربعة طوابق فوق سطح الأرض، وعدة طوابق تحت سطحها.. ذو تصميم سداسي يشبه خلية النحل من أجل توفير المساحة، بينما يكسوه من الخارج الزجاج العاكس في كل نوافذه.. كان يبدو كما لو أنه خلية نحل كريستالية، شكلتها نحلة معدنية عملاقة، وتقع خلفه ساحة شاسعة مغطاة بالكامل، ربما تعادل في مساحتها مطاراً بأكمله..

هذا هو المكان المخصص لإطلاق المركبات الفضائية، وهذا المبنى هو الذي يعمل بداخله الموظفون والعلماء المسؤولون عن متابعة عمليات الإطلاق.

قطعنا المسافة ما بين ساحة انتظار السيارات، وبوابة المبنى، ليستقبلنا مسؤول أمن المبنى مبتسماً:

"هل يمكنني المساعدة؟".

أخرج (عطاء) بطاقته مجدداً، وكذلك فعلت أنا وأعطيتها (عطاء)، الذي قدم كلاهما للرجل قائلاً:

"نعم ... نحن مهندسان تابعان لشركة(إيكو) للاتصالات، ولدينا رحلة عاجلة إلى القمر، ونريد مقابلة المدير المسؤول".

قام الرجل بأخذ البطاقات دون أن يعلق، وقام بتمريرها فوق ماسح ضوئي صغير موضوع بجانبه؛ لتضيء شاشة الحاسوب أمامه بأنه مسموح لنا بالدخول، وعلينا الذهاب إلى مكتب المدير في الطابق الخامس تحت الأرض.

نظر الرجل إلي(عطاء) مجددًا وهو يعطيه بطاقته بنفس الابتسامة الجامدة وهو يشير إلينا للدخول:

"يمكنكما الدخول.. ستجدان المصعد أقصى اليمين، وهو في انتظاركما ليقلكما للمدير".

"شكرًا لك".

شكرته أنا بابتسامة تشبه ابتسامته، واتجهنا أنا و(عطاء) إلى داخل المبنى.. كان المصعد على أقصى اليمين كما قال مسؤول الأمن.. مصعد ذو بوابات ذهبية اللون لامعة، وأعلى هذا الباب توجد شاشة مضيئة مرسوم فوقها صورة كل منا.. يتم إعداد المصعد للسماح لأشخاص بعينهم باستخدامه ولوجهة محددة فقط.

كانت بوابات المصعد بالفعل مفتوحة في انتظارنا.

هبط بنا المصعد في نعمة بعد إغلاق أبوابه إلى الطابق الخامس تحت الأرض.. غادرناه لنجد نفسينا في مكان مختلف يشبه في تصميمه أماكن تخزين الحاسبات الآلية، كتلك الموجودة في خادمت المواقع الشهيرة،

كل هذه الأجهزة تقوم بمعالجة البيانات التي تطلبها عمليات الإقلاع والتنبؤ بالأحوال الجوية، ومراقبة عمليات الإقلاع والهبوط الخاصة بالسفن الفضائية.

لم تمض ثوان حتى ظهر أمامنا مدير المكان.. رجل ضئيل الحجم، رمادي الشعر وله لحية نامية وشارب أسود غريب، يرتدى قميصاً أبيض تعزو في نسيجه خطوط رمادية باهتة كريهة الشكل، يرتدى فوقه صدرية سوداء لامعة، ابتسم وهو يخطو تجاهنا بخطوات سريعة على الرغم من قصر قامته:

"مرحباً وأهلاً بكما .. سيد(سليم).. سيد(عطاء).. إنه لمن دواعي سروري أن ألتقي بكما مجدداً.. أرجو أن تعذراني على اللقاء في هذا المكان، ولكن هذه هي سياسة العمل في حالات الطوارئ".

"ونحن أيضاً مسروران لسرعة استجابتكم لنا".

أعاد(عطاء) العبارة المجاملة للرجل بمثيلتها، بينما أشار إلينا الرجل إلى اليمين من حيث نقف جميعنا إلى مكتب زجاجي صغير مغلق، وهو يقول:

"يمكنكما الانتظار هنا.. أخشى أنه عليكما أن تنتظراني.. يتوجب علي فقط أن أهاتف المسؤولين في رئاسة الوزراء؛ لمعرفة موعد حصولنا على تصريح السفر.. عدة دقائق وسأعود إليكما".

تركنا الرجل ومضى سريعاً.. بينما انتظرناه داخل مكتبه.

بدا على وجه(عطاء) الاستياء فسألته:

"ما بك؟".

"أريد أن أوصيهم بألا يعيدونك إلينا".

"ربما أكون وغداً.. في نظرك.. ولكنني لست منافقاً.. متملقاً.. أخون زوجتي بالتسكع مع أخريات.. أخدعها بأني سوف أتأخر في العمل، بينما أذهب للقاء امرأة أخرى.. كم تكرر هذا الأمر؟.. مرة.. اثنتين.. اممممم.. لا أعتقد أنني أستطيع التذكر، ربما إن عدت إلى سجل المكالمات، الذي أمتلكه سأعلم العدد بالضبط".

تبدلت ملامح وجهه إلى مزيج من الاندهاش والصدمة في آن واحد، والتفت إليّ قائلاً في حدة عندما قمت بذكر مثل هذه النقطة صائحاً:

"ما هذا الذي تقوله أي سجل؟.. ما الذي تنوي أن تفعله؟ إن علمت أنك أخبرت زوجتي بأي شيء فسوف أ...".

قاطعته:

"حسناً.. لن أخبرها.. وفي الحقيقة أنا أشفق عليها هي وابنك منك.. ولكن.. أخبرني.. لم تفعل ذلك؟".

"أنا لم أفعل شيئاً مما تتهمني به؟".

نظرت إليه نظرة مباشرة في عينيه:

"(عطاء).. يمكنك مواصلة الكذب كما تشاء.. لا تنس السجل كما أخبرتك منذ لحظات.. ألا تتذكر حقيقة عملنا؟ نحن مخترقون يا عزيزي يمكننا معرفة - تقريباً - كل شيء".

فقد أعصابه وهو يردد غاضبًا:

"اللعة عليك لم تفعل هذا؟.. أتريد ابتزازي أيها الوغد الحقير.. سألقنك درسًا".

قالها ثم نهض مسرعًا ليمسك بسترتي وهو يحاول لكمي في وجهي؛ فالتقطت ذراعه في سرعة ولويتها بزاوية معاكسة، حتى تكون الذراع على أقصاها في الاتجاه المعاكس، وكل ما ينقصها ضغطة بسيطة وتنكسر من مرفقه.. مما جعله بدأ في التأوه بالفعل، وهو يقول:

"ذراعي.. سوف تحطمها".

جذبت له كي أهرس في أذنه:

"هل تشعر بالألم حقًا ترى كيف سيكون شعورك عندما تعلم زوجتك بما تفعله من وراء ظهرها.. لا ريب أنه هناك أشياء أخرى سوف تؤلمك أكثر بكثير من ذراعك وقتها".

ظلمت قابضًا على ذراعه بعنف وهو يهتف مجددًا:

"ذراعي.. سوف تنكسر".

ظلمت ممسكًا به عدة ثوان إضافية ثم دفعته؛ ليسقط أرضًا مشيرًا إليه بسبابتي:

"قبل أن تعطي ذلك الوغد دروسًا في الحياة تذكر أولاً من منا الوغد".

"أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا!.. لا بد وأن أفعل ذلك".

صحت فيه بلهجة أمرة:

"(عطاء)! اجلس مكانك واصمت".

نهض سريعاً وهو يتخذ مكانه جانبي.. مضت دقيقة، وكلانا صامت ثم التفت إلي(عطاء) بينما أنا أنظر تجاه باب المكتب، الذي ظهر على عتبته فجأة المدير؛ ليقاطع عبارة(عطاء) التي كانت ستولد بعد لحظات: "لقد حصلنا على الموافقة من رئاسة الوزراء.. من منكما الذي سيسافر معنا؟".

رفعت يدي وأنا أجابه:

"أنا".

هتف الرجل مبتسماً، ثم جلس خلف مكتبه، وهو يضغط على أزرار لوحة المفاتيح المضاءة في سرعة وينظر إلى الشاشة أمامه: "حسناً.. سأقوم بتسجيل بياناتك لدينا في قائمة المسافرين". سألته:

"هل علمتم ما السبب وراء ما حدث؟".

توقف الرجل عن الكتابة، وهو ينظر إلينا ويهز كتفيه دلالة الحيرة قائلاً: "للأسف لم يستطع أحد إلى الآن التوصل إلى أسباب ما حدث.. ولكنهم يظنون أنه لن يتكرر".

"كيف يظنون أنه لن يتكرر طالما لم يعلموا الأسباب وراء حدوثه؟"

"أعتقد بنسبة كبيرة أن رهانهم على أن كل الطائرات التي كانت تحلق وقتها لم تسقط جميعها، بل سقط البعض منها.. ربما لذلك هم يظنون أن الأمر لن يتكرر بنفس المنوال".

ظللنا منتظرين لعدة دقائق أخرى، بينما الرجل يقوم بإنهاء ما هو مطلوب منه، ثم أخيرًا ضغط زر الانتظار للحاسوب، وأغلق شاشته وهو ينظر إلينا مبتسمًا مجددًا:

"حسنًا كل شيء الآن معد.. لقد حصلنا على موافقة الطيارين، وحصلنا أيضًا على التصاريح اللازمة للسماح لكم بالطيران من وزارة الطيران ورئاسة الوزراء".

"هذا عظيم".

أجابه (عطاء) بينما التزمت أنا الصمت.

"سوف استدعي الطيارين المرافقين لك يا أستاذ (سليم).. أعتقد أنكم يجب أن تتقابلوا قبيل سفركم".

قالها ثم التقط سماعة هاتفه المكتبي، وهو يضعها في أذنه سريعًا، ويضغط الزر الأوحـد المضيء بها وظل لثوان صامتًا متأملًا إلى أن أتاه الرد:

"كابتن طيار (رامي رياشي) يمكنكما الحضور أنت ومساعدك إلى مكتبي؛ لكي تلتقيا بالمهندس الفني الذي سوف ترافقانه إلى الفضاء".

ثم أغلق الاتصال وهو ينظر إلينا متسائلًا:

"أنا أعلم أن الأمر يبدو غريباً هذه المرة؛ فهذه هي المرة الأولى لك منذ فترة طويلة، التي تسافر فيها إلى القمر بصحبة طيار بشري.. لا تقلق ستعتاد الأمر.. والآن هل لديك أية استفسارات عن الرحلة؟".

سألته:

"هل يمكن أن أسأل: هل هناك أية إجراءات احتياطية إضافية تم اتخاذها في حالة ما إذا تكرر مثل هذا الأمر معنا؟".

ابتسم الرجل وهو يشير بسبابته:

"الطياران اللذان سيرافقانك هما من أفضل طيارينا بالفعل.. وتم تحويل أنظمة التحكم داخل المكوك لكي تعمل بالأنظمة اليدوية، ولديهما تعليمات مشددة بعدم الاعتماد على الطيار الآلي، إلا فقط في حالات الطوارئ القصوى.. الإجراءات الاحتياطية هي وجودهما معك.. فنحن أيضاً لسنا على استعداد للتفريط في مركباتنا بمثل هذه السهولة.. إن حدثت أسوأ الفرضيات وتوفي أحدهما وأنتم هناك فسوف يكمل الآخر الرحلة بغض النظر عن أي شيء".

"اسمح لي يا سيدي أنا أقدر بالطبع خوفك على مركباتك الفضائية ومعداتك، ويفترض أيضاً من يعملون لديك.. هل لي أن أتساءل.. أليس ذهابنا في مثل هذا التوقيت هكذا كالعَمِيان دون أن ندرك ما الذي حدث يعتبر مخاطرة كبيرة لنا جميعاً؟".

اندهش الرجل من تساؤلي وهو يرد:

"ألم يكن هذا هو طلبكم؟!.. ونحن لا نفعل شيء سوى أننا نقوم بتنفيذه..
أما عن حديثك عن المخاطرة.. فأنا أوافقك وأخالفك في نفس الوقت..

وأوافقك في أنها بالفعل تعتبر مخاطرة.. ولكن تصميم المركبات الفضائية
أعقد وأفضل بكثير من الطائرات المدنية، الأمر الذي معه تنخفض نسبة
حدوث الأعطال فيها إلى الصفر المطلق..

وأخالفك في الحديث عن المخاطرة؛ لأنكم أنتم من طلبتم تجهيز مكوك
فضائي من أجل رحلة صيانة عاجلة وطارئة فوق سطح القمر؛ وتعهدت
شركتكم بتحمل المسؤولية الكاملة في حالة وقوع أي أضرار جراء
السفر في ظروف ممنوع فيها السفر".

شعرت بأن هناك من يتحرك خلفي فالتفت بسرعة لأتأكد.. إنهما
الطياران قد حضرا، وانفتحت بالفعل بوابة مكتب المدير الزجاجية
ليظهرا على عتبتها.

<<اللعة!>>.

<<لابد وأنك تمازحني أليس كذلك؟.. اللعة.. اللعة.. هل ما أراه أمامي
هذا صحيحاً؟>>

<<من هذه؟.. ولم هي هنا؟.. لا تقول لي أنها.... اللعة إنها تشبهها
بدرجة تكاد تصل إلى التطابق.. هل أنا مستيقظ وواع؟.. لابد وأنني
أهلوس... لابد وأن ما أراه أمامي هلوسة.. سأغلق عيني بقوة وأفتحهما
لأرى بهما الحقيقة>>.

أغمضت عيني لثوان ثم فتحتهما مجدداً....

>> لا تزال هنا... إنه كابوس ولكنه واقعي! هل التحقت (عايدة) بسلك الطيران، وأنا لم أدرك بعد؟<<.

>> هذا احتمال سيكون أسوأ من أن ينفجر بنا المكوك الفضائي.. لا بد وأنها تشبهها فقط أيها الغبي.. اهدأ ... اهدأ.. عليك بالحذر والهدوء.. وانتظر إلى أن يقوم مديرها بتقديمهما.. هذه فكرة رائعة<<.

لم أكن في وضع طبيعي أو منطقي يسمح لرود أفعالي أن تظل كما هي سريعة وحاسمة؛ فمثل هذه المفاجآت التي أتت على غير العادة.. إنه سوف تصاحبني امرأة.. على متن المكوك.. وربما هي (عايدة) التي بالطبع سوف تكون أسوأ صدفه أو صدت نفسي داخلها.

ابتسم المدير وابتسم كل منهما الرجل والمرأة في وجهينا وقدمهما الرجل:

"حسنًا.. أعرفكما بالكابتن طيار (رامي رياشي)، والكابتن طيار مساعد (نعماء علي)".

>> ألم أقل لك أيها الغبي.. إنها ليست هي<<.

>> ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟.. أنت لا تستطيع أن تميزها ما إذا تقابلت مع من يشبهونها؟.. وتظل تصر تخدع نفسك بأنك تحبها؟!.... كيف يمكن لك أن تنسي كيف تبدو؟.. بل كيف اختلط عليك الأمر حتى لا تستطيع التمييز بينها وبين أخرى؟!<<.

>> لا بد وأن هذا فخ.. لا يمكن أن يكون كل ما يحدث معي في هذين اليومين طبيعيًا أبدًا.. أقابلها بالأمس وأقابل قرينتها اليوم.. هناك حكمة

من وراء كل ذلك.. لست أدري بالضبط ما هي.. إلا أنها موجودة.. كما اعتدت أن أعتقد دومًا.. لا مكان للصدفة.. المكان كله للقدر.. وما تعجز أنت عن فهم معناه تعزیه للصدفة>.

نهضنا لمصافحتهما وما زال الذهول يعصف بذهني.. هذه مفاجأة لم أكن مستعدًا لها.. اقتربا تجاهنا وهما يصافحان (عطاء) مبتسمين ثم مد الرجل يده لمصافحتي.

>>سمرء البشرة مثلها.. عيونها السوداء الواسعة العميقة الأسرة نفسها.. نفس طابع الوجه ونفس توزيع الملامح.. نفس القوام.. نفس الطول.. إنها نفس الروح، ولكنها تم أسرها داخل جسد أخرى.. باسم مختلف.. حتى إنها ترتدي حجاب الرأس بنفس الطريقة.. ولن أبالغ إن قلت إنه نفس اللون.. لابد وأن تكون هذه هلوسة من صنع عقلي.. هذا التطابق غير ممكن أبدًا.. والتطابق وإن وجد لا يمكنه أن يتسبب بانقباض قلبك مثلما انقبض بمجرد رؤيتها.. الأمر أكبر من مجرد تشابه أو تطابق.. لقد كان (عطاء) محققًا.. أنت تتوق لها بشكل يفوق الطبيعي.. ولكن الأمر وصل لدرجة أنك استحضرتها وأعدت تصويرها في صورة إنسانة أخرى>.

مضت عدة ثوان والمشهد بأكمله متجمدًا تمامًا.. فبينما جالت كل هذه الخواطر في رأسي بسرعة خرافية ظلت يد الطيار ممدودة إليّ، وعيناه تتبادل النظر بين يده الممدودة وبينني.. وهي أيضًا.. ظلت ترمقني بتلك النظرات الثاقبة ذاتها.. التي دوما ما كانت ترمقني بها (عايدة).

هتف (عطاء):

"(سليم)!"

أفقت من نظراتها على هتافه، وأنا أبادل نظراتي بينها وبين (عطاء)، ثم انتبهت أخيراً إلى ذراع (رامي) الممدودة إليّ فمددت ذراعي؛ لأصافحه مبتسماً رغباً عني، ثم عدت مجدداً لأتأملها، وأنا أصافحها وأشعر ببرودة يدها.

ظلمت مبتسماً وأنا أسأل المدير مرة أخرى:

"متى سننطلق؟"

ابتسم الرجل وهو يشير بيده قائلاً:

"لقد تم إعداد كل شيء بالفعل.. ويتم إعداد منصة الإطلاق في أثناء حديثنا.. لقد تم نقل المكوك الفضائي الذي يقلكم إلى هناك.. ويتم التأكد من إجراءات الإطلاق النهائية.." (منصة الإطلاق)؟! "لست أدري لم أتحدث بمثل هذه الطريقة!"

أثارت عبارته الأخيرة دهشة الجميع فاستطرد:

"لم تعد هناك منصات إطلاق لمركبات الفضاء في عصرنا هذا.. ولكنني فقط اعتدت على ذلك، ولم أستوعب بعد أن المكوك يقلع مثل الطائرات هذه الأيام.. ستمرون سريعاً بإجراءات الفحص الطبي ومراجعة تعليمات السلامة ثم تصبحون جاهزين للإقلاع".

قال(عطاء):

"حسنًا.. أعتقد أن دوري قد انتهى هنا.. سوف أنفرد فقط بزميلي لعدة دقائق؛ لكي أراجع معه بعض التعليمات الدورية ومن ثم أغادر".

أشار إليه المدير:

"بالطبع .. يمكنكما استخدام الغرفة المقابلة في آخر الممر".

وأمرت إليه بالإيجاب مبتسمًا واتجهت مع (عطاء) إلى الخارج، وأسرعنا في السير حتى وصلنا إلى الغرفة، وما أن فتحت بابها حتي هتف (عطاء):

"(سليم).. انتظر".

أشرت إليه أن يدخل وسارعت بإغلاق الباب خلفنا وهو يسأل:

"ما بك؟".

"لا شيء".

"(سليم).. فلتذهب أنت وسلامتك النفسية إلى الجحيم.. لم أعد أهتم بها ولا بك.. أنا أتحدث الآن إلى زميلي، الذي لا بد وأن يكون مستعدًا؛ لكي يقوم بواجبه في مكان عمله.. وأنا أراك تتصرف بشكل غير طبيعي وأرعن بدون سبب.. لذا سأسألك مرة واحدة أخيرة.. إن لم أحصل على إجابة.. سأرسل إليهم في الشركة؛ لكي يقوموا بإيقاف سفرك... ماذا حدث؟".

أشرت إلى المكتب خلفه:

"هل رأيت تلك المرأة المرافقة الطيار؟".

ضاقت عيناه ليحاول أن يركز تفكيره كي يفهم:

"نعم رأيتها.. ماذا بها؟".

"حسنًا.. سوف تنعتني بالأحمق.. وهذا حقك.. ولكنها نسخة طبق الأصل من... من (عايدة)".

"هل سيتسبب هذا في مشاكل؟".

<>تشبه لها؟!!!.. إنها هي، ولكنها متكررة في شكل امرأة أخرى>..

"(سليم).. هل سيؤثر هذا في رحلتك؟.. يجب أن أعرف ذلك.. الآن.. إن كنت ستصبح على غير ما يرام نريد أن نعلم بهذا.. لا نريدك أن تفسد الأمور هناك.. الآن يمكننا التصرف واتخاذ اللازم.. بينما لن يمكننا القيام بذلك هناك!".

"كلا.. لن يؤثر هذا على سير الرحلة بأي شكل.. لا تقلق".

<>هل سترفض أن تقوم بعملك لمجرد أنك رأيت امرأة تشبه من أحببتها يومًا؟!.. حتى الأطفال لا يتصرفون بمثل هذه الطريقة>..

"إذن.. علي مراجعة ترتيب خطواتك هناك.. هل لازلت معي؟".

أومأت برأسي موافقًا:

"أولاً سيهبط المكوك أمام البوابة رقم ٨.. وهي المدخل لمكان وحدة التحكم الرئيسية.. ثانيًا ستستخدم بطاقة الدخول الخاصة بك للدخول إلى

القاعدة القمرية.. سيكون معك بطاقتان.. بطاقة خاصة بك.. وبطاقة أخرى احتياطية في حالة تلف أو ضياع البطاقة الأولى.. وستأخذ بطاقة فارغة يمكنك إعادة برمجتها بواسطة حاسوبك، ولكن هذا مسموح لك فقط في حالة ما إذا فقدت أول بطاقتين.. ولديك بطاقة الطوارئ (البطاقة السوداء)، وهذه تسمح لك بأن تتجول في كافة أرجاء القاعدة القمرية في حالات الطوارئ، أو ما إذا أصيبت القاعدة بأية أجسام فضائية مفاجئة عليك تطبيق إجراءات الطوارئ المستوى الثالث..."

"حسنًا.. يمكنك المتابعة".

"عليك فحص أجهزة النظام الرئيسية من أجل التأكد من عدم وجود مشاكل في البرمجيات.. ومن ثم تنتقل لمعاينة مكونات الأجهزة نفسها.. ستبدأ بمراجعة الأوامر الأساسية لنظام التشغيل، وفحصها بواسطة برامج الفحص التي لديك.. ثم بعد أن تنتهي وإذا لم تعثر بعد على المشكلة؛ عليك بعدها أن تنتقل إلى البرامج المساعدة للنظام الواحد تلو الآخر.. ولتبدأ ببرامج التأمين نفسها في البداية ثم يليها برامج الخدمات.. إذا لم تجد المشكلة بعد كل ذلك.. عندها يجب عليك أن ترسل إلينا من هناك تقريرًا تفصيليًا بما قمت به.. وسنفحصه ونرسل إليك الرد بما يتوجب عليك فعله.. بعد أن تنتهي من عملية إصلاح الخلل الموجود هناك.. عليك أن تتأكد من أن جميع الأجهزة تعمل بكفاءة لا تقل عن ٨٥%.. وإن وجدت أي نسبة أقل من ذلك.. قم بإدراجها داخل قائمة الاستبدال الدوري في رأس القائمة؛ وألحقها بتقريرك النهائي من هناك قبيل مغادرتك... حسنًا.. هذا كل شيء.. هل توجد لديك أي أسئلة؟".

"كلا".

أمسك (عطاء) بحقيبتى وهو يفتحها ويقوم بإدارتها لتكون بمواجهته، وقام بضغط زر داخلي فيها، ليظهر أحد الجيوب السرية في النصف العلوي من الحقيبة، ظهر داخله بطاقات الدخول الأربعة.. بطاقتان رئيسيتان ذهبيتان اللون، وبطاقة أخرى بيضاء فارغة متروكة لإعادة البرمجة.. وبطاقة سوداء محاطة بإطار ذهبي لامع، ثم أدار الحقيبة لكي أرى ما في داخلها:

"لديك هنا في حقيبتك الأربع بطاقات.. بالإضافة إلى حاسوبك المحمول، وجميع الوصلات التي تستطيع عبرها التواصل مع كافة الأجهزة الموجودة هناك.. أي أدوات أخرى إضافية ستحتاجها ستجدها هناك داخل غرفة المعدات الاحتياطية".

أومأت برأسي بالإيجاب دون أن أنطق.

"حسنًا يمكنك الآن الذهاب إلى غرفة الإعداد".

غادر الغرفة مسرعًا وذهب إلى غرفة المدير، وصافح الجميع ثم غادر متجهًا إلى المصعد.

<<هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها صامتًا بمثل هذا الشكل!>>.

"(عطاء)!"

ضغط زر استدعاء المصعد وهو يلتفت إليّ.

"سوف تغادر ... هكذا؟ دون أن تقول أي شيء؟!"

"هذا لم يعد يهم الآن".

"ما الذي يعنيه هذا؟ ماذا تعني؟".

"فسرها كما تحب أن تفسرها.. ولكن نحن لم نعد أصدقاء".

هتفت غاضبًا:

"أنت تقرر مثل هذا القرار وتخبرني به الآن؟! في ظل هذه الظروف..
الآن يا (عطاء)؟!"

"لن يشكل لك ذلك أي فارق يا (سليم).. أنت دائمًا لا تبالي".

انفتحت أبواب المصعد، ودلف إليه، والتفت إليّ مضيقًا وهو يضغط زر
المصعد:

"لم أعد أبالي بهرائك بعد الآن".

سادت لحظات من الصمت.. لم يقطعها سوى صوت إغلاق بوابات
المصعد.

>>الآن أنت بمفردك.. لقد خسرت للتو من تبقى من أصدقائك.. ربما
إلى الأبد... تركك كما كنت تتمنى.. بمفردك!<<.

"هل كل شيء على ما يرام؟".

أتى هذا التساؤل بصوت أنثوى احتوت نبرته على الفضول والاهتمام
من خلفي.. التفت لأرى مساعدة الطيار تقف خلفي تمامًا..

التفت أنا إلى مساعدة الطيار، و غلب على نبرات صوتي الغضب:

"ماذا تريدین؟".

أثار التساؤل الغاضب اندهاشها، ولم تستطع أن ترد بشكل فوري، إلا أنها تداركت الموقف بسرعة فائقة :

"يجب علينا أن نذهب إلى غرفة الإعداد، وهناك سيرتدي كل منا الزي المخصص للسفر الخاص به ... هل أنت بخير؟ تبدو غاضبًا.. هل هناك شيء ما خاطئ؟".

عدت انظر إليها وقد تبدلت ملامحها مجددًا عندما رأت وجهي ينظر إليها متحفزًا، وأنا أحاول أن أتذكر اسمها:

"لا شيء.. كل شيء على ما يرام... معذرة يا كابتن(لمياء) أنا لم أعرف بعد.. الطريق إلى غرفة الإعداد من هنا هذه أول مرة آتي إلي هنا.. كيف أصل إلى هناك؟".

عادت تتأملني بعينيها البنية الواسعة، واللتين تضاعف تأثيرهم الآن مع فرط غضبي مما فعله(عطاء)، للتو ظهر من خلفها الطيار الأساسي(رامي) قائلاً:

"سأفودك بنفسي إلى هناك".

نظرت إليه وأنا أومئ بالإيجاب، وأبدل اليد الحاملة للحقيبة لليد اليسرى، و(نعماء) تقول:

"بالمناسبة اسمي ليس(لمياء).. بل(نعماء)".

هتفت لتصح اسمها بينما قادنا (رامي) خلفه؛ لنذهب إلى غرفة الإعداد، وسارعت هي في خطواتها لتصبح موازية لي في خطوات سيري فنظرت إليها:

"أيان كان".

تورد وجهها بغضب وعدم رضا وهي تحتد:

"أنت لم تعرفنا بنفسك بعد".

سرنا جنبًا إلى جنب حتى دلفنا إلى المصعد مجددًا:

"هل هذا سيشكل فارقًا بالنسبة لكما؟.. ألم يعطكما المدير بياناتي بالفعل؟".

تساءل(رامي):

"هل سيحدث لك مكروهًا إن قدمت نفسك لنا؟".

"لست في حالة تسمح لي بالدرشة حاليًا.. إذا لم يكن في الأمر ما يضايقكما لم لا نكتفي كل منا بدوره؟ أنتما تقودان المكوك، وأنا أذهب إلى هناك لأقوم بعملتي وأعود.. بلا أحاديث جانبية لا طائل منها.. ما رأيكما في هذا الاقتراح؟"

هتفت (نعماء) بنفس النبرة الغاضبة:

"يبدو أنك بالفعل كما وصفوك.. غريب الأطوار".

"شكرًا على ملاحظتك الثمينة.. سأضعها في الاعتبار".

ظل المصعد يصعد بنا حتى وصل إلى الطابق الأول من المبنى الخارجي، وانفتحت بواباته على مصراعيهما لنجد أنفسنا أمام ساحة شاسعة مدججة بالرجال الآلية، يتحركون في جميع الاتجاهات، ولكن كل مجموعة منهم تقوم بمهمتها الخاصة في أحد أركان تلك الساحة.. وإذا نظرت لأقصى اليسار.. ستجد مئات الأزياء الفضائية المصفوفة بعناية بجانب بعضها، معلقة كل جزء منها على حدة.. الخوذة التي يمتزج لونها ما بين الفضي والذهبي والأبيض اللامعين، وخط أسود لامع يعمل كخلايا للطاقة الشمسية المزود بها الزى معلقة في الأعلى، وتحتها بذلة رائد الفضاء التي تحمل نفس المزيج من الألوان ونفس خط خلايا الطاقة، وعلى جانبي منطقة الصدر وجانبي الفخذين توجد أربعة تجاويف أسطوانية الشكل تحتفظ داخلها بأسطوانات أكسجين احتياطية، خفيفة الوزن تعمل كمخزون إضافي للأكسجين في حالة ما إذا وقع مكروه للأسطوانات الأصلية، المثبتة فوق ظهور رواد الفضاء.

تقدم (رامي) إلى أحد الرجال الآلية وهو يقدم له هويته:

"أنا الكابتن (رامي رياشي) ولدي تكليف بأن أسافر بواسطة المكوك، الذي قد تم إعداده اليوم وأسافر بصحبة الطيار المساعد لدي كابتن (نعماء علي)، والمهندس الفني (سليم عامر).. نحن هنا من أجل إتمام مرحلة الاستعداد للإقلاع".

نظر الآلي إلي ثلاثتنا بتأمل لعدة ثوان ثم أجاب:

"تم تأكيد الهوية .. اتبعوني؟"

سرنا خلفه حتى وصل إلى المكان، الذي تم حفظ ملابس رواد الفضاء فيه يقول بنفس النبرة الرتيبة:

"لدينا هنا ثلاثة مسافرين في رحلة إلى القمر.. نريد أن نقوم بإعدادهم.. في البداية قبل أي شيء يجب أن نحققكم بكبسولة التتبع من أجل سلامتكم، من فضلكم قفوا في المكان المخصص للإعداد".

قالها فاتخذ كل منا مكانه داخل دائرة مضيئة فوق الأرض والآلي يتابع:

"من فضلكم ابقوا ثابتين".

تبعث كلماته ثلاثة أذرع إلكترونية متحركة، تهبط من الأعلى وتتوقف فوق يد كل منا، ويخرج منها إبرة محقن طبية قامت في سرعة مذهلة بنثر سائل مطهر، ثم بعدها غرس كل ذراع آلي إبرة دقيقة جدًا في أيدينا، وعاد مجددًا لينثر السائل المطهر ويضع فوق مكان الحقن لاصقة طبية دقيقة، لا يتعدى حجمها سنتيمترات صغيرة بنفس لون الجلد البشري.

"هذا جهاز في غاية الدقة فهو يسمح خلال الدورة الدموية حتي يصل إلى القلب، ويستقر هناك وهو ييث لنا حالة كل منكم الصحية، ومعلومات عن أماكن تواجدكم.. وهو مفيد في حالة ما توقف قلب أحدكم لأي سبب.. فإنه يقوم بإرسال إنذار للقاعدة الفضائية هنا، ويجب وقتها إذا لم يتم الإبلاغ في خلال نصف ساعة من توقف القلب عبر أي من مرافقيه بما حدث؛ فإنه يتم إرسال فريق إنقاذ بشكل آلي من هنا؛ لأن هذا يعني وجود خطر محيط بكم، وبالتالي لابد من إرسال النجدة إليكم..

وبعد عودتكم يذوب هذا الجهاز في الدم بعد أسبوعين من بداية حقنه..
لذلك لا توجد من وراءه أية مخاطر".

بالطبع كان ثلاثتهم يحفظ تلك التعليمات عن ظهر قلب.. فهذه لم تكن
المرّة الأولى لأيّ منهم للسفر إلى الفضاء.

انتهى ثلاثتهم من تبديل ملابسهم بالسترات الفضائية، وخرج كل منهم
والآلي يقف أمامهم قائلاً بنفس الرتابة:

"من فضلكم اتبعوني".

قالها والتفت ليرى الجميع سيارة صغيرة تشبه سيارات المطار في
حجمها إلا أنها ليست مكشوفة مثلها، تقف خلفه تنتظرهم، ليوصلهم إلى
ممر الإقلاع، الذي تم إعداد المركبة الفضائية التي سيقفون بها في
بدايته.

كان الرجل الآلي أول الركاب خلف عجلة القيادة، بينما اتخذ ثلاثتهم
أماكنهم داخل السيارة تبعاً،

انطلقت السيارة في سرعة، والآلي يحافظ على ثباتها بتثبيت يده فوق
عجلة القيادة.

ظهر أمامهم المكوك من بعيد.. كان يبدو مثل الوحش الفضائي اللامع،
بشكله الذي يشبه الطائرات الحربية بأجنحته المتعددة الزوايا ومقدمته
المطموسة.

هتف(رامي):

"إنهم لا يزالوا يصرون على استخدام المكوك السهمي.. هذا الشيء مكلف للغاية.. كيف يغامرون به في مثل هذه الظروف".

هتفت(نعماء):

"الأمر بسيط.. أنت تعلم التعليمات.. عليك ألا تحطمه ولا تصطدم به في أي جسم مجاور.. ولا تموت حتى تستطيع أن تعود به سالمًا، وهذا يسري على جميع أنواع المركبات.. أنت تعلم أن الاهتمام هذه الأيام مُنصَّب على خفض تكاليف السفر إلى الفضاء بقدر المستطاع.. أكثر بكثير من الاهتمام بالأرواح البشرية".

قالتها وهي تنظر إلى (سليم) الذي لم يكن منتبهًا لما تقوله رغم جلوسه بجانبها.. إلا أن عقله لم يكن حاضرًا معهم أبدًا.

لم تحاول أن تكسر صمته.. لأنها كثيرًا ما احتاجت لمثل هذا الصمت.. وتعلم جيدًا كيف يتمكن ذلك المزيج من الخوف والتبلد من المرء؛ فيجعله صامتًا تمامًا لا يكاد يشعر بشيء.

بالطبع هذا الصمت لم يستطع كبح فضولها في أن تعلم ما الذي يمر به هو الآخر.. البشر بعض الأحيان يميلون تجاه من يهديهم مزيدًا من الحزن عوضًا عن تخفيف أحزانهم!

كانت السيارة تقترب في سرعة.. وتقترب معها صورة المكوك القابع أمامهم، وتظهر تفاصيله تباغًا مع اقترابهم منه.

ظهرت في وسط مقدمة المكوك المطموسة - التي يفترض أنها سوداء اللون ومصمتة - حلقة زجاجية أضاءت بعدة ألوان بشكل متتابع من

الخارج إلى الداخل، ثم انطفأت بعد عدة ثوان، وعادت لتضيء مجددًا بنفس الألوان، ولكن بتتابع عكسي هذه المرة ثم انطفأت.. ثم عادت تضيء لونًا واحدًا لعدة ثوان، ثم يتبدل بلون آخر يظل مضيئًا عدة ثوان هو الآخر، ثم يتبدل إلى لون ثالث.. وهكذا.

مرت دقائق إلى أن أصبحوا أمام المكوك تمامًا..

كان أشبه بالطائرات الحربية في تصميمه، ولكنه أضخم بكثير في الحجم.. يتألف بلونه الفضي المائل للرمادي، ويقطع هذا اللون خطوط للأمام وللخلف بشكل دائري سوداء اللون.. هذه الخطوط تعد نوع حديث من الخلايا الشمسية، يعمل فقط في حالة احتياج المكوك للطاقة، وفشل المصدر الرئيسي داخله في إمداد المكوك باحتياجه من الطاقة.. بالطبع حجم المكوك لم يتضخم من فراغ.. فهو يحتوى في قلبه على مفاعل اندماجي(*) حديث بالغ القوة وبالعقيد، يحتل ثلثي حجم المكوك، هذا النوع من المركبات له طريقة مختلفة في الإقلاع، وتفادي الاحتكاك مع الغلاف الجوي بطريقة مبسطة وفعالة جدًا تم اكتشافها واعتمادها حديثًا.. فالمكوك يحمل في مقدمته مدفعًا ليزريًا قوي جدًا، يطلق هذا

(*) التفاعل الاندماجي بشكل عام ينتج عنه طاقة أكبر بشكل ملحوظ من الانشطار النووي.. ويمتاز أيضًا بأنه لا يتخلف عنه مخلفات إشعاعية ضارة، مقارنة بالتفاعل الانشطاري.. ويعتبر إنشاء المفاعلات الاندماجية قد بدأ بالفعل يدخل حيز التنفيذ قبيل وقت كتابة مثل هذه السطور، ورغم الصعوبات العديدة التي تواجه هذا النوع من المفاعلات، إلا أنه سيكون نواة لما يمكن أن يحمله مستقبل الطاقة لنا وأنه إذا استطعنا التحكم في مثل تلك التفاعلات الاندماجية؛ فيمكننا نظريًا تحضير ما يشبه شمسًا صغيرة داخل المعمل، ويعتبر هذا مستقبلًا أحد الآمال في حل مشاكل الطاقة التي تتطلبها المركبات الفضائية؛ لقطع المسافات الشاسعة في الفضاء دون أن تحتاج لحمل كميات مهولة من الوقود؛ لتستطيع أن تقطع المسافات المطلوبة.

المدفع أشعة تبدو كالسهم.. هذا السهم يخترق الغلاف الجوي بشكل مؤقت، وينفذ إلي الفضاء وذلك يؤدي بدوره إلى تقليل المقاومة، التي يحدثها احتكاك جسم المكوك بالغلاف الجوي؛ مما يجعل عملية الإقلاع أسهل، ويتركز كل دورها على التغلب على الجاذبية الأرضية، وهذه بالطبع يتمكن منها المكوك بفضل الطاقة الهائلة، التي يولدها مفاعله الاندماجي.

توقفت السيارة وأشار إليهم الرجل الآلي قائلاً:

"يتم الآن فحص ومراجعة الإعدادات الخاصة بقراءات الأجهزة مرة أخيرة قبيل الإقلاع.. عليكم جميعاً اتخاذ أماكنكم داخل المكوك.. نتمنى لكم رحلة موفقة".

صعد الجميع إلى سطح المكوك، وعبروا غرفة معادلة الضغط واحداً تلو الآخر، ثم غادروها إلى كابينة القيادة في المكوك.

اتجه (سليم) لمقعده وهو يحمل حقيبته، ويحاول أن يعتاد السير محملاً بأثقال الزى في كل مرة يسافر فيها.. ولكنه اعتاد التعامل مع كل هذا الثقل بأن يتحرك كثيراً هناك داخل القاعدة القمرية، الأمر الذي سيعتاد معه مثل هذا الوزن الإضافي، جلس وهو يربط أحزمة الأمان المسؤولة عن تثبيته في مقعده ووضع حقيبته فوق ساقيه.

بينما كان أمامه بمسافة تقارب المتر مقاعد كل من الطيار ومساعدته، وأمامهم لوحة القيادة، التي تحتوى على عدد هائل من أدوات التحكم والأزرار، وشاشات الطيار الآلي ومراقبة الأداء وأدوات الملاحة،

وفوق كل هذا واجهة المكوك الزجاجية السمكية، التي لا تري منها دائماً سوى السماء

"عليك أن تضع الحقيبة في المكان المخصص لتخزين الأدوات".

توقفت(نعماء) أمام(سليم) وهي تشير إلى الحقيبة.

"شكراً لكّ ..أحب الاحتفاظ بها بالقرب مني".

اتسعت عيناها و بدا عليها الاندهاش، وهي تميل بجسدها لتحاول أن ترى من الملامح الباقية من وجهه هل يمزح أم يتكلم بجدية:

"أنا لا أعرض عليك المساعدة.. نحن نتحرك بواسطة هذا المكوك بشكل مختلف عن المكوك الآلي تماماً.. الأمر الذي معه سوف تتطاير الحقيبة من يدك في لحظة واحدة، وربما تتحطم أو تتسبب بتحطيم أحد الأجهزة، التي لدينا أو ربما إحدى شاشات المراقبة.. يجب عليك وضعها في أحد الأماكن الخاصة بالتخزين".

قالتها وهي تنتزع الحقيبة من بين يديه عنوة قائلة:

"صدقني ..أنا أعلم جيداً ما أفعله".

حاول (سليم) أن يقوم بحل حزام مقعده؛ لينهض ويضع الحقيبة فأشارت إليه:

"لا عليك ابق أنت مكانك.. سوف أضعها أنا".

<<ماذا بها هي الأخرى؟>>.

قامت بفتح أحد الأبواب الصغيرة الموجودة داخل تجويف جانبي في المكوك، ثم وضعت داخله الحقيبة وقامت بتوثيقها بالأحزمة؛ كي لا تتحرك بشكل عنيف في مكان حفظها، ثم أغلقت باب الخزانة الصغير وذهبت تجاه مقعدها، الذي كان يقع أمام (سليم) إلى اليمين قليلاً، وجلست ثم قامت بربط أحزمة الأمان وضغطت عدة أزرار أمامها بترتيب متسلسل؛ بدأت معه العديد من الأزرار الأخرى والشاشات الصغيرة في الإضاءة تبعاً وهي تقول:

"تم فحص أنظمة الأمان، وهي تعمل على أكمل وجه.. نحن جاهزون للإقلاع".

اتخذ(رامي) مكانه فوق مقعده وهو يتأكد من ربط أحزمة الأمان، وضغط هو الآخر عددًا من الأزرار يساوي ضعفي ما فعلته (نعماء)، و(سليم) يشاهد كل هذه العمليات من خلفهما دون أن يحاول أن يعلق أو تبدر منه أي حركة.

ضغط(رامي) زر إغلاق بوابات المكوك؛ فصدر صوت يشبه الصرير الرتيب ظل مستمرًا لعدة ثوان، بينما كانت الإضاءة داخل المكوك تنخفض، وتتغير شدتها بالتدرج نتيجة لإغلاق بواباته؛ فضغط زرًا تاليًا؛ ليقوم بإزالة غطاء الزجاج الأمامي؛ ليبدو عبره سطوع أشعة الشمس ولون السماء الأزرق الصافي في الواجهة.

قام(رامي) بعدها بالإمساك بالمقود أمامه، وهو يضغط أحد أزرار التشغيل؛ ليرتج المكوك بأكمله في عنف شديد.. كان هذا هو هدير

المحرك القوي الهجين، الذي بدأ في الاستعداد وارتفع المكوك من مكانه بشكل ناعم فوق سحابة هائلة من الهواء.

قام بضغط أحد الأزرار التي على يمينه، ثم قام بتحريك مقبض الدفع من أجل أن يبدأ المكوك في الحركة للأمام، ثم يتسارع هتف (رامي):

"سندور بالمكوك دورتين .. ثم نحلق".

كان المكوك يتحرك بالفعل إلى الأمام، ويزداد في التسارع والارتفاع عن سطح الأرض بشكل تدريجي، إلى أن رأينا من مكننا قمة المبنى السداسي الخاص بالقاعدة الشرقية.. ثم ارتفعنا أكثر وتجاوزناه، ومازلنا ندور حول أنفسنا في ببطء يفترض أنه مقصود.

ظل المكوك يدور حول المبنى؛ ثم فجأة توقفنا عن الدوران في نعومة؛ وبدأ المكوك يميل إلى الخلف،

ثم بدون سابق إنذار ومع اهتزازاته العنيفة انطلق المكوك كالقذيفة صوب السماء.

مع انسحاق جسدي فوق مقعده نتيجة للقصور الذاتي والسرعة المفاجئة دار سؤال في ذهني، رغم كل ما حدث وما يحدث حولنا....

>>هل يمكن أن يأتي اليوم الذي يصبح كل ما عانيته وأعانيه في هذا العالم.. شيئاً من الماضي؟<<.

"مرحبًا بك يا صديقي العزيز كيف حالك؟".

"مرحبًا بك يا سيد (ريكارد).. إنه لشرف عظيم لي أن ألتقي بك اليوم".

نهض رجل الأعمال الفنلندي (ريكارد فيرنر) مبتسمًا واثقًا؛ ليستقبل زائره الشاب ويصافحه وهو يشير إليه بأن يتفضل بالجلوس.

كان الزائر شابًا في أواخر الثلاثينيات من عمره، ذا ملامح شرقية وعيون بنية، أنفًا دقيقًا، شفاة دقيقة، بشرة بيضاء لحية نصف نامية، يخطها الشيب في مقدمتها وجانبيها، طويل القامة، نحيلًا بصورة ملحوظة، رأسه ينمو فيها الشعر بشكل كثيف، وهو يقوم بتصفيفه إلى جانبي الرأس دائمًا.. وله فودان بدأ يزورهما الشيب أسوة بلحيته، ذا عيين جاحظتين بعض الشيء، تشعرك بمزيج من الخوف والرهبة عندما تنظر إليه.

"دعك من هذه اللباقة المفتعلة يا عزيزي.. إنها لعبة الحظ إن كلاً منا اليوم ربما سيكون لديه ما يمنحه للآخر.. لقد أخبرني مديرك ببعض المقتطفات السريعة عن فكرتك الجديدة، وأخبرته أنه لا بد وأن أستمع إليك بنفسي.. ولكن في البداية وقبل أي شيء.. ماذا تحب أن تشرب؟".

ابتسم (أصف بيزار) عالم الطاقة الإيراني وهو يشيح بذراعيه:

"شكرًا لك.. لا أريد أن أشرب أي شيء.. سيد (ريكارد) أعتقد أننا يجب أن نتحدث مباشرة فيما تود أن تسأل عنه.. ربما يتطلب الأمر منا بعض الوقت".

"حسنًا.. أريدك أن تشرح لي ما فكرتك.. ولكن أرجوك بشكل مبسط.. اشرحها كما لو كنت تشرح لطفل صغير مدلل.. يمكنني أن أؤكد لك ليس العقل وحده هو ما جعلني علي ما أنا عليه اليوم".

اتسعت ابتسامة(ريكارد) وهو يعود ليستند بجسده إلى ظهر المقعد وينظر إليه مستفهمًا:

مط (آصف) شفتيه وهو يحاول انتقاء الكلمات؛ من أجل شرح فكرته بأسلوب مبسط قدر المستطاع:

"حسنًا .. في البداية بصفتك واحد من رجال الأعمال القليلين، الذين يعملون في مجال الطاقة على مستوى العالم.. أعتقد أنك لاحظت أن كل المحاولات الحالية للبحث عن بدائل مجدية للطاقة، يمكنها أن تفي بالاحتياجات المتزايدة للسوق.. تخفق على نحو أو آخر، أو لا تجد الاهتمام المطلوب نظرًا لأنها يُبذل في سبيلها الكثير من الأموال، أكبر بكثير من مقدار الطاقة المنتجة منها".

أوما(ريكارد) إيجابًا برأسه قائلاً:

"لقد لاحظت ذلك بالفعل".

"وأظن أنك تعلم أيضًا أن فكرة الاعتماد على طاقة المفاعلات الاندماجية اليوم ليست بالبديل المثالي أمام متطلبات هذا العالم المتعطش للطاقة، التي نظرًا لتعقيدها الشديد وتكلفتها المبالغ فيها مع عدم استقرارها تم تقليص دورها فقط للاستخدامات العلمية، وبعض التطبيقات الأخرى البسيطة".

"إن هل لديك حل لمثل تلك المشكلة؟ .. أعتقد أن الطاقة الشمسية هي البديل، والكل الآن يحاول الاستفادة منها بقدر المستطاع".

قال(أصف):

"أنا أعلم هذا.. ولكنه ليس الحل الأمثل".

اتسعت عينا(ريكارد) في اهتمام و(أصف) يستكمل:

"لقد قمت بالعديد من الأبحاث في خلال السنوات الثماني الأخيرة، وتمحورت تلك الأبحاث حول حالات المادة في أماكن أخرى بخلاف كوكب الأرض.. وكيف يمكننا أن نستغل هذا في أن تطور نوعًا جديدًا من الطاقة يمكننا تحضيره في الفضاء الخارجي.. لماذا الفضاء؟ لاحظنا في الآونة الأخيرة ومع إنشاء عدة شركات لمصانعها في الفضاء؛ للحصول على طاقة الشمس بشكل أفضل بكثير من إنشائها على الأرض، وقد لاحظوا أن العديد من المواد المستخدمة في منتجاتهم مع استمرار وجودها في بيئة الفضاء لمدة زمنية طويلة بدأت خواصها بالتكيف مع البيئة المحيطة و تغيرت بعض من خصائصها الفيزيائية بالفعل".

بدت على وجه(ريكارد) القليل من الحيرة وهو يقول:

"هل سيحدث شيء إن قلت لك أنني لا أستطيع فهم أي شيء؟".

"حسنًا.. سأحاول أن أكون مباشرًا أكثر... هناك العديد من التفاعلات، التي تتم بين بعض المواد وتلك التفاعلات تكون مولدة للطاقة بشكل ممتاز، ولكنها لا تكاد تستغرق أجزاء من الثانية، لكي يتم التفاعل الأمر،

الذي معه لا يمكننا أن نتحكم في الطاقة الناتجة من التفاعل.. فهي مثل الشرارة اللحظية التي بالكاد نراها".

"حسنًا؟!!".

"ماذا لو قمنا بتغيير الظروف التي تقع فيها مثل تلك التجارب؟".

فكر(ريكارد) لعدة ثوان وهو يقول بحذر:

"أنت تقصد ماذا لو أننا قمنا بإجراء مثل هذه التفاعلات في الفضاء؟".

أوما(أصف) برأسه إيجابًا في حماس وهو يستطرد:

"الأمر ليس فقط في إجراء التفاعلات في الفضاء.. بل بتحضير جميع الأدوات التي يطلبها التفاعل من مواد مستخرجة من الأجسام الفضائية.. مثل القمر على سبيل المثال".

"هل يمكن أن تعطيني مثالًا لهذا التفاعل؟".

"هناك شيء في الكون حولنا يسمى بالمادة المضادة (Anti Matter) .. هي عبارة عن نفس المادة الموجودة حاليًا، ولكنها تحمل جسيمات مضادة معاكسة للمادة الأصلية في الشحنة.. منذ ما يقرب من مائة عام كان يتم تحضير مثل هذه المادة المضادة، بكميات ضئيلة جدًا داخل أكبر مصادم ومسرّع للجزيئات في هذا الوقت يسمى(مصادم الهيدرونات الكبير)(*) والذي كانت تشرف عليه منظمة الأبحاث النووية الأوروبية، وكانت تكلفة تحضير الجرام الواحد من المادة المضادة يكافئ وقتها مبلغًا رهيبًا يفوق الخمسين تريليون دولار.. ونظرًا لعدم إمكانية إنتاجه

بكميات مناسبة، وارتفاع تكلفة الإنتاج تم إيقاف تمويل تلك التجارب إلى أجل غير مسمى.. ولكننا اليوم لو قمنا ببعض التغييرات التي من شأنها - ليس فقط خفض مثل هذه التكلفة - بل إنتاج كميات أكبر من المادة المضادة، ألن يمكننا حينذاك استخدامها تجارياً؟.. إذا أمكننا أن نتحكم في الوقت الذي تحدث فيه عملية تفاعل المادتين وإبطائه.. واستطعنا إنتاج كميات حتى وإن كانت ضئيلة.. فإننا وبلا أي منازع سنصبح في الطليعة بالنسبة لعالم الطاقة.

وسنستطيع إمداد العالم بأكمله بمصدر هائل للطاقة، يفوق كل المصادر الأخرى.. المشكلة هي أنني لا أستطيع أن أجد التمويل الكافي؛ لكي أعمل على التطبيقات العملية لمثل هذه الفكرة بشكل يسمح لي أن أصل لمثل هذا الهدف إنتاج نوع جديد تمامًا من الطاقة يمكنه أن يمد الدول،

(*) **مصادم الهيدرونات الكبير:** يعتبر في الوقت الحالي هو أكبر وأعقد آلة صممها الإنسان، شارك في تصميمها الآلاف من العلماء والمهندسين على مستوى العالم، وهذه الآلة صممت من أجل تسريع وتصادم الجسيمات.. فكرة عمله ببساطة هو إننا كلما قمنا بصدم الجسيمات ببعضها بسرعات كبيرة جدًا فهذه الجسيمات تنتشر من تصادمها وتنتج جسيمات أصغر منها.. إذا أمكننا التوصل إلى أصغر جسيم لا يمكن تفكيته أو شطره.. فإن هذا الجسيم سوف يعد هو الجسيم الأساسي المكون منه كل شيء في هذا الكون حولنا.. وإذا استطعنا دراسته وتفسير وجوده ومعرفة صفاته؛ فسوف نستطيع أن نصل إلى معرفة أصول كل شيء حولنا في هذا الكون.

وليس فقط المؤسسات بالطاقة ولا ينضب بعد عدة سنوات من الاستخدام".

عاد(ريكارد) بمقعده إلى الوراء وهو يفكر قليلاً:

"أراك واثقاً للغاية مما تقول.. هل هناك ما يدعم هذه الثقة؟".

ارتسمت على وجه (أصف) ابتسامة دهشة للحظات، ثم فرد يديه للخارج قائلاً:

"أعتقد أنه د.(فاديم) أعطاك نبذة عن الفكرة، وأظن أنه دعمها بالأبحاث الموثقة، التي أشرف هو عليها بنفسه.. أليس هذا دليلاً كافياً؟".

نظر إليه(ريكارد) وهو يمعن النظر ولا تزال أمارات التفكير على وجهه:

"إذن لماذا لم يتم بدء مثل هذه الفكرة والأبحاث؟ لقد ذكر لي د.(فاديم) أنك تعمل عليها منذ عدة سنوات".

اندهش (أصف) من سؤاله وهو يضحك قائلاً:

"الأبحاث العلمية شيء والتطبيقات على أرض الواقع شيء آخر مختلف.. مفاعل (سرمايه) الذي قرأت عن خطواته المبدئية في الأبحاث يعد مفاعلاً من نوع خاص، يتطلب ظروف خاصة غير متوفرة هنا".

مال (ريكارد) للأمام وهو يتساءل:

"أعذرني.. ما هو اسم المفاعل مجدداً؟".

ابتسم (آصف) لتيقنه أن الاسم يثير غرابة كل من يسمعه وهو يرد في حزم:

"سرمايه".

ظل (ريكارد) ينظر إلى (آصف) بوجه لم تفارقه علامات الاندهاش وعدم الفهم متسائلاً مرة أخرى:

"ما الذي يعنيه هذا الاسم؟".

"إنها كلمة لها تاريخ مثير للغاية.. فهي كلمة مشتركة بين اللغتين الفارسية والتركية.. معناها قديماً كان (رأس المال) ولكن بمرور الوقت وانتشار الترجمات غير الدقيقة تم تحريف معناها؛ ليصبح (عاصمة).. لقد سمعت قصتها منذ طفولتي.. وإن فكرت في الأمر قليلاً.. ستجد أن هذه الكلمة التي حملت أكثر من معنى هي أنسب تسمية ووصف لهذا المفاعل.. (عاصمة رأس المال) في المستقبل القريب!".

أوماً (ريكارد) برأسه إيجاباً إيماءة التفهم، وهو ينظر إلى (آصف) متأملاً إياه:

"يالها من قصة!.. حسناً هلا عدنا إلى ما كنت تقول.. لقد قلت إنه يتطلب ظروفًا خاصة لإنشائه غير موجودة هنا.. أليس كذلك؟.. هل يمكن أن أفهم ما الذي تقصده ب(هنا)؟".

"أقصد على كوكب الأرض".

"حسنًا.. مرة أخرى.. لماذا لم يحاول أحد فعلها من قبل، حتى في الفضاء؟".

ابتسم (أصف) وهو يرد:

"لقد قمت بذلك بالفعل.. ولكنها كانت محاولة مصغرة، ولقد شاهدها العالم أجمع.. لكن لم يستطع أحد التوصل إلى تفسير ما رآه الجميع".

تساءل (ريكارد) متعجبًا:

"متى حدث ذلك؟!".

"منذ ثلاث سنوات... هل تتذكر الشمس الخضراء الصغيرة، التي ظهرت بجانب كوكب (أورانوس) ورصد العلماء في (ناسا) ظهورها وبقائها متألقة لمدة قاربت العشرين دقيقة، إلى أن اختفى هذا الوهج الأخضر.. هذه كانت أول تجربة فصل ودمج قمت بتنفيذها في الفضاء على كتلة صغيرة للغاية أدت إلى مثل هذا التأثير الهائل".

"إذن فأنت تريد إقناعي أنك قمت بتجربة أولية منفردًا.. والآن تبحث عن تمويل؟!".

عاد (أصف) هذه المرة بظهره؛ ليستند لظهر المقعد كأنه لا إرادياً يتفادى هجوم (ريكارد) عند ميله للأمام تجاهه وهو يقول:

"يا سيد (ريكارد) الأمر يختلف باختلاف المقياس.. بالإضافة إلى أن إنشاء هذا المفاعل سيكون مكلفًا جدًا، والأمر نوعًا ما يحتوي على العديد من المخاطر، مما يرجح استبعاد إنشاء مثل هذا النوع من

المفاعلات نظرًا للكم الهائل من الطاقة الذي يتعامل معه، ولكن إذا نظرنا للجانب الإيجابي من الأمر فالمواد يمكننا التحكم في جزيئاتها بشكل أفضل بكثير في مناخ منخفض الجاذبية بطبيعته.. هذا يعطينا مميزات لم تكن متوفرة لنا في الماضي".

نظر إليه (ريكارد) وقد اتسعت ابتسامته ومال إلى الأمام:

"هل الأمر مكلف إلى ذلك الحد؟".

أوماً إليه (آصف) بالإيجاب، وهو يمسح شفتيه دون أن يعلق و(ريكارد) يعيد السؤال:

"كم هي التكلفة المتوقعة؟.. وأين يمكن إنشاء مثل هذا المفاعل؟ وكم من الوقت سنحتاج حتى نرى نتائج مبدئية تخبرنا بما سيكون خط سيرنا؟".

"التكاليف المبدئية سوف تكون ستمائة مليار من الدولارات؛ لعمليات إنشاء المفاعل ومرحلة الاختبارات ستستغرق في أفضل تقدير من خمس إلى ثمان سنوات".

نظر إليه (ريكارد) بتمعن، وبدأ عقله يعمل بالفعل في الحسابات ثم صمت لعدة ثوان وسأل:

"والمكان؟".

"تحت سطح القمر".

"ماذا؟!.. لقد قلت إنك تريد الحصول على بعض المواد من القمر لا أن تنشئ قاعدة لك هناك".

"الأمر بسيط.. إنه مثل بالضبط ما تقومون به أنت والسيد (هاروكي تشاينغ) - رجل الأعمال الصيني ومنافسك الأكبر في عالم الطاقة - أنتما تتواجدان بصفة مستمرة هناك بحجة البحث والتنقيب والقيام بأبحاث علمية.. بينما كل منكما غارق حتى أذنيه في سرقة وبيع الهيليوم-٣ للهيئات التي تمتلك مفاعلات اندماجية، وتطلب كميات هائلة من هذه المادة".

نظر(ريكارد) إلى (أصف) دون أن تبدو على ملامحه أي تغيير ليتابع الثاني حديثه:

"نعم.. نحن العاملون في هذا المجال تصلنا مثل هذه الأخبار.. وأقول لنفسي في بعض الأحيان.. ربما لا.. ولكنني بصفتي أيضًا عالمًا في هذا المجال، دائمًا ما يأتي على رأسي سؤال بسيط.. كيف يظل الاثنان وخمسون مفاعلًا اندماجيا حول العالم يعملون بكامل طاقتهم.. هذا بالطبع بخلاف أساطيل المركبات الفضائية، التي تم إمدادها بمثل هذا النوع من المفاعلات؛ لتقطع رحلات طويلة جدًا في الفضاء.. كيف يظل كل هؤلاء يعملون دون أن تنضب طاقتهم؟.. الإجابة بكل بساطة هو أن لديهم مصدرًا أو عدة مصادر تؤمن لهم المواد الخام".

أخرج (أصف) من حقيبته جهازًا صغيرًا للعرض الحي، ثم طلب من (ريكارد) أن يخفض الإضاءة من أجل أن يعمل الجهاز بكفاءة، ويعرض له مادة فيلمية، وهو يقول:

"هذا الفيلم القصير سيعطيك نبذة عن المشروع بشكل مرئي، أفضل بكثير من الإحصائيات والأرقام".

انطلق شعاع ليزري من الجهاز ليسقط على الحائط ويعرض أمامهما صورة للقمر، وهو يدور بحركته الطبيعية حول نفسه وحول الأرض.. اقتربت الكاميرا بنعومة من جسم القمر حتى غاصت في أعماقه، وأعادت الصورة رسم القمر كما لو أنه تحت جهاز الأشعة السينية بطبقاته، والمباني المنشأة حديثاً تبدلت الصورة لجزء من باطن القمر، يتم إزالته وإنشاء مبني مربع الشكل داخله و تم الإشارة إليه بسهم مكتوب فوقه (المبني الخارجي لمفاعل سراميه)..

غاصت الكاميرا إلى الداخل أكثر حتى تجاوزت جدران المفاعل الخارجية؛ لنلقي نظرة على الداخل ..عدة قوالب معدنية كبيرة كروية الشكل، وبها عدد هائل من الأطراف والزوائد، ولها قلب كروي خالص أصغر في الحجم، ولونه أسود قاتم ويتم ربط هذا القلب الأسود بعدة قلوب سوداء أخرى تماثله في اللون والحجم، تقبع داخل عدة أشكال كروية كبيرة مثل الشكل الأول، وتربط بينهم شبكة من الأنابيب المرنة المتشابكة، التي تدور حول نفسها من وإلى تلك القلوب السوداء، بينما ظهرت عدة أسطوانات معدنية ملونة بألوان متنوعة ومختلفة الأحجام، تنبعث من وإلى القلوب الكروية السوداء تمر بدقة بين شبكة الأنابيب.

ثم تحركت الكاميرا مسرعة إلى الأرض؛ لترينا شبكة أخرى من المواسير الأسطوانية المعقدة في تقاطعاتها، وهي تسير إلى الأمام مسافة تقدر بعدة كيلومترات؛ ليصل في النهاية إلى عدة أعمدة مستطيلة الشكل، تقوم بعمل البواعث مقامة في غرفة تبريد معزولة، ومتصلة

بالمكعبات التي يحمل (آصف) أحدها بين يديه بينما يضيء المكعب بعدة ألوان وأشكال مختلفة، تبدو كسحب ملونة تشتعل وتنطفئ لحظيًا في داخله، بينما تنبعث من حولها عدة سحب بيضاء.

تحولت الشاشة مرة أخرى لتركز على المكعب ألا وهو المنتج النهائي، وهي تقوم بالدوران حوله بقلبه المضيء بعدة ألوان تتموج بشكل غير منتظم، وعدة بيانات تقنية ترتسم جانبه بدا على وجه (ريكارد) أنه لم يفهم منها أي شيء.

ثم أظلم الجهاز بعد عدة ثوان؛ لتضيء الغرفة بشكل تلقائي مرة أخرى.

ابتسم (ريكارد) وهو ينهض من فوق مقعده ويسير حول المكتب:

"ربما أكون انبهرت بحماسك لفكرتك.. بل والأكثر من ذلك جرأتك على الحديث معي بمثل هذه الطريقة.. أنت تمتلك العديد من الصفات الشبيهة بي.. مثل الجرأة في الحديث على سبيل المثال.. أعلم.. لقد حسمت مثل تلك الجرأة بنفس الأسلوب، الذي اتبعته معي منذ ثوان عدة صفقات تجارية قد قمت بها في الماضي لصالحك بالطبع.. وهذا إن كان يشير إلى شيء فإنه يعني ربما الموافقة النهائية على مشروعك في طريقها بالفعل داخل عقلي، ولكن لدي بعض التساؤلات الإضافية.. هل هذا المكعب الذي رأيته في نهاية العرض هو المنتج النهائي؟".

أومأ (آصف) برأسه إيجابًا وهو يخرج من حقيبتة مكعبًا زجاجيًا يماثل حجم كرة قدم، يضيء داخله ما يشبه الكرتين كل منهما تضيء بلون براق، واحدة باللون الأحمر القاني، والأخرى بعدة ألوان متموجة

"هذا المكعب الذي تراه هو نموذج مبدئي، سيقدم لنا تفاعل ما يكافئ مائة كيلوجرام من المادة والمادة المضادة؛ سينتج عنهما طاقة تكفي لسد احتياجات الولايات المتحدة بأكملها من الطاقة لمدة تقارب الستة أشهر، وتصل تكلفة إنتاج مثل هذا المكعب حوالي خمسين مليار دولار.. بالطبع هذا النموذج الذي نأمل لنصل إليه كباكورة إنتاجنا.. في حين إنني أخطط في غضون عشر سنوات أن نصل لإنتاج مكعباً يمكنه تقديم ما يوازي كتل أكبر من هذا النموذج، وأكثر استقراراً يمكنها أن تفي باحتياج العالم بأكمله من الطاقة لمدة عام كامل.. ولن يكون ثمنه مكلفاً كما يبدو.. أعلم أن الأرقام تبدو هائلة في البداية. ولكنني أعدك أنه بمجرد أن نبدأ في إنتاج نموذجاً أولياً؛ سترى بنفسك كيف ستكون النتائج.. صدقني.... ستكون أنت مصدر الطاقة الأول بلا منازع.... لذا إن كنت موافقاً على البدء في الاستثمار فيما عرضته عليك الآن.. أتمنى أن تعلمني بأسرع وقت ممكن".

هنا لم يتمالك (ريكارد) نفسه من الضحك وهو يسأله:

"أنت بالفعل لديك الكثير من الجراءة لكي تفعل ذلك.. ترى هل تعلم كم أملك من المال.. كي أقوم بتمويل مثل هذه التجارب؟".

قالها (ريكارد) وهو يتجول في أرجاء مكتبه، ويتحدث مع ضيفه وهو يتحرك.

نظر إليه (أصف) بهدوء وهو يقول:

"هل تعني أصولاً ثابتة أم أموال سائلة.. أم المجموع؟"

"لم لا تقول لي ما تعرفه؟".

"أنت تمتلك إلى الآن أموالاً سائلة تقدر بخمس تريليونات و ٣٥٠ مليار دولار.. ولديك أصول ثابتة تقدر قيمتها ب تريليون و ٤٠٠ مليار دولار.. مما يعني مجموع ما تملكه هو ست تريليونات و ٧٥٠ مليار دولار بشكل إجمالي".

اقترب (ريكارد) من (آصف) من الخلف وهو يضع يديه فوق كتفيه:

"من الواضح أنك قمت بدراساتك بشكل جيد جدًا قبل أن تأتي إلى هنا.. أنت تستمر في إثارة إعجابي.. ولكن لمَ تظن أنني يمكنني أن أثق فيك، وأضع مثل هذه المبالغ في تجربتك هذه؟".

التفت إليه(آصف) قائلاً:

"هذا لأنه ببساطة تجربتي إن نجحت؛ ستهبط بتكلفة إنتاج الجرام الواحد - الذي في أفضل حال قد تم إنتاجه بتكلفة ثلاثة تريليون دولار إلى أقل من مائة مليون دولار للجرام - كل الفارق هو البيئة التي سيتم داخلها التجربة، وطريقة إجرائها تختلف تمامًا عما قام به العلماء قديمًا.. لم لا أتركك لتقرأ الدراسة التي أعددتها بالأرقام وبالرسم البياني الدقيق والموضح؛ لترى الموضوع من وجهة نظر إحصائية بحتة؟ أليس هذا ما تجيده؟".

قالها وهو يستخرج من حقيبته ملفًا بلاستيكيًا متوسط الحجم، يحتوي في داخله على عدة شرائح بلاستيكية مضيئة:

"هذا هو ملف الدراسة بأكمله.. يمكنك أن تأخذ وقتك وتطالعه.. وحين تنتهي منه يمكنك أن تبلغني بقرارك في النهاية".

....

"مرحبًا بك يا (أصف).. كيف حالك؟".

قطعت هذه العبارة ذكرى هذا اللقاء اللعين الذي وقع بيننا منذ ثمان سنوات بأكملها.

نظرت أمامي لأرى شيطانًا أشقر ذا عيون زرقاء حادة النظرات، أبيض البشرة عريض المنكبين يرتدي حلة زرقاء زاهية وربطة عنق حمراء اللون.

نظر إليّ وابتسم ابتسامة تخفي وراءها كل صفات الشر والدناءة البشرية، التي يمكنها أن تأتي على عقل إنسان.

شيطان تحالفت معه عندما كان بشريًا.. بكل غياب وقصور نظر مني لم أستطع أن أعلم ما كانت ستؤول إليه الأمور مثلما يحدث الآن.

أنا الآن سجين داخل المفاعل، الذي رسمت وصممت كل جزء فيه بيدي.

الآن أنا مقيد بأغلال فولاذية ومسجون داخل حجرة زجاجية، وأوسعت ضربًا من أحد الرجال الآلية المصممة لحراسة مثل هذا الوحش.

نحن الذين نحتاج لحراسة من مثل هذا الشيطان اللعين....

تحسست عويناتي لكي أحاول تثبيتها فوق وجهي، بأيدي مرتعشة من فرط الإنهاك والتوتر:

"ماذا تريد؟".

توقف مكانه وهو يفرد ذراعيه بحركة مسرحية:

"أنا فقط أطمئن على صحتك أنك بخير ليس أكثر".

نظرت خلفه إلى غرفة زجاجية تقع في النصف الثاني من البهو الواسع، الذي احتجزني في أحد الزنازين الزجاجية في ركنه، وأنا أتأمل شبكة من القوالب الكروية المعدنية الكبيرة في الحجم نسبياً، وتحتوي كل منها على نواة كروية سوداء قاتمة اللون، وتربط ما بينهم عدة شبكات كثيفة من الأنابيب تربط تلك الأنوية ببعضها، تخرج منها بعضها وتدخل إليها بعضاً آخر، وهناك كم هائل من الومضات المضيئة على شكل أسطوانات، تمر داخل تلك الشبكة من الأنابيب ذهاباً وإياباً، بأحجام وسرعات مختلفة وغير متساوية هذا هو الجزء الذي أراه أمامي الآن، وهو الجزء المسؤول عن بداية تعليق جسيمات الكتلة (البوزونات) وفصلها عن المادة، ومن ثم إرسالها إلى أحد الأقطاب المغناطيسية داخل مكعب احتواء الجسيمات.. الذي وظيفته أن يرصّ عدداً هائلاً من جسيمات الكتلة داخله، ونفس هذا العدد في النصف الثاني من المكعب على قطب مغناطيسي آخر، يقوم باجتذاب الجسيمات المضادة لهذه الجسيمات.. لا بد وأن تظل عملية الفصل والتعليق محفوظة بسرعة معينة وبتوازن.. لأن أي خلل فيها؛ سيؤدي إلى تهرب الجسيمات من

الأقطاب، التي تحكم حركتها، وبالتالي لن يصبح لدينا تفاعلاً قائماً بين المادة والمادة المضادة.

هذا ما بنيتّه طوال السنوات الماضية، وهذه الزنزانة هي مصيري في النهاية بعد كل هذا العمل،

ابتسمت ساخراً وأنا أحاول أن أجاريه فيما يفعله:

"هل تعلم أن ما تحاول فعله يعد ضرباً من الغباء؟".

قهقهه (ريكارد) بصوت عال، وهو يميل برأسه للوراء ثم أشار إلى بسبابته:

"أنت رجل جريء .. رجل شجاع بالفعل.. رغم كل ما أنت فيه".

ثم أتبع عبارته بتصفيق مسرحي:

"لا أملك سوى الإعجاب بك.. لبتك شجاع مثل أفكارك".

هنا لم أتمالك أعصابي:

"ما ستفعله ليس بشجاعة.. إنك ستنتسبب في نهاية العالم بأسره.. تلك حماقة خالصة لا يوجد بها أية شجاعة على الإطلاق".

"أنت تعتبرها حماقة.. أنا أعتبرها تحدّ".

"من في التاريخ وحاول أن يتحدى الطبيعة بالعبث فيها من قبل وربح في النهاية؟ لا أحد.. لماذا تظن أن مصيرك سوف يختلف عن مصير أي منهم؟".

ارتفع حاجباه اندهاشًا وهو يقول:

"لم لا؟".

"هذا غير ممكن.. إن كان بإمكانك فعل ذلك.. لكان من قبلك فعله أيضًا..
ألم تفهم بعد؟".

هنا اقترب (ريكارد) من حائط الزنزانة الزجاجي وهو يهتف:

"ألم تفهم أنت بعد؟.. عار عليك أن تمتلك دماغًا عبقريًا كالذي تمتلكه، ثم
تريد في النهاية أن تروج للأمر بصورة تجارية صرفة.. أي غباء
هذا؟".

التصق وجهي بزجاج الزنزانة:

"العلم لم يكن بوابة للدمار.. لا ترتكب نفس الأخطاء التي ارتكبتها من
سبقتك، وتحوله لأداة تدمير هو برئ منها تمامًا".

"لم لا تستطيع أن ترى ما نحن مقبلين عليه يا (أصف)؟.. ولماذا تصر
على ادعاء المثالية؟.. والآن؟ ألم تأتني أنت بنفسك منذ سنوات لتعرض
علي مشروعك هذا؟.. لِمَ تغفل حقيقة أنك جزء لا يتجزأ من هذا؟.. لم
تغفل أنه لولاك لما كان كل ما يحيط بنا الآن من عظمة وقوة.. لم نكن
لنصل لمثل كل هذا.. لِمَ تحاول الآن أن تدعي بأنك غير مسؤول عما
حدث وما سيحدث؟".

"حسنًا لقد سعيت وراء المال.. أنا أعترف بذلك.. لم أكن مثاليًا كما
يجب.. ولكنني لم أرد أن أكون سببًا في القضاء على البشرية".

صاح(ريكارد):

"هراء.. أنت سعت وراء المال.. والآن يمكنك أن تدخل التاريخ
بقدميك.. لماذا تترك كل هذا من أجل أن تحافظ على حياة بعض البشر..
يموتون بين كل حين وآخر في حروب ليس لها طائل، يبتدعونها كلما
شعروا بالملل".

"لن يصبح هناك تاريخ حتى ندخل بأقدامنا إليه.. سنتلاشى تمامًا نحن
ومن كتبوا التاريخ، ومن ينتظر منهم أن يكتبوه.. كل هذا سيفني إذا ما
اكتملت خطتك الملعونة".

أشار(ريكارد) بذراعيه إلى نفسه:

"هل ذنبي أن مثل هذا العالم ضعيف؟ ولا يحاول أن يجعل لنفسه مكانًا
أقوى؟.. أنا أقوم بإسداء خدمة جليلة لهم.. أنا أعلمهم بقدراتهم الحقيقية،
وأعلمهم بأنهم ضعفاء.. ولكي يستحقوا أن يكتسبوا القوة؛ عليهم أن
يتبعوا من يمتلكها.. ويظهرون له الولاء والطاعة.. القوي هو من يمنح
القوة للضعفاء ممن حوله.. وهذا ما سأكون عليه.. في غضون عدة
ساعات من الآن".

هنا فقدت أعصابي فصحت فيه، وأنا أدق الحائط الزجاجي بقبضتي
بشكل عنيف:

"أيها الغبي.. أيها المجنون.. ستمحو العالم.. ستتسبب بتدميره.. ستتسبب
بقتلنا كلنا.. عليك أن تتوقف عن جنونك هذا".

"أعتقد أنه عليك أن تهدأ".

التفت إلى الرجل الآلي الواقف خلفه وهو يشير إلي:

"(شتودجارد)... من فضلك أعطه حقنة مهدئة تجعله يهدأ لمدة عشر دقائق ولا ينام.. أحتاج إلى التحدث معه".

تحرك الرجل الآلي في ثبات وسرعة، وهو يلصق يده بالحائط الزجاجي، ثم أدخل ذراعه من فتحة دائرية وهو يطلق من داخل يده محقناً بلاستيكيًا صغيراً، أطلق إبرة صغيرة التصقت في ذراعي في الثانية نفسها.. بدأت بعدها بعدة ثوان أشعر كما لو أن رأسي يتساقط من فوق عنقي.. فانهار جسدي في الأرض، وأنا أحاول أن أرفع بصري إليه:

"توقف عما تفعله.. لن تنجح أبداً".

التفت (ريكارد) مجدداً وهو يشير إلى (شتودجارد) مجدداً:

"(شتود) هل يمكنك أن تحضر لي مقعداً.. يبدو أن الحديث سيأخذ وقتاً طويلاً".

قام الآلي بالإمساك بأحد المقاعد المجاورة، وحمله في خفة، وعاد إلى مكان وقوف (ريكارد) ووضع المقعد خلفه ثم عاد ليقف مكانه مجدداً.

احتل (ريكارد) مكانه فوق المقعد سريعاً، وهو يقترب به ناحية الجدار الزجاجي قائلاً:

"لَمْ تظن أنني لن أنجح؟".

>>دائمًا ما كانت تظهر النرجسية التي في داخل(ريكارد) كل فترة؛
ليخترع نقاشًا فلسفيًا فاشلاً من أجل التباهي بقوته والتأكيد على جنون
العظمة الذي يحتل رأسه<<.

"أنا لا أظن ذلك... أنا متأكد من ذلك.. هل نسيت أنني من صمم هذا
المكان؟.. هل تذكر.. أنا العقل وأنت التمويل كيف ستنجح من دون عقل
يخبرك بأن التعديلات التي قمت بها ستتحول إلى كارثة؟".

"على ذكرك لنقطة العلم.. أنت تعلم جيدًا ما الذي أمتلكه في تلك النقطة،
ويمكنه أن يسد مثل تلك الفجوة إن كانت موجودة بالفعل.. أم أن لك رأيًا
آخر؟"

"لا يمكنه الموافقة على ما تفعله... لن تستطيع أجهزة التعليق السيطرة
على مثل هذه الكتلة.. وسينهار التفاعل قبل اكتماله.. وسيؤدي هذا
الفيض من الطاقة الهائلة إلى حدوث تشوه بالغ في نسيج الفضاء لا
يمكننا توقع عواقبه".

افتعل(ريكارد) الاهتمام وهو يسأل:

"ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟".

"يعني أنك ستنتج لنا ثقب أسود يبتلع كل ما حوله وبوتيرة أسرع مما
يحدث للنجوم عند موتها.. ألم أقل لك من قبل أنك أغبي مَنْ رأيتهم في
حياتي؟ لنا الله هو الذي سينقذنا في النهاية من برائن شيطان مثلك".

صمت(ريكارد) لعدة ثوان بعد تلك الجملة الأخيرة، وهو يفكر لعدة
ثوان:

"(أصف).. هل تؤمن حقًا بوجود إله؟".

"هل تشك أنت في عدم وجوده؟".

"حسنًا.. دعني أسألك سؤالًا.. إذا كان ما أفعله كما تقول خطرًا على مستقبل البشرية.. هل تظن أن الله سوف ينفذ البشرية مما أفعله؟".

"دعني أجيب سؤالك بسؤال.. كيف وجدت إذن المجموعة الشمسية، بكواكبها وشمسها وكل هذه الأعداد من النجوم والمجرات التي حولنا.. هل كل هذا نشأ مع فرط اختلافه وتباينه من قبيل الصدفة؟".

ابتسم (ريكارد) للسؤال المباغت وهو يرد:

"يفترض بأنك عالم.. ويفترض بأنك تعلم إجابة مثل هذه الأسئلة البديهية التي تسألها جيدًا".

"حسنًا.. دعني أسألك السؤال بطريقة أخرى.. مَنْ الذي بنى هذا المفاعل (سرمايه)؟".

ابتسم بفخر وهو يشير إلى نفسه:

"أنا الذي بنيته بالطبع".

كان مفعول المهدئ بدأ يزول مما سمح لي ببعض الصفاء الذهني:

"هل كان من ممكن أن نستيقظ يومًا ما، ونجد مثل هذا المفاعل موجودًا من تلقاء نفسه؟".

"كلا بالطبع لابد وأن كيأنا جباراً مثل هذا يكون وراءه عقلاً مفكراً
و...".

صمت عندما فهم ما أريد أن أصل إليه فتأبعت:

"أترى مازال عقلك في حاجة لإعادة تقييم".

صمت(ريكارد) هذه المرة طويلاً... ثم نهض من مكانه، وهو ينظر
إلى(آصف) بحدة:

"لن تجدي فلسفتك هذه نفعا عندما تشاهد بعينيك ما سوف أفعله".

نهضت من جلستي أنا الآخر، وأنا أهتف فيه:

"(ريكارد).. أريدك أن تعدني".

ظهرت على وجهه أمارات الاندهاش لمثل هذا الطلب:

"ماذا؟!".

"عدني أنك عندما تفشل - وسوف تفشل وسينهار كل شيء.. وقتها فقط..
- تذكرني".

انطلقت ضحكات(ريكارد) مجلجلة عالية، وهو يصفق مجدداً:

"اللعة يا رجل.. أنت ممثل رائع.. كان يجب أن تضع التمثيل ضمن
أولوياتك.. بدلاً من أن ينتهي بك الحال هنا.. عالماً بانساً لا حول له.. لن
ينفعه علمه ولن ينجيه من المصير الذي ينتظره.. وسيعلن فشله بنفسه
ويقبل موته بصدر رحب.. سأجعل (شتودجارد) ينتزع لي مخك بنفسه،

وسأحتفظ به كسجل للبشرية عن أول حالة تجتمع داخلها عبقرية فذة
وغباء جم في نفس الدماغ!".

نظر كل منا إلى الآخر، وعلت وجوهنا نفس ابتسامة الثقة القوية
الواضحة.. ابتسامة يظن صاحبها بأن يقينه هو الذي سينتصر في
النهاية.

>>دع الأمور تسير كما يحب الفيضان.. سوف تنال من خيرهِ إن أطعته<<.

تقدمت بخطوات متزنة تجاه غرفة الاجتماعات مرة أخرى؛ لكي نستكمل اجتماعنا بعد فترة الاستراحة التي أخذناها، والتي تجاوزت الساعة بالفعل.

مررت بجانب مكتب المساعدة، التي ما أن رأتنى حتى هتفت بإسمي:
"د. (فاديم)".

توقفت ثم خطوت إلي مكتبها عدة خطوات متسائلاً:
"ماذا هناك؟".

"لقد وردت إلينا التسجيلات الخاصة بالصناديق السوداء للطائرات".
صدمني ردّها فسألتها محتدّاً:

"آية صناديق سوداء؟! .. ألم تتعرض جميع هذه الصناديق للتلف؟".
نظرت إليّ المساعدة وهي مندهشة من التساؤل الحاد، وردت بحذر:

"هذا صحيح .. ولكن هناك في عدة أماكن حول العالم نقاط لتجميع البيانات، وتكون دائماً على اتصال متزامن مع جميع الطائرات والسفن الفضائية المسافرة حول العالم، وفي الفضاء ويتم نقل بيانات الصناديق

السوداء إليها في حالة ما إذا دمرت أو تعرضت للتلف.. هل نسيت ذلك؟".

<<اللجنة! .. لا بد وأنك تمازحينني>>.

<<اهدأ.. سيطر على أعصابك.. تصرف بهدوء، وسوف يكون كل شيء على ما يرام>>.

<<فقط .. قم بتجاهل الأمر!>>.

ابتسمت وأنا أخطبها ممازحًا إياها:

"كلا.. لم أنس ذلك.. لكن فقط كما تعلمين هناك ملايين الأمور التي تشغل بالي حاليًا.. شكرًا لكِ

هل يمكنك الاحتفاظ بها في الوقت الحالي إلى أن نحتاجها".

أومأت هي بالإيجاب وابتسمت قائلة:

"بالطبع يا د.(فاديم)".

<<هل رأيت؟!.. لا تضخم الأمور بأكثر من حجمها الحقيقي مرة أخرى>>.

عدت أسير مجددًا تجاه غرفة الاجتماعات إلى أن توقفت أمام بابها الخشبي الضخم لثوان؛ لألتقط أنفاسي

وكما هي العادة قمت بطرق الباب عدة طرقات متتابعة سريعة، ثم قمت بالدخول إلى الغرفة..

>> هذا هو المكان الذي أترأسه.. اللعنة ما هذا؟.. لا يفترض بي أساساً أن أطرق الباب.. إنما هي فقط اللباقة ليس أكثر<<.

ما أن وصلت إلى طاولة الاجتماعات، حتى وجدت د.(كلايد) ود.(مارلينا) و(أوديت) ثلاثتهم في انتظاري.

"مرحباً بكم مرة أخرى".

أجاب ثلاثتهم:

"مرحباً بك د.(فاديم)".

نظرت إلى الجميع لأتأمل وجوههم.. كانوا لا يزالوا يتطلعون هم أيضاً إليّ .. عدا (أوديت) التي كانت تنظر أمامها في أحد الأوراق...

"ما الذي يشغل بالك يا (أوديت)؟".

التفتت (أوديت) فجأة وهي تنظر إليّ وانتابها الارتباك وهي تقول:

"لا شيء.. لقد كنت فقط أراجع بعض تقارير فحص حطام الطائرات".

سألتها باهتمام:

"ترى وما الذي وجدتيه يبعث على الحيرة؟".

نظرت إلي (أوديت) باندھاش، فابتسمت وأنا أشير بيدي إلى وجهها:

"نعم يا عزيزتي الوجه يقول كل شيء".

تورد وجهها خجلاً كالعادة وهي تتنحرج قائلة بهدوء:

"كل ما في الأمر.. أن الصناديق السوداء الموجودة بالطائرات أصابها التلف!.. وهذا شيء غريب.. فكما نعلم جيدًا أنها مصممة لكي تتحمل الانفجارات.. لكنها سليمة لم تصب بخدش.. رغم تحطم بعض الطائرات، مع عدم استطاعة طياريتها تفادي الاصطدام بعد تعطل أجهزة التوجيه بشكل مفاجئ.. إلا أنها.. تالفة.. أجهزة التسجيل الفائقة داخلها لم يستطع أحد أن يحصل منها على كلمة واحدة.. كما لو أن أحدهم قد محي كل ما هو مخزن عليها".

انعقدت حواجبنا جميعًا.. فما تقوله (أوديت) شيء يدعو للقلق.. والأدهى أننا لم ننتبه إليه في النصف الأول من اجتماعنا.

"هل كان هذا الأمر مذكورًا في التقارير، التي فحصناها في اجتماعنا الأول، أم أنه تحديث للتقارير؟".

رفعت (أوديت) الشريحة البلاستيكية أمامي، وهي تقول:

"تحديث للتقارير منذ ما يقرب من عشر دقائق".

<<إذن هذا لم يفلت منا>>.

أومأت برأسي إيجابًا بعلامة التفهم بينما هتفت (مارلينا):

"أعتقد أننا تأكد لدينا فكرة العمل الإرهابي، إذا أضفنا تلك النتيجة إلى ما لدينا من أعراض".

نظرت إليها وأنا أفكر في عبارتها، وهذا الظرف الجديد الذي طرأ مؤخرًا لدينا.

"د.(فاديم) ..".

كانت صاحبة النداء هي (ميا) الصوت المبرمج به الذكاء الاصطناعي الخاص بالحاسب الآلي.

"ماذا لديك يا (ميا)؟".

"حسنًا.. لدي هنا بريد إلكتروني مُرسل من وكالة ناسا إلى بريدك الإلكتروني".

"يمكن تأجيل هذا إلى وقت آخر يا(ميا) نحن لدينا عمل نقوم به الآن".

"هذا البريد عاجل وأحد العاملين في وكالة (ناسا) يفيد بأنه يجب عليكم الاطلاع عليه..".

انفتحت الجميع تجاه المكان الموجود به جهاز الحاسب الآلي، كما لو أنه تجسيد رمزي لشخصية(ميا)؛ واعتلت وجوه بعضهم ملامح الاندهاش والاستنكار والتساؤل.....

قلت لها أمرًا:

"حسنًا يمكنك أن تعرضيه لنا على جدار العرض الآن".

أضاء الجدار المقابل لمكانهم مجددًا باللون الأبيض الساطع، الذي انخفض تدريجيًا؛ ليقوم بعرض رسالة البريد الإلكتروني.

كان على يسار الرسالة شعار وكالة الفضاء (ناسا)، بينما تحتوى الرسالة على ملف فيلمي ومكتوب في الرسالة:

- هذا الفيديو يشرح بشكل مبسط ظاهرة طبيعية نادرة الحدوث تسمى (انعكاس القطبية)(*) وبين يديك الآن خلاصة معلوماتي عن تلك الظاهرة في خلال العقدين الماضيين، التي عكفت خلالها على دراسة كل ما يتعلق بهذه الظاهرة وتأثيرها.. التي أعتقد أنها تعد أفضل تفسير للأحداث الأخيرة التي عاصرناها

"(ميا) قومي بتشغيل الفيديو".

بدأ الفيديو في أول ثلاث ثوان بخلفية سوداء، ثم ظهر فوقها باللون الأبيض الساطع باللغة الإنجليزية

- ظاهرة انعكاس القطبية

ثم تبدلت الصورة؛ لتظهر لنا صورة متحركة لكوكب الأرض، تم التقاطها من عدة أقمار صناعية، وهو يدور حول نفسه، وبدأ تعليقاً صوتياً في الخلفية بجانب المشاهد المعروضة:

- بالطبع كما نعلم جميعاً فلوكب الأرض غلافًا جويًا يحميها من أشعة الشمس الضارة.. وهذا الغلاف الجوي يحيط بالأرض نتيجة لجاذبيتها الأرضية.. هناك أيضًا غلافًا آخر يحيط بالأرض، ويسمى بالمجال المغناطيسي للأرض(**)

اقتربت الكاميرا لتحتل صورة الكوكب أكثر من نصف الشاشة، وتشكلت حوله هالة زرقاء مضيئة على شكل عدة أشعة تخرج من الأرض وتعود إليها مجددًا.. بدا شكلها كما لو كانت تكررًا لعلامة

اللانهاية الشهيرة في الرياضيات، ولكنها تتكرر بعدة أحجام متدرجة حول الكوكب، وعاد الصوت ليقول:

- دور المجال المغناطيسي هو حماية الأرض من الجسيمات الضارة، التي تأتي من مصادر مثل الشمس أو أية مصادر أخرى نجمية.. ما يحدث أننا أغلب الوقت ما نكون محظوظين بأن تأتي تلك الجسيمات باستقطاب مماثل للجزء المقابل لها في المجال المغناطيسي الأرضي؛ مما يؤدي إلى ارتدادها أو في مرات قليلة نكون أصحاب حظ سيء، ويكون الاستقطاب معاكسًا فتهاجمنا تلك الجسيمات، وتحدث أضرارًا جسيمة.. وهذه هي أعراض العواصف الشمسية، التي ظن بعضنا خطأ أنها هي المسؤولة بشكل مباشر عما حدث

(*) انعكاس القطبية: هي ظاهرة طبيعية، تنشأ نتيجة لعدم انتظام حركة المواد السائلة في منطقة اللب الخارجي لباطن الأرض، الذي يولد اختلاف في قيمة واتجاه المجال المغناطيسي الخاص بالأرض.. ويكون هذا الاختلاف من القوة والشدة؛ لأنه يؤدي إلى انعكاس المجال المغناطيسي للأرض، وتتبدل أقطاب الأرض المغناطيسية.. ولا يوجد إلى الآن تفسير واضح لسبب عدم انتظام حركة تلك المواد السائلة.. تستغرق هذه العملية حوالي ألفي عام في المتوسط، حيث تنخفض قيمة الميل المغناطيسي إلى الصفر ثم ترتفع ثانية في الاتجاه الآخر.

(**) المجال المغناطيسي للأرض: نفترض النظرية الديناميكية (Dynamo Theory) تعرف أيضًا باسم (Magnetic Field)، التي جاء بها (الساسر وبولارد) (Elsasser&Bullard) أن حركة دوران الأرض باتجاه عكس دوران عقارب الساعة، مع وجود تيارات حمل (Thermal Conduction Current) في غلاف اللب الخارجي السائل، ووجود لب داخلي صلب تؤدي إلى توليد تيارات كهربائية خفيفة، ويؤدي التداخل ما بين التيارات الكهربائية وحركة تيارات الحمل الحراري في غلاف اللب الخارجي إلى توليد مجال مغناطيسي، يتميز المجال المغناطيسي للأرض بخاصيتين الأولى أنه مجال ثنائي القطب.. وثانيهما التغير المنتظم لقوة المجال، أو كثافة خطوط القوة بين القطبين.

تبدلت الصورة وتغير شكل المجال المغناطيسي على الشاشة، وبدأ كما لو أنه قد تحول إلى ذيل طويل ممتد من أحد الجانبين.. الجانب البعيد عن الشمس كما لو كان انسحق، وتبدو هناك حوله منطقة تتلون باللون الأصفر كما لو أنها سحابة صفراء غازية تحيط بالأرض.

- في الحالات العادية هذا ما يحدث للمجال المغناطيسي عند وقوع عاصفة شمسية؛ يتفاعل معها المجال ويقاومها ويبعد الجسيمات التي ترسلها الشمس بعيدًا عن الأرض

تغيرت الصورة مرة أخرى؛ فظهر المجال المغناطيسي كما كان في الصورة الأولى بشكله الطبيعي، ثم بدأ يقل مع مرور عدة ثوان بشكل تدريجي.

- تحدث كل فترة طويلة من الزمان ظاهرة تسمى بانعكاس القطبية.. تنخفض عند حدوثها قيمة المجال المغناطيسي للأرض إلى الصفر، قبل أن ينعكس قطبي الأرض المغناطيسيين تدريجيًا.. المشكلة الحقيقية هنا والتي أظن أننا نواجهها حاليًا.... هي أنه لأسباب غير معلومة على مدار الخمسين عامًا السابقة تتسارع قيمة انخفاض المجال المغناطيسي للأرض، بمعدل يزيد عن المعدل الطبيعي.. وتتسارع هذه الانخفاضات بشكل مفاجئ متذبذب من الحين إلى الآخر

- نحن الآن يمكن اعتبارنا في المرحلة الأخيرة قبيل بدء هذا الانعكاس، الذي متوقع له بمعدلات تسارعه التي نعصرها أن يبدأ في خلال المائتي عام القادمة.. ما رأيناه أماننا في الوقت الحالي ما هو إلا ضعف مؤقت في شدة المجال المغناطيسي

للأرض؛ أدى هذا إلى تشويش عنيف يماثل التشويش الناتج من انفجار الرؤوس النووية قديماً، وسبب هذا التشويش هو الاقتراب من بداية انعكاس أقطاب الأرض المغناطيسية#.

هتف(ريمنكين):

"يا إلهي.. هل يعني هذا أن كل ما تبقى للبشرية هو مائتي عام فقط؟!".
أشرت إليه بأن يصمت وينتظر إلى انتهاء الفيديو.

• أريد أن أوضح لكم أيضاً كيف حال القطبية الاعتيادية في الوقت الحالي.. بالنسبة للفترة الحالية فالقطبية الاعتيادية ظلت مستمرة ما يزيد عن سبعمائة ألف سنة(*)

ولا يعلم أحد بصورة دقيقة ما الذي حدث وقتها.. لم يكن العلم بمثل تقدمه الآن؛ ليكتشف ويدرس ويدون تلك الظاهرة وما ترتب على حدوثها من آثار جانبية.. كل ما لدينا الآن بعض التكهّنات ليس أكثر، عن طبيعة تلك الأعراض الجانبية لتلك الظاهرة النادرة التي بين أيدينا الآن

(*) الانقلابات المغناطيسية: من خلال عمليات دراسة النماذج الصخرية في القيعان البحرية، تم اكتشاف ١٧١ حالة انقلاب في القطبية المغناطيسية في خلال ال ٧٦ مليون سنة الماضية منها ٩ انقلابات حدثت خلال ال ٤ ملايين سنة الأخيرة، وكانت أطول فترة متواصلة للقطبية الاعتيادية قد تجاوزت ثلاثة ملايين سنة في حين سجلت أقصر فترة ب ٥٠ ألف سنة، أما بالنسبة للفترة الحالية فالقطبية الاعتيادية فيها لا تزال مستمرة منذ ما يزيد عن ٧٠٠ ألف سنة.

- الآن يدور التساؤل المنطقي في رؤوسكم جميعاً.. ما علاقة كل هذا الذي قلته هنا بما حدث للطائرات.. يؤسفني أن أخبركم أنه بناء على النتائج والتقارير التي أعدناها الفترة الحالية؛ فإن ظاهرة انعكاس القطبية هي المتهم الرئيسي فيما حدث.. تذبذب شديد في قوة المجال المغناطيسي للأرض.
- إلى تأثير يشابه النبضة الكهرومغناطيسية القوية، الأمر الذي ظهر تأثيره في عدة أماكن متفرقة في العالم، الذي أدى إلى هذه الحوادث المؤسفة التي وقعت في الساعات المبكرة من اليوم..
- هذا هو بريدي الإلكتروني ويمكن أن تتواصلوا معي عبر هواتف الوكالة التي لديكم، سأكون متواجداً في حالة إذا ما أردتم الاستفسار عن أي شيء بخصوص تلك الظاهرة.. شكراً لكم على حسن استماعكم

"حسناً.. ما رأيكم؟"

سألتهم بمجرد أن انتهى الفيديو؛ لكي أرى كيف ستكون آرائهم.

"حسناً ربما يكون لدى هذا الرجل وجهة نظر جديدة لم نكن ننظر إليها".

تحدث (ريمينكين) بحذر:

"إنه احتمال وارد.. لقد كان بالفعل من ضمن احتمالاتنا أن تكون ظاهرة طبيعية هي المسؤولة عن الحادثة، ولكننا لم يخطر ببالنا فقط أنها ظاهرة نادرة جداً مثل هذه".

نظر الجميع إلىَّ وهم يتساءلون عن رأيي.

"كلا.. لا أوافق معك يا د.(ريمنكين).. لا أظن أن هذا التفسير منطقي".

على عكس ما توقع الجميع كانت صاحبة هذا الاعتراض الجريء هي (أوديت) التي لم تعرف طوال حياتها للجرأة طريقاً.

كانت الدهشة من نصيبنا جميعاً؛ نظراً لأسلوبها المبالغت في الاعتراض.

"أعتقد أن اعتراضك له ما يدعمه من أسباب يا (أوديت) أليس كذلك؟".

هتفت:

"في الواقع.. إنه في الوقت الحالي لا أمتلك أسباباً مؤكدة.. إلا أنني دوماً لا أشعر بانسجام تجاه الفكرة السحرية، التي نجد مع ظهورها تفسيراً لكل شيء نراه حولنا.. إنه فقط أمر ينافي المنطق".

فردت يداي بحركة استفهامية وأنا أسألها:

"هل سنرفض نظرية الرجل لعدم انسجامك مع تأثيرها؟!!".

"وهل سنوافق عليها لمجرد أنها غريبة أو نادرة؟!!".

كان التساؤل المضاد من نصيب (مارلينا) هذه المرة فالتفت بوجهي إليها متسائلاً:

"أنتِ أيضاً معترضة؟".

ابتسمت (مارلينا) وهي ترد:

"لا يمكنني إلى الآن اعتباره اعتراضًا؛ فأنا لم أكون فكرة قوية عن تلك النظرية بعد.. ولكنني أستطيع أن أقول إنني أشارك مع (أوديت) في عدم الارتياح لما وصفته هي بالفكرة السحرية، التي في داخلها حل لكل شيء".

"لا يمكنني أن أفهم كيف تعمل رؤوسكم أنتم النساء... أبدًا".

"حسنًا.. يكون التفسير غير ملائم لنا.. ولكن ماذا عن هذا الرجل يعمل لدي وكالة (ناسا)؟".

تساءل (ريمكين) وهو يتبادل نظراته مع ثلاثتنا... فسألته (أوديت):
"وماذا عنه؟".

اعتدل ليوجه لها كلامه شارحًا:

"أعني أن التفسير يبدو غريبًا بالفعل.. لكن من يعملون داخل هذا المكان لا يمكن أن تصدر منهم أية بيانات هكذا بشكل هزلي.. لابد وأن للرجل أسبابه فيما رشحه بقوة لأن يكون السبب وراء تلك الحوادث".

تدخلت (مارلينا):

"نحن لا ننتقد الجهة التي صدر عنها هذا الكلام، ولا نحاول التشكيك في مصداقيتها أو جديتها وعدم تهاونها في كيفية اختيارها لمن هم يعملوا داخلها.. ولكننا فقط نعرب عن عدم انسياقنا بشكل أعمى مع الاستنتاج، الذي ترشحه تلك الجهة؛ لكي يصبح تفسيرًا لما حدث.. نحن فقط نريد

المزيد من الوقت والمزيد من البيانات حتى نستطيع أن نكون رأياً نهائياً".

<<كم أحب من يمتلكون مثل تلك العقليات النقدية المفكرة.. هؤلاء لا يؤمنون بمسلمات دون أن يتبعها أدلة قوية تثبتها.. أو تنفيها.. هكذا يجب أن تكون العقول>>.

بشكل مفاجئ تصاعد صوت رنين هاتفي المحمول؛ فأشرت إليهم معتذراً وأنا التقط سماعته بخفة من داخل جيب سترتي:

"(إيجور)".

....

نظرت إليهم بينما أستمع إلى الرسالة الصوتية المرسلة إلى بريدي. انتظرت إلى أن انتهت الرسالة الصوتية بعد أن استغرقت ما يقرب من دقيقة ونصف

<<كل شيء إلى الآن يعمل على ما يرام.. يجب الانتقال إلى المرحلة التالية.. المتابعة>>.

تبادلت النظرات أنا و(مارلينا) وظل الكل صامتاً لا يتحدث.

"لا زلت لا أشعر بالارتياح للنظرية التي أتى بها هذا الرجل.. من يكون هو بأية حال؟".

سألت (أوديت) و بدا عليها الضيق.

"(ميا) هل يمكن أن تعطينا بعضًا من المعلومات عن مرسل هذه الرسالة؟".

استجاب الصوت الآلي الأنتوي لطربي؛ وانتظرنا ثواني غارقين في الصمت إلى أن قطعه (ميا):

"(اندرياس أورلوف) عالم وخبير في الظواهر الطبيعية، عمره ثمان وأربعون سنة، يعمل لدي وكالة (ناسا) منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا، ودراسته الأساسية كانت عن مدى تأثير الظواهر الجوية النادرة المتعلقة بكوكب الأرض على معدل حياة الإنسان بمرور العصور".

"لحظة واحدة!.. ألم يرفق بالرسالة صور من أبحاثه التي تدعم فرضيته؟".

اعتذلت في مقعدي، وأنا انظر إلى (مارلينا) صاحبة التساؤل، وأنا أرد على تساؤلها بتساؤل:

"بالطبع".

نظرت إلى (أوديت):

"إن لا اعتراضات أو إبداء شكوي قبل أن نقرأ أبحاث هذا الرجل؛ ونؤكد مما هو معروض أمامنا".

ثم هتفت:

"(ميا) من فضلك أريد أن أرى الملفات المرفقة مع هذا البريد الإلكتروني".

قامت(ميا) بتحميل الملفات المرفقة مع البريد الإلكتروني إلى الصفحات الخاصة بالتقرير الخاص بحوادث الطيران؛ فتبدل المكتوب أمامهم وظهر مكانه عدة ملفات مكتوبة، وعدة صور وبعض الرسوم البيانية.

"كم الساعة الآن؟".

سألت(أوديت) بشكل مفاجئ، فانتبه الجميع إلى أننا لم نعد نشعر بالوقت. نظرت في ساعة يدي وأنا أخبرها:

"إنها العاشرة والنصف".

نظرت إلينا(أوديت) وبدى على ملامحها الارتباك المفاجئ.. مشهد لا أحب أبدًا أن أراه يعلو وجه أي عالم فسألتها متبرمًا:

"ماذا بك؟".

"لدى غداً محاضرة سوف ألقياها في التاسعة صباحاً في الجامعة.. و لم أحضر لها نظراً لانشغالنا جميعاً بالعمل هنا.. ولا يمكنني أن ألقياها الآن.. فهل يمكن أن أستأذن وأعود غداً بعد إلقاء المحاضرة؛ لكي نستكمل عملنا.. هذا بالطبع إذا لم تتوصلوا إلى السبب الحقيقي وراء ما حدث قبل أن يأتي الصباح ..أعني هل ستستمرون هنا أم سيغادر أحدكم؟"

نظرت إلى(ريمينكين) و(مارلينا) الذي بدا على كليهما الإرهاق؛ نظراً لبقائهما هنا فترة طويلة أكثر من نصف اليوم.. فأشار(ريمينكين) برفع ذراعه وهو يقول:

"أنا أريد المغادرة أنا أيضًا؛ لكي أحظي بأربع أو خمس ساعات للنوم إن كان هذا متاحًا".

"حسنًا هذا حقكم؛ أنتم تعملون هنا منذ الصباح الباكر.. سنغادر الآن ونلتقي غدًا لنتابع العمل على تلك المشكلة".

هتفت (مارلينا):

"سوف أبقى هنا".

بعد أن نهض الجميع من جلسته حظت هي بنظراتنا واهتمامنا وأنا أسأل:

"أليس لديك محاضرات غدًا؟".

"كلا لقد ألغيتها كلها.. ويمكنني البقاء هنا ومتابعة البحث".

هزرت كنتفي وأنا أرد:

"وماذا عن النوم؟.. هذا هام جدًا من أجل دقة عملنا".

"سوف أغفو قليلًا هنا إذا ما استلزم الأمر".

"حسنًا.. نلتقي بك غدًا".

نهضنا جميعًا و(أوديت) و(ريمكين) يصافحانها، ومن ثم صافحاني بينما اكتفيت أنا بتحياتها بالابتسام ثم أتبعته بإيماءة من رأسي وقمت بالمغادرة.

خرجت من المكان متجهًا إلى سيارتي الكهربائية، وقامت السيارة بمجرد أن تعرفت عليّ لدى اقترابي منها؛ بفتح الباب الخلفي الأيمن للسيارة، قمت بعبوره للجلوس بالأريكة الخلفية المريحة بينما سألتني السائق الآلي:

"مرحبًا د. (فاديم) ..إلي أين تفضل الذهاب الآن؟".

<<إلى الآن كل شيء أكثر من رائع>>.

ظلت مغمض العينين لعدة لحظات، ثم التقتت نفسًا عميقًا لأقوم بعدها بإخباره:

"المنطقة ب-٨".

"لك هذا يا سيدي".

انطلقت السيارة بنعومة من مكنها و(جيك) الرجل الآلي في داخلها يقوم بعملية، مسح لكثافة المرور بالشوارع؛ لكي يختار لي أفضل الطرق وأسرعها؛ لكي أذهب إلى أحد منازلتي، التي أمتلكها، الذي يقع على أطراف المدينة.

بعد مرور ما يقرب من سبع دقائق من السير بالسيارة على سرعة متوسطة؛ وصلت إلى المنزل

ترجلت من السيارة:

"أنت تعلم أين ستقوم بوضع السيارة بعد مغادرتي أليس كذلك يا (جيك)؟"

أجاب(جيك):

"بالطبع يا سيدي".

قام بعدها السائق بالابتعاد بالسيارة إلى مكان بعيد؛ لكي لا يشير وجودها هنا أمام المنزل أية شبهات ولا تلفت الأنظار.

كان الوقت قد تأخر فبدا المنزل كأحد الأكواخ الصغيرة العتيقة، التي على رغم من صغرها إلا أنه هذا المنزل بدا شامخًا بألوانه، الممتزجة ما بين البرتقالي والبنّي والأحمر بدرجاتهم ونوافذه المطلية باللون الأبيض، التي تضيئ في الليل بإضاءة داخلية تزين إطاراتها.

صعدت بعض الدرجات كي أصل إلى الباب، وأنا أخرج إحدى البطاقات الزجاجية الصغيرة، التي كانت بالإضافة إلى كلمة سرية هي مفتاح الدخول.

مررت البطاقة في التجويف الخاص بها على جانب الباب، وقمت بإدخال كلمة السر عبر لوحة المفاتيح المضئنة بجانب التجويف؛ ليصدر الباب تكة بسيطة تعلن أنني من المصرح لهم بالدخول.

أنا أعيش في هذا المنزل منذ فترة بعيدًا عن أسرتي.. من أجل استطاعتي ممارسة أعمالتي بحرية أكبر، وأن أستريح من عناء كل من العمل والأسرة بأن أظل هنا لعدة أيام.. وبما أن زوجتي تعلم أن عملي يحتم علي البقاء لعدة ليال في داخل مكان العمل، أو ربما السفر المفاجئ لحضور بعض الندوات أو حتى الاجتماعات الدولية الطارئة.. وتلك بالطبع التي انتهى أمرها منذ فترة بعد أن تم اعتماد المؤتمرات المرئية

عبر شبكة الإنترنت.. ولكنها فقط لا تحاول أن تعرف.. لا تحاول أن تسأل أين أنا، ولم أختفي عدة أيام هكذا بشكل مفاجئ.

زوجة مطيعة.. أو ربما تكون متجاهلة.. أنت تعلم جيدًا كيف تفكر النساء، وكيف تعمل عقولهن.. إنها أضعاف مضاعفة من قوة عقولنا.. تختار متى تكون ضعيفة.. وتختار أيضًا وبعناية فائقة متى لحظة الهجوم على نقائصك وافتراسك.. فقط متى يحلوا لها.

>>الآن ليس الوقت المناسب لاستدعاء دور ضميرك.. هناك أشياء أهم بكثير من كل هذا في الوقت الحالي.. الأهم الآن هو أنت.. إذا امتلكت (كلارا) أية دليل ضدك فلتواجهك به.. بخلاف ذلك فليذهب أي قلق يفتعله ضميرك من أن إلى آخر إلى الجحيم.. ليس هذا وقت المثاليات<<.

توقفت في داخل الغرفة الرئيسية للمنزل أمام المرأة الموضوعه بها.. وأنا أتأمل وجهي وأعيد تصفيف خصلات شعري مجددًا بعناية.

صدر صوت قفل الباب وأحدهم يقوم بفتحه، ومن ثم انفتح الباب ليدخل عبره أحدهم وينغلق الباب من جديد.

لم أبال بالطبع.. لأنني كنت أعرف بالتحديد مَنْ الزائر.

أو كي أكون أكثر دقة. مَنْ هي...

لم تستغرق خطواتها لكي تصل إلى الغرفة التي أقف بداخلها عدة ثوان.

"عزيزي.. كيف حالك؟".

نظرت في المرأة ولم التفت إلي القادمة من خلفي.

اكتفيت فقط بالابتسام وأنا أراقب صورتها في المرأة، وهي تقترب من خلفي؛ لتحضني من الخلف بذراعيها الرقيقتين، ويتهدل على وجهها وكتفي شعرها المجعد بلونه، الذي يتبدل ما بين البني والأصفر কিفما تفصح عنه إضاءة المكان.

"مرحبًا يا عزيزتي .. أنا بخير .. كيف حالك أنت؟".

انحنيت كي اسمح لها بأن تطبع قبلة على وجنتي، وهي لا تزال تعاود الاحتضان بقوة هذه المرة بعد أن أصبحت أمامي:

"أنا في أفضل حال طالما أنت معي يا (إيجور)".

ابتسمت لها وأنا أعيد القبلة على جبهتها ثم انحنيت على أذنها لأهمس:

"وأنا لن أصل إلى الكمال دونك يا (أوديت)".

ارتسم فوق وجهه (أوديت) الطفولي ابتسامة متسعة، وهي تلتفت مجددًا إلىّ وتحيط عنقي بذراعيها قائلة:

"كيف كنا اليوم؟".

مطيت شفتي بابتسامة باهتة:

"لدى سؤال أفضل من ذلك بكثير".

"ما هو؟".

"كيف سنصبح بعد انتهاء اليوم؟!"

ظلت تحقق في بعينيهما ولا تزال ابتسامتها تتسع حتى ظهرت أسنانها الناصعة البياض، وهي تقبلني مرة أخرى.

"سوف تصبح عظيمًا".

"ولن يتوج مثل هذه العظمة بجانبني سواك".

نظرت إليها وأنا أستطرد:

"هل تعلمين.. لقد حصلت على كل شيء.. المال.. والمنصب.. وربما الشهرة.. حيث أنني في مثل موقعي يمكن اعتباري مشهورًا بالنسبة لجميع من هم في المجال.. شيء واحد هو ما أفقده".

رسمت فوق وجهها ابتسامة متسائلة وهي تنظر إلي فتابعت:

"الشعور بالعظمة.. إنه ذلك الإحساس الرائع.. الذي يحمل في طياته شعورًا بالتفرد.. إحساس أنني شخص لن يستطيع أن يجود التاريخ بمثله، وينبغي أن تحدث ثورة علمية جديدة؛ كي يأخذ أحد مثل هذه المكانة، التي اكتسبها توماس إديسون.. شخص حفر مكانًا خاصًا به في التاريخ لم ينافس عليه أحد.. ولم يسبقه إليه أحد.. ولن يصل إليه أحد".

عدت مجددًا للنظر بالمرأة وأنا أتأمل ملامحي.. ثم نظرت إليها عبر المرأة وهي تتجول في الغرفة سائلًا إياها:

"هل تصدقين ما وصلنا إليه إلى الآن؟!.. أنا إلى الآن في داخلي شيء من عدم التصديق.. شيء من الشك في كل ما حولي".

"الأذكىاء فقط هم من يمتلكون القدرة اللامتناهية على الشك في يقينهم في أنفسهم في كل لحظة.. هل نسيت تلك العبارة الخالدة، التي لا تمل أنت من تكرارها على مسامعي؟".

تركت مكاني أمام المرأة لأخطو عدة خطوات واسعة؛ لأغادر الغرفة بعد أن أتى موعد أمر طارئ بينما هي استلقت على الفراش الوثير المستدير المتوسط الغرفة، وهي تنظر إلى المرأة المستديرة الكبيرة التي تحتل مكانًا دائريًا مباشرًا فوق الفراش في سقف الغرفة.

"هلا انتظرت للحظات سوف أنهى شيئًا ما وأعود".

وصلت إلى مكتبي في الغرفة المجاورة، وقمت بشكل سريع بفتح حاسوبي المحمول، وأنا أضغط عدة أزرار فوق لوحة المفاتيح الميكانيكية العتيقة، التي لازلت أستخدمها على الرغم من أنها شارفت على الانتهاء في مثل هذه الأيام.. إلا أنها دائمًا هي الأسرع والأدق.

قمت بإدخال عدة كلمات مشفرة؛ لكي أقوم بالولوج إلى شاشات المتابعة، التي تنقل إلي عدة مؤشرات بيانية وإحصائيات عن العمل، الذي يجري على قدم وساق في أحد الأماكن السرية.

كانت الشاشة تشير إلى مدي فعالية التعديل، الذي قمنا به في اللحظات الأخيرة بعد أن طرأ أحد الأعطال المفاجئة في أنظمة التغذية بالطاقة لدينا، الأمر الذي كاد مع حدوثه أن يتوقف كل شيء ونضطر للانتظار ربما عامًا آخر من أجل إصلاح هذا العطل المفاجئ.

بالطبع الأمر لم يكن بمثل هذه البساطة فلقد تكبدنا خسائر رهيبة ومخاطر من أجل هذا التعديل.. ولكن على الرغم من كل ذلك.. فالنتائج سوف تكون أكبر بكثير جدًا بشكل فارق عن أن يلاحظ بجانبها بعضًا من الأعراض الجانبية التي تسبب فيها مثل هذا التعديل.

>>عظيم.. كل شيء يسير وفق التوقيت المعد له.. مجرد بضعة ساعات أخرى ويبدأ عصر جديد><.

أغلقت شاشة الحاسوب المحمول، وعدت إلى الغرفة فانتبهت هي إلى عودتي فقامت بالاعتدال في جلستها وهي تسألني:

"حسنًا.. أنا لا أريد إثارة قلقك.. ولكن ماذا عن (مارلينا)؟".

التفت إليها وأنا أسألها:

"ماذا عنها؟".

"ألا تخشي أن يسفر بحثها عن شيء؟".

ابتسمت على الرغم مني، وأغاضها هذا كثيرًا فتساءلت بحدة كالأطفال:

"هل يمكن أن أعرف السر الذي يجعلك تبتسم بمثل هذه الثقة؟".

اقتربت من الفراش لأجلس في الناحية المقابلة لها:

"لقد قمتي بعمل ممتاز هناك.. لذلك فأنا الذي يجب أن أتساءل: لِمَ أنتِ لست واثقة بما قمتي به؟ .. قمتي باقتياد شعورها بالرفض وجعلتها تتحد معك نفسيًا وواقعيًا على حد سواء.. فمنذ أن بدأت أنتِ بإبداء

رفضك.. قمتي بتقديم رأياً تحبه وتميل إليه بعقلها.. وبالتالي قمتِ وبمنتهى المكر الذي أحسبك عليه بالطبع باقتيادها لكي تصبح في فريقك.. وبكامل رغبتها.. هذا يكفي إلى الآن.. حتى وإن ساورتها بعض الشكوك.. فلن يمكنها بالتأكيد التوصل إلى ما يمكن أن يبعث على التساؤل.. سوف يظل الأمر مجرد شعور غامضاً بعدم الارتياح ليس أكثر.

ابتسمت (أوديت) مع إشادتي لها ولفعلتها فردت بشيء من الجدل:

"إذا أردت اكتشاف الخيانة فيمن حولك.. فكن أولهم، الأمر رغم بساطته إلا أنه شديد العبقرية والوضوح"

"إن.. هل لا زال هناك شيء مقلق بشأنها؟".

اتسعت ابتسامتها:

"لا شيء أكثر من القلق الأنثوي الطبيعي".

ضحكت رغماً عني من عبارتها:

"حسناً.. هذا ما يجب أن نحاول أن نتعامل معه.. ولكن لدي الآن بعض الأعمال التي أريد أن أتابعها، لذا فإن بعضاً من اللهو الذي أراه في عينيك الآن يجب عليه الانتظار إلى أن ننتهي مما بين أيدينا من أعمال".

>> أنا أعلم جيداً كيف تفكرين يا عزيزتي.. ليس اللهو ما يشغل بالك.. إنه شيء آخر أعلمه جيداً<<.

أجابت:

"أليس أماننا بضعة ساعات إضافية؟".

"بضعة ساعات فقط وينتهي كل شيء.. لا تقلقي".

>> هل تظن فعلاً أنني أريد اللهو.. يا لك من أحمق.. سوف أمتلكك بين يدي.. وأحكم قبضتي حول عنقك.. وعندها.. لن يمكنك الفرار.. وسأصل إلى هدفي مهما تطلب الأمر<<.

الفصل الحادي عشر

>> هل يمكن أن يأتي اليوم الذي يصبح كل ما أعانيه في هذا العالم شيئاً من الماضي؟<<.

ظلت العبارة تسبح داخل خلايا مخي للحظات، رأيت خلالها السماء وهي تقترب بسرعة عبر النافذة الأمامية للمكوك.. مشهد لم يكن غريباً أو غير مألوف.. فلقد مررت به عدة مرات من قبل..

ضغط(رامي) عدة أزرار في سرعة وهو يعيد إحكام قبضته على المقود قائلاً:

"إطلاق الأشعة لتبديد نقطة الخروج من الطبقات الجوية سيتم في خلال ثلاثة.. اثنين.. واحد.. الآن".

انطلقت من مقدمة المكوك عدة أشعة ليزرية متغايرة الألوان بشكل سريع، ومتتابع تجاه النقطة التي نحن نقترب منها في السحاب، ولم يبد أنه تغير أي شيء إلا أنه على عكس المعتاد انخفضت حدة الاهتزازات العنيفة، التي كان يعاني منها المكوك، ومرت بضعة دقائق حتى وجدنا أنفسنا ودون سابق إنذار في مواجهة النجوم اللامعة، التي تسبح في الفضاء الخارجي بلونه الأسود الساحر.. نعم لقد وصلنا إلى ارتفاع أربع مائة كيلومتر تقريباً فوق سطح الأرض في عدة دقائق.

>> لا بد وأنهم قاموا بتطوير تقنيات الإقلاع لمقاومة الاحتكاك بالغلاف الجوي<<.

"نحن الآن تجاوزنا الغلاف الجوي للأرض.. ولم نواجه أي مشاكل في الإقلاع.. جميع المعدات تعمل بكفاءة.. سنقوم بضبط إحداثياتنا لنتجه إلى القمر".

"هل يجب أن تظل تفعل هذا؟".

التفت كل من (رامي) و(نعماء) نتيجة لسؤالي، وبدأ الاستفهام على وجه الأول والاندھاش والحيرة على وجه الثانية.

"أفعل ماذا؟".

أشرت بيدي في حركة دائرية تشير إلى التكرار.

"تظل تردد أين نحن الآن وأين وصلنا.. لم يكن الرجال الآلية، التي كنت أذهب معهم طوال مدة السفر إلى الفضاء مثل هذا".

"هذا ما يعتاد عليه أي طيار في العالم.. يجب أن يبلغ بمراحل الرحلة للقاعدة الأرضية.. لمتابعة ما يحدث معه خطوة بخطوة.. ولمعلوماتك.. الطيار الآلي يقوم بمثل هذا أيضًا إلا أنه لا ينطقه أمامك، لكي لا يبدو غريبًا بعض الشيء فقط ليس أكثر".

"على الأقل الطيار الآلي ليس مزعجًا.. مثل أحدهم".

عاد(رامي) ليلتفت إلى الأمام، وهو يتجاهلني تمامًا، ورمقني(نعماء) بنظرة جانبية سريعة، ختمتها بأن هزت رأسها في الاتجاهين بشكل استنكاري سريع؛ لتعتدل هي الأخرى وتتنظر إلى الأمام.

>> الطريقة الكلاسيكية لكي يثير بها معظم الرجال انتباه أي امرأة، هي أن يبدأ الواحد منهم باستعراض كم خفة الظل المصطنعة، التي يمكنه أن يمتلكها، ويلقى بها في عبارة واحدة.. هؤلاء الرجال لا يتطورون أبداً مهما حدث.. مثلما كان يفعل(عمرو) خطيبي السابق.. إنه نفس نمط التفكير البدائي<<

>> لِمَ تنتظر إلي هكذا؟.. هل تظن أنني أحاول الاستعراض للفت انتباهها؟.. أي امرأة تظن أنها لا يمكن أن تتواجد في مكان وسط رجال إلا ولا بد وأن جميعهم - إن لم يكن نصفهم على الأقل - يسعون إلى لفت انتباهها بأي طريقة.. ليس معني أننا سريعو الانبهار أننا سذج لهذا الحد.. وعلى الرغم من أنك تشبهين بشكل لا يمكن إلا أن أسميه تطابق مع(عايدة) ولكن يكفي ما تسببت فيه واحدة بالفعل<<.

ظل الجميع صامتين بينما قام (رامي) بإدارة المقود؛ ليلتف المكوك بعد أن خفض سرعته، لكي يعدل اتجاه تحركنا تجاه القمر، وهو يزيد في سرعة المكوك تدريجياً.

"نحن الآن نتوجه تجاه الوجهة النهائية.. القمر الأرضي - المنطقة ٤ ص".

>> القمر الأرضي؟!.. هل يتخيل بالفعل أنه يمتلك من الطاقة والسرعة والمعدات ما يمكنه من السفر إلى أي قمر آخر.. هل يعتمد إثارة غيظي أم أنه بالفعل بمثل هذا الغباء؟<<.

ظلت أنقر بيدي اليمنى على مسند المقعد الجانبي في توتر، لا أدري بالتحديد ما سببه.. الأمر الذي لاحظته (نعماء) وهي تلتفت مجدداً لتري ما الذي يصدر هذا الصوت..

"هل أنت متوتر؟".

سألتني:

توقفت عن النقر وأنا أسألها:

"لماذا؟".

أشارت بيدها إلى المسند:

"نقرك للمسند بسرعة تشير إلى توتر بالغ".

>> هل تحاول أن تفتح مساراً جديداً للحديث.. أم أنه بالفعل هذا التصرف ينم عن التوتر؟.. ما الذي يمكنه أن يجعلني متوتراً؟.. هذه ليست أول مرة أسافر فيها إلى القمر.. وإلى الآن لم تحدث أية مشاكل يمكنها أن تصيب الشخص بتوتر.. لا بد من أنها حركة اعتيادية ليس أكثر<<.

"لقد اعتدت أن أفعل هذا .. آسف".

"لا عليك".

>> ما الذي أفعله؟ .. هل أحاول تجاذب أطراف الحديث معه؟.. على الأقل سوف يظن هو ذلك.... يبدو شخصاً غامضاً.. متساهلاً وغير

متشدد، بينما تتم تعبيرات وجهه عن أسي رهيب، ينفذ إلى وجهه من الحين للآخر بشكل عارض، لا يمكنه كبحه أو إخفاءه رغم محاولاته البارة لفعل ذلك.. لماذا أهتم؟.. ربما هو مجرد أخرق ليس أكثر من ذلك، وبمرور الوقت سوف يظهر عليه ما الذي يخفيه، وبالتأكيد كما أعلم يقينًا.. كل رجل يحتوى داخله على كنز دفين من خيبة الأمل.. يبالغ في إخفائه كي يحاول إبهار الأنثى التي يرغب في التودد إليها..

وما أن يطول الوقت حتى يظهر كل شيء.. وتسقط بمرور الوقت عباءة الإبهار، ودومًا ما يفتقر الرجل إلى أهم شيء ينبغي عليه أن يعلمه في مثل هذه الدنيا، كيف يمكنه أن يتعامل مع المرأة بالشكل اللائق.. كيف يمكنه أن يستوعبها.. أو حتى يظهر لها أنه يحاول.. لابس بألا يصل لذلك.. هناك أوقات لا نستطيع نحن فهم أنفسنا.. ولا نستطيع أن نعرف على وجه الدقة.. كيف يمكن لهم أن يعاملونا بالشكل الأمثل.. الأمر متغير من آن إلى آخر، ومتقلب كل يوم بشكل ما.. ولكن نحن نحب أن نشعرونا أننا لنا طبيعة مختلفة.. مميزة بحكم أننا عالمنا بالفعل ممثلي بالتفاصيل وأكثر تعقيدًا بكثير من عالم الرجل الذي دائمًا ما يحيط به الخواء.. ليس هذا وقته ولا أوانه لكي أفكر في كل هذا الآن<<.

"نحن الآن نملك خط السير الذي تم إعداده لنا.. أمامنا ساعة وانتنا وخمسون دقيقة قبل الوصول إلى القمر".

هتف (رامي) هذه المرة وبصوت أعلى مما سبق، وكأنه يصر على استفزازي بصياحه.

>>والآن ما الذي سوف تفعله مع (عايدة)؟ . نعم إنه أنت الذي تسأل نفسك مثل هذا السؤال .. ليس صديقك (عطاء) .. هذا إن ظل صديقك بعد الذي حدث.... ما الذي تريده يا(سليم)؟ .. حقًا ما الذي يمكن أن يخرج به رأسك كإجابة لمثل هذا التساؤل .. لا تريد الإجابة؟.. لا تريد مواجهة نفسك؟.. اطمئن لا يسمعك هنا أحد سوى نفسك.. أنت تفعل هذا منذ البداية.. ربما منذ أن بدأ رأسك في أن يعي ما حوله من مجريات الأمور في هذه الدنيا.. لم أنت هكذا؟ شخص لا يستطيع أن يفهم نفسه، ولا يستطيع الآخرون حتى أن يفهموا ما الذي يؤول إليه عقلك؟... ما الذي تريده؟ ما الذي يمكنه أن يرضيك؟.. ما الذي تكرهه؟.. حتى هذا أنت غير محدد في تحديده.. الأمر مخيف أليس كذلك ؟ .

إن تظل تدور حول نفسك دون أن تتوقف للحظة لتعرف نفسك.. فياخذك دوار أفكارك إلى حيث المكان المظلم، الذي لا يحتوي على إنارة، ويوسعك عقلك ضربًا مبرحًا بالأفكار والأشخاص الذين مررت بهم طوال حياتك، ويتفنن في استثارة جوارحك لكي تتعذب.. إنه يتذكر أخطاءك ويمعن في تذكرها.. ويسألك ماذا بعد كل هذه الأخطاء.. ما الذي ستصل إليه؟.. معركة ينهك فيها العقل جميع قواك ثم يسألك بكل تبجح بعدها.. أين هي قوتك؟

هل يوجد لدى أي شخص ذكرى واحدة جميلة لك؟.. هل يتذكرك أحدهم؟.. هل يتمناك أحدهم أن تظل موجود في حياته؟.. هل تشكل فارقًا في هذه الدنيا؟ أم أنك فقط متواجد هنا لكي يضرب بك المثل لمن يحاول أن يصبح مثلك.. انظروا هذا سيكون جزاء من يقرر اللجوء للوحدة.. سيصاب بالجنون.. هل تعتقد أنك هكذا ستغير أي شيء

حولك؟.. أي شخص؟ .. عليك الاعتراف بحقيقة لا تقبل الشك.. أنت شخص لا يحب أحد ولا يحبه أحد.. ولا بد لهذا أن يتغير يوماً ما.

صدر صوت على هيئة أزيز إلكتروني مرفق به إضاءة متقطعة لمصباح ليזري باللون الأحمر في منتصف لوحة القيادة؛ فالتفت كل من (رامي) و(نعماء) إليه والأخيرة تقول:

"هناك اتصال لاسلكي قادم لنا".

تساءل (رامي) وهو يشير إليها بأن تتلقاه:

"وما مصدره؟".

هزت(نعماء) كتفيها نافية معرفتها بمصدر الاتصال، ثم ضغطت زر الاجابة قائلة:

"هنا مكوك الصيانة إيكو ١٠".

أتاها صوت ألي:

"هنا دورية المسح الفضائي بيتا ١٤ .. كيف حالك يا إيكو _ ١٠".

"كل شيء يبدو بخير يا بيتا ١٤ .. كيف هي الأمور معك؟".

"لا توجد أية نشاطات لأية أجسام فضائية متحركة في المنطقة المحيطة في الوقت الحالي".

"هذا عظيم.. ولكن متى تم إرسالك يا بيتا ١٤ .. لقد تم إيقاف حركة الطيران والسفر للفضاء على مستوى العالم؟".

"لقد تم إرسال قبيل إيقاف الطيران بثلاث ساعات وكنت أقوم بعملية مسح تأميني للمنطقة المحيطة بالقمر من أجل إحدى الرحلات السياحية، التي كان يفترض انطلاقها في الساعة الثامنة من مساء اليوم بتوقيت نيويورك.. ولكنه تم إبلاغي بتأجيل الرحلة إلى أجل غير مسمى.. وأن أقوم بمسح المنطقة بشكل دوري إلى أن يتم إعلان السماح بالطيران مرة أخرى.. هل تم ذلك بالفعل؟".

"كلا يا بيتا ١٤.. نحن هنا فقط كمهمة صيانة طارئة.. لقد تم استثنائنا من الحظر".

"أتمنى لكم حظاً موفقاً.. سوف أكون في الجوار.. يمكنكم تسجيلي كأحد فرق التدخل السريع في حالات الطوارئ إن شئتم".

نظرت (نعماء) إلى (رامي) وهي تنتظر الموافقة منه علمًا بأنه كان يستمع بالفعل إلى المحادثة؛ فأومأ برأسه إيجاباً:

"حسنًا يا بيتا لقد قمنا بتسجيلك.. وإليك بيانتنا.. مكوك الصيانة إيكو ١ على متنه قائد المكوك الكابتن (رامي رياشي) ومساعد الطيار الكابتن (نعماء علي) وأيضًا المهندس (سليم عامر) المنتدب من شركة إيكو للاتصالات الرقمية".

"رحلة موفقة يا إيكو ١".

"ولك أيضًا بيتا ١٤".

قالتها (نعماء) ثم ضغطت زر إنهاء الاتصال، وهي تلقت إلى (رامي) قائلة:

"إنها دورية مسح للمنطقة وتدخل سريع تقليدية، وظلت عالقة في الفضاء، ولم تستطع العودة قبل إعلان حظر الطيران".

علق(رامي):

"أنا أعرف من البشر من يطالهم مثل هذا الحظ".

ابتسمت(نعماء) وهي تنظر إليه ثم نظرت خلفها؛ لترى ما إذا كنت أتابع ما يحدث.. بينما أثار التفاتها للخلف انتباهي فالتفت إليها متسائلاً:

"هل هناك شيء؟".

غمغمت بخفوت:

"لا شيء".

عاد الأزيز الإلكتروني مجدداً، وعاد مصباح الليزر يضيء مرة أخرى. فالتفتت مسرعة وهي تنظر إلى (رامي) الذي تبادل معها نفس النظرة القلقة، وهي تسارع بإجابة الاتصال:

"إلى مكوك الصيانة إيكو ١ هل تسمعي؟".

أجابت(نعماء):

"أسمعك بوضوح".

"هنا القاعدة الأرضية لدينا اتصال خاص بالكابتن(رامي رياشي) هل يمكنه تلقي الاتصال من فضلك؟".

عقد(رامي) حاجبيه وهو يجيب:

"هنا الكابتن(رامي رياشي) يمكنك تمرير الاتصال الآن".

قالها وهو يضغط أحد الأزرار والتفت إلى (نعماء) قائلاً:

"يمكنك تولي القيادة".

* * * * *

أومأت(نعماء) وهي تسرع بتنفيذ ما أمرها به(رامي) بينما قام هو بفصل قنوات الاتصال؛ لكي لا يسمع الاتصال الخاص سواء، ثم عاد ليهتف عبر جهاز الاتصال:

"هنا الكابتن (رامي رياشي) من المتصل؟".

أتاه صوت المتصل:

"السيد (رامي رياشي) معي؟".

"نعم إنه هو".

"رجاء هل يمكننا التحدث بشكل منفرد.. الأمر يستدعي الخصوصية،
وإلا يعلم أحد بما سأقوله لك".

تلفت(رامي) حوله ثم أشار إلى (نعماء) قائلاً:

"سوف أنهض لأتلقى المكالمة، هل يمكنك متابعة القيادة من أجلي؟".

أومأت(نعماء) برأسها إيجاباً:

"حسنًا".

قام بجل أحزمة الأمان ونهض من مقعده، وهو يلتفت لينظر إلى (سليم) الذي كالعادة كان شاردًا، وقطع شروده نهوض (رامي) عن مقعده فتساءل (سليم):

"إلي أين ستذهب؟!".

"لدى مكالمة شخصية".

أومأ (سليم) برأسه متفهمًا.. بينما غادر (رامي) قمرة القيادة إلى قاعة الطعام الصغيرة.. أغلق باب القاعة خلفه في هدوء وهو يهمس:

"هل يمكنني أن أعرف مع من أتحدث؟".

"هل يمكننا التحدث بحرية الآن؟ هل نحن بمفردنا؟".

"نعم يمكنك ذلك".

"حسنًا.. سيد (رامي) أنا أدعي (ريكارد فيرنر) رجل أعمال فنلندي.. وأنا حاليًا المالك الرسمي لمجموعة (شيميزو) الفضائية لحلول الطاقة.. لقد ابتعت المجموعة بالفعل من الشركة الأم منذ عدة أيام.. مرحبًا بك".

"مرحبًا بك يا سيد (ريكارد).. هل يمكن أن تشرح لي كيف وصلت إلي؟".

"يبدو أنك نسيت ما قلته للتو.. أنا المالك الرسمي للقاعدة القمرية التي تتوجهون إليها الآن".

"حسنًا.. لم يسبق أن أبلغني أحد بمثل هذه التفاصيل.. أعتقد أنك تريد التحدث إلى مهندس الصيانة وليس أنا أليس كذلك؟".

"أعتقد أنك لديك على متن مكوك الصيانة شخص يدعي (سليم عامر) أليس كذلك؟".

"نعم بالفعل إنه موجود معي.. لماذا تسأل؟".

"سيد (رامي) أريد انتباهك الكامل.. هذا الشخص ما هو إلا أحد مخترقي البرمجيات الخارجين عن القانون.. ولقد تم استدعاؤه صباح أمس في المخابرات المصرية؛ لكي يتم استجوابه عن قضية تجسس وصل إليها اسمه، إما بالصدفة البحتة وإما أنه تعمد فعل هذا؛ لكي يثبت لهم قدراته ويستعرض قوته".

"حسنًا.. إذا كان هو كذلك كيف علمت أنت بشأنه".

لاحت في صوت (ريكارد) ابتسامة:

"لقد علمت لأننا لدينا مؤخرًا إحدى المشكلات التقنية داخل نظام شبكتنا القمرية، الأمر الذي تسبب فيه هو بعد أن وضع أحد الكود الدخيل وألصقه بالجدار الناري الداخلي للشبكة القمرية، هذا الجدار وظيفته منع أي أحد على سطح القمر حتى وإن كان يقف في داخل القاعدة القمرية من الولوج أو اختراق أية أجهزة خاصة بالشبكة دون أن يحمل إذنًا من الشركة نفسها.. إنه قام بتحويل الجدار الناري نفسه لأداة اختراق.. وهذا العطل الذي يزعم أنه قادم لإصلاحه.. إنه عطل تسبب هو في وجوده، وهو سيأتي الآن لكي يستكمل محاولات اختراقه للشبكة القمرية، وهو

يقوم بذلك ببراعة فائقة وبشكل لا يمكنه إثارة أية شكوك حوله.. هذا الذي تصحبه معك هو مجرم مطلوب.. ولكننا فقط نريد أن يتم الإيقاع به عندما نعلم ما الذي يقوم بتدبيره إلى النهاية، حتى لا يستطيع وقتها التخفي أو القيام بعدة ألعيب أخرى تجعل الإيقاع به عسيرًا كما فعل من قبل".

"ولم تركتموه يأتي إلى الشبكة القمرية منذ البداية.. لِمَ لم تقوموا باعتقاله منذ معرفتكم بما فعله لم كل هذه المخاطرة، وهذه التكاليف الباهظة لرحلة إلى القمر؛ لكي يمكنكم فقط الإيقاع به! ألا تجد معي أن مثل هذا الإجراء غاية في الغباء؟".

"نحن لا نستطيع إيجاد أدلة دامغة على تورطه في مثل هذا الاختراق.. خاصة وأنه يعمل بالفعل كمخترق قانوني، نريد قبل القبض عليه معرفة ما الذي يخطط إليه.. لذلك لابد وأن يقتنع بأن أمره لم ينكشف بعد.. أنا أخطبك لأنى أعلم أنك من الأشخاص الذين لا يمكن أن يثيروا شكوكه.. لذلك أرغب في ألا يغيب عن ناظريك، ولكن لا تحاول إثارة انتباهه فقط ضعه تحت عينيك، ورجاءً إذا لاحظت أية أمور غير مألوفة عليك أن تبلغني في أسرع وقت.. قم بتسجيل قناة الاتصال التي أحدثك منها الآن لديك في قنوات الاتصال حتى تستطيع التواصل معي في أي وقت".

"حسنًا.. سأفعل ذلك".

"ابق متيقظًا له.. وأقول لك وبشكل شخصي.. إذا ما ساعدتنا في الإيقاع به.. سوف أوصي لك بنفسى بمكافأة مالية سخية.. كتقدير منى وعرفان لمحاولتك الشجاعة على مساعدتنا في الإيقاع بهذا الشخص"

"ليس الأمر متعلقًا بالمال يا سيد(ريكارد) الأمر في النهاية متعلق بالمخاطرة بحياة المرء من أجل مسرحية سخيصة كهذه".

"أستاذ (رامي) يمكنني أن أؤكد لك أن الأمر ليس هينًا أو بسيطًا مثلما تظنه أنت.. الأمر بالفعل غاية في التعقيد.. كل ما في الأمر هو أنني أعطيتك بالفعل نبذة عما نحن جميعًا بصدد.. لذا يجب على الجميع توخي الحذر في الساعات القليلة القادمة من أجل ألا يحدث ما لا يحمد عقباه".

"كيف يمكن أن يفعل كل هذا، ولا يستطيع أحد الإمساك به؟".

"سيد(رامي) مثل هذا الجدل في هذا الوقت غير مفيد أو مناسب أبدًا.. نريد أن نعلم ما إذا كنت ستتعاون معنا أم لا".

"حسنًا.. قبل أن أوافق.. أريد أن أعلم شيئين.. هل هناك في الأمر خطورة على حياتي وحياة الطيار المساعد؟.. لا أريد أن يتحول الأمر إلى بحيرة من الدماء في النهاية".

"الأمر غاية في البساطة كل ما نريده أن تقوم بإيصاله إلى هناك، وتحاول أن يظل تحت عينيك وأن تبلغنا ما إذا حاول القيام بأية تصرفات مريبة.. ودون علم أي أحد حتى الطيار المساعد لك"،

"حسنًا.. الشيء الثاني الذي أريد أن أتساءل عنه واسمح لي أن أسأل".

"بالطبع تفضل".

"هل من الممكن لي أن أعرف كم سيكون مقدار تلك المكافأة، التي قد وعدتني بها منذ قليل إذا ما قد ساعدتكم على الإيقاع به؟".

عادت مجدداً الابتسامة تظهر في نبرة الصوت المتسائلة:

"ولم تسأل مثل هذا السؤال؟".

"لكي أري مدى أهمية الأمر بالنسبة لك".

"لابد أنك تعني لترى مدى أهمية الأمر بالنسبة لك أنت.. وأنا أقدر وجهة نظرك في تقييم الأمور.. حسناً.. إذا ساعدتنا في هذه المهمة.. سوف أوصي بأن تتم مكافئتك بمئتين وخمسين مليون دولار.. هل رأيت كيف مقدار الأمر بالنسبة لي.. يا سيد (رامي).. أنا لا أَلعب ألعاب صبيانية هنا.. أنا رجل أعمال ويهمني جداً أن أستطيع أن أؤمن أعمالتي بشكل جيد ومحكم.. والآن أصبح يهدد استقرار أعمالتي أحد الأوغاد.. فلا بد وأن يتم إيقافه ولكن بالطريقة المناسبة وفي التوقيت المناسب.. أتمنى بالفعل أن تكون عوناً لنا ..وأعتقد أننا لابد وأن ننهي هذه المكالمة الآن.. وعليك بالعودة إلى مقعد القيادة الخاص بك، لكي لا يستطلع مكانك هدفنا"

"بالطبع.. لك هذا".

أغلق(ريكارد) الاتصال بينما تحرك(رامي) تجاه باب قاعة الطعام الصغيرة؛ ليخرج من المكان ليتفاجأ بمجرد أن قام بفتح الباب ب(نعماء) تقف أمامه مباشرة وهي تشير إليه قائلة:

"لقد أتيت لكي أراك.. هل كل شيء على ما يرام؟".

أشاح (رامي) بعدم اكتراث:

"لا عليكِ .. كل شيء على ما يرام .. إنها زوجتي".

ابتسمت وهي تسبق خطواته وهما عائدان إلى قمرة القيادة مرة أخرى بفضل مجال الجاذبية الصناعي داخل المكوك، بالإضافة إلى أحذيتهم المعدلة؛ لتعامل معه بما يعالج مشاكل انعدام الجاذبية، التي كانت تتسبب في العديد من المشكلات بالنسبة لصحة البشر العاملين في الفضاء.

"زوجتك تتصل بك في مثل هذا التوقيت؟! لا بد وأنها تتصل لتطمئن عليك أليس كذلك؟ خاصة عند إقلاعك في مثل هذه الظروف".

سألته وهي تتخذ مكانها وتعيد ربط أحزمة الأمان الخاصة بمقعدها.

"كلا.. لم يكن الأمر كذلك.. لا تهتم بكل ذلك".

* * * * *

"لا بد وأنها تواعد أحدهم ...!..".

ألقيت بتلك العبارة في منتصف الحديث فالتفت إلي (رامي) بشكل حاد معنفًا:

"من الذي أخبرك أنني أريد الاستماع إلى رأيك؟".

ابتسمت على غير العادة:

"الزوجة التي تهمل الاطمئنان على زوجها المسافر في ظل هذه الظروف.. لا يمكن أن يكون هذا السلوك طبيعي أليس كذلك؟.. إنه يعني أنها لا تهتم بزوجها إطلاقاً.. مما يجعلنا جميعاً نظن.. أنها ربما تهتم بشخص آخر".

"لا يمكنك أن تتهم امرأة أنت لا تعرفها بمثل هذا الاتهام الفاضح.. يمكن لها ولزوجها مقاضاتك".

هتفت (نعماء) بحدة بالغة و تبدلت ملامحها هي الأخرى للغضب الشديد.
أومأت بالإيجاب لعبارتها الاعتراضية:

"حسناً.. ربما كنت مبالغاً.. هناك احتمال يصل إلى خمسين بالمائة أنها تواعد أحدهم.. والبقية أنها لا تريد الاستمرار معك.. وهي الآن تقوم ب.. كلا.. لا عليك .. لا داعي لذلك.. سوف أطبق شفتاي"

هتف (رامي):

"حسناً.. لِمَ تقول هذا؟".

كانت أعصاب (رامي) هدأت بشكل مفاجئ، وهو يبتسم ليوحي لي أنه لا يلقي بالاً لما قلته وهو يستدير بالمقعد لوجهي.. بينما ظلت (نعماء) بوضعية معاكسة لمتابعة عملية القيادة.

"لن تود الاستماع لهذا".

"كلا.. رجاء.. أريد أن أستمع إلى ما كنت ستقوله.. كلي أذان مصغية".

كنت أشعر به من الداخل يتأجج من الغضب، إلا أنه لديه ثبات أعصاب يستحق أن يحسد عليه:

"هل تشتكي من أن زوجتك تغيرت تصرفاتها في الآونة الأخيرة.. وأصبحت كثيرة الشكوى ولا يمكنك أن تستنبط ما الذي يمكن أن يكون سبباً لحالتها المزاجية غير المستقرة؟".

"حسنًا وماذا في هذا؟".

"ليس فيه شيء مهم.. سوي أنها فقط تحاول أن تصطنع لك مشكلة أو عدة مشكلات خفية.. إنها حيلة ذكية يستخدمها البعض لكي يخبر الطرف الآخر أنه أصيب بالسأم منه ولا يريد.. ولكنه في نفس الوقت لا يريد أن يوصم اسمه بعار متخذ قرار الانفصال.. لذلك ما الذي يفعله من يريد المغادرة؟ يفتعل المشاكل ويضعك في مواجهتها من أجل أن تفشل في حلها بالطبع.. بينما سيستطيع (أحدهم) أن يحل جميع هذه المشكلات بإشارة واحدة من إصبعه".

صمتنا جميعًا.. أعادت الكلمات على رأس (نعماء) ذكرى خطيبتها السابق، الذي قام بالضبط بما قاله (سليم) الآن.. المشاكل التي لا وجود لها، والإصرار الرهيب على عدم جعلها قابلة للحل، أو عدم محاولة البحث عن حلول لها.

"هذا سلوك مكتسب.. وليس طبعًا فيها.. لهذا أنت مندهش، ولذلك أيضًا تراها هنا مستكرة أفعالها.. لو كان هذا أحد طبائعها لصرت أنت دائم الشكوى منه منذ البداية".

"هل تظن أنني أصدق هذا الهراء؟".

قالها(رامي) ساخراً؛ لترد عليه(نعماء) هذه المرة:

"يجب عليك أن تصدقه".

التفت(رامي) إليها غير مصدق لما قالت له للتو فتابعت هي:

"هذا الذي تظنه هراء حدث معي من قبل.. وبنفس الطريقة التي يصفها بها.. كان خطيبي السابق يعد لي المشاكل الواحدة تلو الأخرى ولا يجازف بأن يتناقش معي في أية تفاصيل.. كل ما كان يفعله هو ترسيخ الإحساس بأنه هناك أشياء بيننا ليست على ما يرام.. وهو ليس لديه أي استعداد لكي يحاول أن يصلح من أي شيء.. هو يريد الأمر منتهياً.. بالضبط كما وصف لك".

عاد(رامي) ليحرق في وجهي غير مصدق لما سمعه وهو يسأل في حذر:

"أفترض أن نظريتك هذه لا بد لها من حلول؛ لكي لا تستمر على مثل هذا المنوال".

عدت برأسي إلى الخلف؛ لأريحها على مسند الرأس في مقعدي لثوان ثم اعتدلت فجأة:

"يوجد حل واحد.. ولكنه يبدو مجنوناً بعض الشيء".

"ألا وهو؟".

"اتركها أنت!".

"هل جننت؟".

"كلا.. هذا هو الحل الأمثل.. اتركها أنت ولا تبدي أية أسباب واضحة".

لم تتوقف ملامح (رامي) عن إبداء التعجب، وهو غير مصدق لما أقوله فعاود يسألني:

"هل تعني ما تقوله حقًا أم أنك فقط تريد العبث معي؟".

"للأسف الشديد أعني كل ما ذكرته لك.. والميزة الفعالة لمثل هذا الأمر، هي أنها لن تقبل بتركك لها.. بل على العكس سوف تتمسك بك أكثر؛ فلا أحد يحب أن يرفضه الطرف الآخر.. لا أحد يحب أن يبدو مقصرًا أمام الجميع.. بل على العكس إنه يحب أن يبدو الملاك الحارس، والمثال المضحي الذي يحتذي به الآخرون"

نظر (رامي) إليّ نظرة ازدراء كما لو كنت أنا من أنوي تركه:

"حسنًا.. يمكنك الاحتفاظ بأفكارك ونصائحك السخيفة تلك في رأسك، ولا حاجة لك لأن توزعها على الآخرين".

"كما يحلو لك".

أعاد (رامي) المقعد مجددًا لوضعه السابق، و تملك منه الغضب فقام بدق أحد الأجهزة أمامه بقبضته بشكل عنيف فهتفت (نعماء) وهي تخاطبه:

"رويدك سوف تحطم شاشة متابعة الارتفاع".

"إنه غاضب لأنه يعلم أنني على حق.. دعيه ليفرغ غضبه".

التفتت(نعماء) تنظر إلى نظرة تأملية طويلة ثم سألت في النهاية:

"هل تعاني من مشكلة ما؟".

>>هل هناك مشكلة أن يرى المرء الأمور من مسافات أبعد؟.. أن تري الحقائق منذ بدايتها.. أن تعلم أشياء يقينية من مقدماتها... لماذا يظل الإنسان يظن بنفسه أنه دومًا الأذكى والأكثر براعة.. لماذا يظن أن قوانين الكون سوف تسري على الجميع وتتوقف أمامه عاجزة؟.. لن تتخطاك مقصلة القدر إلا إذا كانت تتعمد ذلك؛ لتقوم باصطيادك في محطة أخرى تالية>>.

"كل .. أنا فقط أخبره بما عليه أن يفعله في مثل هذا الموقف".

"لم لا توفر نصائحك الثمينة لنفسك وتصمت؟".

نظرت إلي عينيها مباشرة.. عينا(عايدة) الساكنة جسد أجنبي.. وروحها التي تشع في وجهي عبر أجنبي، عينا أحاول ألا أراهما؛ ليقرر لي القدر قرارًا آخرًا مختلفًا.. سوف تلتقي بهما مصادفة وتعيد النظر إليهما لتتذكرهما.. ثم سأضعهما أمامك فترة أطول.. كي لا تظن أنك قادر على الهرب من لعنتك التي صنعتها بنفسك.

"أنت الآن تفكر في كلامي وتنكره أمامي، بينما في داخلك أنت متأكد من صحته.. إنك فقط ليست لديك الجرأة لتواجه نفسك بذلك.. خذ وقتك... وواجه نفسك في النهاية بحقيقة الأمر".

هتفت (نعماء) في حدة بالغة:

"هلا توقفت عما تفعله... توقف عن الحديث!".

غلف الهدوء نبرة صوت (رامي) وهو يرد:

"ليس لدي وقت لكي أستمع لمأفون مثلك... لذلك لما لا تترك مثل ذلك الأمر دون أن تقحم نفسك فيما لا يعنيك؟".

ارتفع حاجباي من دهشتي لتعليقه وأنا أردد:

"ألسنت أنت من عرضت مشكلتك على الملأ منذ البداية؟

في رأيك من فينا المأفون أنا أم أنت؟".

التفتت هي لتعود مكانها مجدداً وتركز بصرها على ما هو أمامها، و بدا لثلاثتنا القمر وهو يقترب ككرة فضية أمامنا تتباين ألوانها، درجات الأبيض والرمادي في الفضاء ويقسمه نصفين حزام بنفسي لامع يقع مكان خط الاستواء القمري، ويحيط بجسم القمر بأكمله.. هذا بالطبع هو حزام الطاقة القمري الذي توقف تماماً عن العمل، وهو السبب الرئيسي لوجودنا جميعاً هنا.

"أمامنا ثمان وعشرون دقيقة حتى نصل إلى وجهتنا".

<<اللجنة أُلن ينتهي مثل هذا البرنامج الإذاعي السخيف>>.

"إذا كنت فعلاً خبيراً بالعلاقات الإنسانية كما تظن نفسك.. فأضف إلى خبراتك المتواضعة أنه لا يوجد أحد لم يحاول أن يصل إلى حلول

لمشاكله بمفرده أولاً.. وعندما يلجأ للغير فذلك نتيجة عجزه عن إيجاد حل.. إنه لم يستعرض مشكلته على الملأ كما تزعم ولم يكن يسألك أنت.. لقد كان يتحدث معي أنا.. وأنت الذي تدخلت بكل صفاقة دون أن يدعوك أحد".

انطلقت تلك العبارات الهادرة من (نعماء) وحملت في طياتها الكثير من الغضب، وهذا ما ظهر على وجهها المحتقن بالدماء، وهي تنظر إلي بعينيهما السوداوين اللتين كانتا يحملان الآن لمعان غير عادي.. لمعان عيون تجاهد بقوة لحبس دموعها.

"أنا آسف.. إنه خطئي أنا".

<<يجب أن أصل إلى هناك الآن.. لقد سئمت من التواجد هنا>>.

وكان المكوك استمع فكرتي التي لم تتجاوز شفتاي أبداً؛ واستجاب بالإسراع؛ فأصبحنا بالفعل فوق سطح القمر في غضون دقائق قليلة، واتجهنا إلى مكان قاعدة التحكم التي تقع في الشمال من موقع حزام الطاقة، وظل (رامي) يدور حول مكان الهبوط، وهو يبلغ قاعدة الإطلاق الأرضية:

"هنا إيكو- ١.. نحن نستعد الآن للهبوط.. سوف نقوم بدورة استطلاع حول مكان الهبوط ثم نهبط بعد أن ننتهي منها".

<<ألهمني صبراً يا إلهي أستطيع بواسطته احتمال هذا المسجل البشري اللعين>>.

"حسناً.. متى سأصل إلى هناك؟".

التفت إلى (رامي) بجانب وجهه؛ ليسأل ثم يعاود النظر أمامه سريعاً:
"لَمْ أَنْتِ متعجل هكذا؟".

لم أستطع أن أفهم كيف يمكنه أن يكون بمثل هذا البرود، ولم أستطع منع نفسي عن إجابته ساخراً:

"أرجوك.. خذ كل الوقت الذي تحتاجه.. لتذهب أموال الشركة إلى الجحيم.. ما الذي سوف يضيرنا إذا ما تأخرنا في إصلاح العطل عدة ساعات إضافية أخرى؟.. لدي فكرة عظيمة.. لَمْ تأخذنا في دورة تفقدية كاملة حول القمر أولاً حتى يطمئن قلبك؟".

هنا وعلى الرغم من كل شيء تفاجأ كلانا ب(نعماء) التي رفعت كفها؛ لتخفي به ضحكتها المكتومة لكي لا تظهر على وجهها..

نظر(رامي) إليها ثم عاد ليركز بصره أمامه قائلاً بحدة:

"هذه هي البروتوكولات المتبعة لا يمكنني مخالفتها".

ظهرت أمامنا بعد أن اقتربنا بصورة كافية لكي نراها بوضوح.. عدة مبانٍ من طابق واحد سداسية الشكل تشبه خلية النحل.. كما هو الطراز المعماري المتبع في القرن الأخير.. كان المبني الكلي عبارة عن عدة خلايا سداسية تحيط بما يشبه الدائرة الكبيرة في المنتصف.. كل هذه الخلايا السداسية هي البوابات المختلفة لأجزاء المبني، وتحتوى على عدة أقسام مختلفة، وتصل بنا في النهاية إلى داخل المبني الرئيسي الدائري، الذي يقع في الوسط من كل المباني الفرعية.. كان يجب علينا أن نهبط تجاه البوابة رقم ٨ وهي البوابة الأقرب لأجهزة التحكم

الرئيسية في المبني، والمسؤولة بشكل مباشر عن إدارة البرمجيات المسؤولة عن الخلايا الشمسية، ومواقعها وزوايا ميلها ومتابعة حالتها من حيث كفاءتها ودرجة تشبعها بالضوء الشمسي، ومراقبة ومتابعة أداء نظام إنتاج وإرسال الطاقة.

اقترب المكوك أكثر فأكثر من سطح المبني، وهو يدور حول المبني في دورات واسعة بعد أن قام (رامي) بخفض سرعة التحليق استعدادا للهبوط.. وبدأت تهب مع اقترابه رويدًا لأرض القمر عاصفة من الرمال القمرية (الريجوليت) بدأت تتناثر حول المهبط المعد لهبوط المركبات الأرضية.. بعد أن انتهى(رامي) من دورته انخفض، وهو يعود تجاه المهبط بمقدمة المكوك وهيئه في وضعية الهبوط بأن اطمئن بأن المكوك يحلق حاليًا فوق المهبط بالضبط، ثم بدأ يهبط تدريجيًا وسحابة الرمال لا تزال تتحرك بعنف من حوله، إلى أن استقر فوق سطح المهبط وقامت(نعماء) بإطفاء المحركات واحدًا تلو الآخر.

حلت أحزمة مقعدي؛ واتجهت إلى أماكن التخزين، التي تقع في الجزء الخلفي من قمرة القيادة، وقمت بإخراج الحقيبة بعد حل أحزمة الأمان المحيطة بها، ثم عدت إلى مقعدي لأضعها أمامه، والتقطت من جانب المقعد خوذتي، وأنا أعيد تثبيتها في سرعة مع البذلة التي أرتديها، يعمل نظام التثبيت بأن يتم تدوير الخوذة دورتين، وتقوم هي بالالتحام مع البذلة الفضائية، ومن ثم بعدها يقوم الحاسوب المتطور داخل الزي بالتأكد أنه محكم الغلق.

التقطت الحقيبة وأنا أندفع تجاه الباب، الذي يفصل ما بين قمرة القيادة وحجرة معادلة الضغط، وأنا أضغط زر في جانب الباب؛ ليقوم بفتح

الباب فلم يستجب الزر، وظهر لي ضوء أحمر بجانبه؛ ليعلن عدم استعداده للاستجابة.

عدت مجدداً أضغط الزر ليعود إليّ بنفس المشكلة.. لا يمكن فتح الباب.
التفت إليهما وأنا أتساءل:

"الباب لا يفتح .. هل هناك مشكلة؟".

كان كل منهما انتهى من ارتداء خوذته بالفعل، وقاما بتشغيل دائرة الاتصالات اللاسلكية التي تربطنا ببعضنا و(رامي) يقول:
"لا يمكنه أن يفتح وأحدنا زيه ليس محكماً إغلاقه".

نظرت إليهما وأنا أتساءل:

"حسناً .. أنتما الآن ارتديتما خوذتكما.. يجب عليه الآن أن يعمل".

التفت وأنا أعيد ضغط الزر؛ ليصدر نفس الخطأ مجدداً، ويعيد الأزيز الإلكتروني البغيض، وهو يعلن عدم استطاعته الفتح.
"ما هذا؟.. هل تم سجننا هنا؟".

عدت لأنظر إليهما مجدداً، وأنا أشير بذراعي علامة الاستفهام.

اقتربت (نعماء) مني سريعاً، وهي تمسك بخوذتي وتفحصتها بعناية، ورأيت صورة منعكسة على خوذتها مصباح صغير بلون أحمر، هو موجود في زبي أنا، والذي يعلن أن الخوذة لم تستكمل عملية الإغلاق بإحكام.. علي لم ألاحظ أن دورة الأكسجين والتبريد لم تبدأ بعد؛ ونتج

عن ذلك الشعور بتزايد درجة الحرارة داخل الزي، بينما اعتقدت أنا أن سبب هذا هو التوتر.

أمسكت الخوذة بيديها وهي تقوم بخلعها برفق وهي تعيد إحكام مسكها بين يديها، ثم تعاود وضعها مجددًا فوق رأسي بينما قال(رامي):

"وجهك يبدو متعرقًا بغزارة".

التفت إليه وأنا أرد:

"لابد لأن دورة التبريد لم تبدأ بالعمل؛ لأنني لم أحكم غلق الخوذة".

أدارت(نعماء) الخوذة يمينًا ثم عادت لتضغطها إلى الأسفل وتديرها مرة أخرى للسيار.. وهذا ما فعلته منذ عدة دقائق، لكن يبدو أنني لم أحكم الدوران؛ مما أدى بدوره لعدم إحكام الإغلاق.

أضاء المصباح الصغير في انعكاس صورته على خوذة(نعماء) مجددًا، ولكن هذه المرة باللون الأخضر والذي يعلن به اكتمال الإغلاق:

"شكرًا لك".

"على الرحب والسعة".

قمت بالإشارة إليها ثم(رامي):

"اتبعوني.. أريد أن أعطيكما شيئًا هامًا".

قمت بفتح باب قمرة القيادة أخيرًا واستجاب هذه المرة، وهو يفتح بنعومة، ويكشف عن غرفة معادلة الضغط، وممرًا واسعًا يفصل بينها

وما بين قمرة القيادة، كان الممر مبطناً بألياف زجاجية مكسوة باللون الأبيض، حتى ليبدو شكله مثل الغرف المبطنة في مستشفيات الطب النفسي..

وضعت الحقيبة على الأرض وأنا أقوم بفتحها؛ لأستخرج منها بطاقات الدخول للمكان.. أخذت بطاقة الدخول الرئيسية الخاصة بي ذات اللون الذهبي، والبطاقة البيضاء الخالية، وقمت بدسهما في أحد جيوب بذلتي الفضائية، بينما التقطت البطاقة الذهبية، وأعطيتها(رامي) ثم التقطت البطاقة السوداء، وأنا أعطيها (نعماء) وأنا أقول:

"هذه البطاقات ستسمح لكما بالدخول من البوابة التي سادخل عبرها.. أريد منكما الاحتفاظ بهما ولا تحاولا الدخول إلا في حالات الضرورة القصوى.. والتي بالمناسبة لا تحدث إلا إذا انفجر المكان في الداخل.. وحتى وقتها أيضاً لن يفيد دخولكما بشيء.. ولكنه إجراء تقليدي يجب أن نقوم به دوماً ما إذا كان لدينا مرافقون، فيجب توزيع بطاقات الدخول إلى المكان على جميع الأفراد؛ لكي لا يتسبب ضياع أو تلف إحدى البطاقات في أن يتم حبس أحد في الداخل".

أومأت(نعماء) متفهمة بينما هتف(رامي):

"لِمَ لا تصحبنا إلى الداخل إذن؟ إذا ما كنت تخشي البقاء بمفردك بمثل هذه الطريقة؟".

"حقاً؟.. هل تظن أن الأمر هكذا؟ نزهة لطيفة على سطح القمر؟".

عاد يسألني باستنكار:

"ولماذا لا يمكننا الدخول بصحبتك إذن؟".

صحت أنا:

"غير مسموح للأفراد غير المصرح لهم بالدخول بالتواجد داخل المكان؛ لكي لا يسبب أحدكما في أية مشاكل أو تلفيات.. لأنه ستتم محاكمتي أنا على شيء كهذا.. لذلك مسموح لكما بالتواجد فقط في حالات الضرورة القصوى".

"حسنًا.. كم من الوقت ستقضيه في الداخل؟".

تساءلت (نعماء).

نظرت إليها ولا أدري بالتحديد ماذا أقول.. كيف أحدد توقيت لشيء أنا نفسي أجهله:

"لست أدري.. لأنني لا أعلم بالضبط ما الذي حدث بالداخل.. فالوقت الذي سأقضيه في الداخل يتوقف على نوع العطل، والوقت الذي سيستغرقه لإصلاحه.. ولكن لا تقلقي.. سأخبركما في غضون دقائق من دخولي.. سنتواصل عبر قناة الاتصال رقم اثنين ورقم أربعة، فإذا ما تعطلت إحدهما فالأخرى سوف تعمل بكفاءة.. ولا تحاولا استخدام قناة الطوارئ للاتصالات مهما حدث.. لأنها غير مؤمنة وتستخدم ترددات مفتوحة متداولة عبر جميع أقمار الاتصالات المحيطة بنا في هذه المنطقة من الفضاء".

قلت هذه العبارة بينما أعدت إغلاق حقيبتني، واتجهت إلى الباب المؤدي لغرفة معادلة الضغط قمت بفتحه ودلفت إلى الغرفة، وأنا أغلقه خلفي

مجددًا، وأضاء عن يمين الباب مصباح أخضر دائري يعلن لي تمام انغلاق الباب وانزاله عن المنطقة الأخرى المؤدية لقمرة القيادة.

ظهر أمامي بجانب الباب الأمامي - الذي سوف أخرج عبره - دائرة مضيئة أخرى، ولكنها مقسمة لعدة أقسام عريضة، وكانت كلها ملونة باللون الأحمر، بدأ يتغير هذا اللون للأخضر، جزء ثم الذي يليه ثم الذي يليه إلى أن تكتمل الدائرة كلها باللون الأخضر، فهذا يعني تمام الانتهاء من عملية معادلة الضغط ما بين الحجرة وما بين المكان خارجها، وصدر بعد اكتمال معادلة الضغط أزيزًا إلكترونيًا إيذانًا بالانتهاء، وأنه مسموح لي الآن مغادرة المكوك.

ضغطت على زر فتح الباب؛ ليضيء المصباح المعبر عن حالته بالضوء الأخضر، وينزاح الباب جانبًا في نعمة مع إمساكي للأسطوانة، التي تقوم بفتح الباب بشكل يدوي في حالة تعطل النظام الإلكتروني، لأي سبب قمت بدفع الباب إلى الخارج، وأنا أتأمل المشهد خارج المكوك.

>>أخيرًا.. إنه القمر.. مرحبًا بالسكون الذي أتمناه.. مرحبًا بك أيها العالم الخالي من البشر(باستثناء الاثنين الذين تركتهما خلفي بالمكوك بالطبع)..الآن.. هذه هي لحظتي<<.

ترجلت خارج باب المكوك فوق ما يشبه أسطوانة من المطاط، التي يتم استخدامها بديلًا للسلام التقليدية، إلى أن وصلت إلى سطح القمر، وصنعت قدمي آثارًا في الرمال مكان سيرتي، قمت بتفقد المكان

ببصري أولاً؛ لكي أحدد مكان البوابة، الذي كان يقع على بعد سبعين متراً تقريباً.

عدت ألقى نظرة أخرى على المكان.. إنه فقط الوسواس القهري الذي أعاني منه دومًا.. ذلك القلق المبالغ فيه والإفراط في الحذر، وذلك بالطبع من أجل محاولة منع ما لا يمكن منعه! هكذا هي جميع الوسواس والهموم دائماً.. إن تتعلم أن تقلق وأن تتبالغ في القلق بشأن لا شيء.

شعرت في داخلي بكم هائل من التوتر، بدأ يتملكني منذ أن انطلق المكوك من الأرض..

هذه المرة هذا الكم من التوتر لا أعلم مصدره، ولكنني لم أكن متوتراً كهذا من قبل

>>ربما أنت متوتر لأنك بصدد الإقدام على شيء جديد لم تفعله من قبل؟<<.

>>حتى وإن كان هذا.. لا يمكن أن يحمل معه كل هذا الكم من التوتر.. الأمر يبدو كما لو أنني سوف أفعله على مسمع ومرأي من جماهير عريضة، سوف تتابع كل خطوة أقوم بها.. الأمر بالفعل في غاية الغرابة أن أحمل كل هذا الكم من التوتر دون أي سبب معلوم.. ربما هي العادة فقط.. أو ربما أن هذا التوتر تولّد من الصحة الجديدة المفاجئة، التي تواجدت هذه المرة معك في أثناء رحلتك><.

"لَمْ لا أبدأ عملي دون شغل تفكيري بما لا يفيد؟!".

قلت هذه العبارة لنفسى هامساً، ولكن كي أطرّد من داخلي كل هذه الرهبة المبهمة.. وصلت بالفعل إلى البوابة وقمت بتمرير بطاقة الدخول الذهبية عبر التجويف المخصص لها في جانب البوابة، وأضاء المصباح بالضوء الأخضر فانفتحت البوابة.

قمت بالدخول بخطوات بطيئة وأنا أتفقد خطواتي قبل أن أخطوها بالفعل.. كان أمامي ممر داخلي يؤدي هو الآخر لغرفة معادلة الضغط، مشابهة لتلك الموجودة داخل المكوك.. تم اعتماد هذا الممر الإضافي في كل أجهزة ومباني الفضاء؛ لكي يتم تلافي الوفيات التي تنجم عن اختلال الضغط المفاجئ، وتم تزويدها بعدة وسائل أمان تمنع حتى المستخدم من أخطائه الفردية، التي يمكنها أن تودى بحياته نتيجة خطأ بسيط.

قام الباب الخارجي خلفي بالانغلاق بشكل تلقائي، وأضاء المصباح الجانبي الداخلي للباب باللون الأخضر؛ ليعلن لمن هو في الداخل تمام الإغلاق.. تقدمت عبر ممر معادلة الضغط، وأنا أغلق باب غرفة المعادلة من خلفي؛ لأري الدائرة المتجزئة المضيئة مجدداً عن يميني، وهي تقوم بمعادلة الضغط داخل الغرفة، وتماثله بالضغط داخل المكان، الأمر الذي انتهت منه أجهزة معادلة الضغط فيما يقرب من ثلاثين ثانية، كان الباب المؤدي للقاعة الرئيسية التي تقع داخلها أجهزة التحكم ينفتح بالفعل، وأنا أستقر داخله أخيراً، وباب غرفة المعادلة الثاني ينغلق خلفي من تلقاء نفسه.

تأملت الأجهزة ببصري، وأنا أحاول أن أتفحص المكان، ربما أجد أحد الأجهزة محترقاً، أو أجد أية علامة من العلامات، التي يمكنها أن تشير

إلى سبب أولي لعدم استجابة أجهزة التحكم هنا لتوجيهات المستخدمين على الأرض.

>> أنت تعلم من هو السبب.. لذلك لماذا لا تتوقف عن هذه الأمور الهزلية.<<

>> كما قلت لك منذ بداية تعارفنا عزيزي القارئ.. النفس لديها نشاطاً محبباً ألا وهو الحديث مع أشخاص تخيلية.. هذا الحديث يحتوي داخله على أشياء تخلل النفس بمصارحة ذاتها بها.. فتقوم باختراع أشخاص وهميين للحديث معهم.. مثلك أنت.. أنت لست سوي أنا في النهاية.. جزء من نفسي التي أمتلكها، والتي اقتسمتها؛ لكي أستطيع البوح لها بالنصف الثاني المختبئ من كل شيء.. أبوح لها وأكشف لها الوجه القبيح من نفسي بكل سرور دون خجل.. أنا منذ البداية أعلم ما الذي حدث هنا.. لأنني ببساطة المتسبب فيما حدث للشبكة القمرية من عطل وهمي.. قمت بأحد التعديلات البسيطة في أثناء مراجعتي لأوامر التشغيل الخاصة بالنظام، في أثناء اختباره قبل اعتماده بشكل رسمي.. كنت مؤمناً إيماناً حتمياً بأنه لا يوجد نظام مغلق على نفسه بمثل هذا الشكل الذي أراده مديرنا.. إنه فقط لن يعمل كما يجب.. لا بد وأن نترك المجال لبعض الأبواب الخلفية هنا أو هناك.. وحيث أن أدوات فحص النظام ومراجعته كانت غاية في الدقة والصعوبة لتخطيها.. لم يفلح الأمر إلا عندما أصبحت أنا أحد أدوات ذلك الفحص والمراجعة.

قمت بكتابة الكود في بداية أوامر تشغيل النظام، الذي يقوم بإعادة التشغيل كل فترة؛ لكي يضمن عدم تلف ملفات النظام الأصلية.. هذا الكود مع تعديله سيقوم بإدخال نظام التشغيل في دائرة مغلقة، ولا

يستطيع أثناء إعادة تشغيله أن يتعرف على عناصر الشبكة المختلفة، من أجهزة التحكم الرئيسية ومعرفات الألواح الشمسية، والأقمار الصناعية، التي تقوم بدور الوسيط ما بين القاعدة القمرية، وما بين الأرض.. كل شيء وقتها سيبدو مشوشًا لدى نظام التشغيل، ولا يستطيع التعرف على أي من مكونات الشبكة؛ فيدخل في تلك الدوامة من إعادة التشغيل ويفشل كل مرة في التعرف على أجزاء الشبكة.. لقد قمت بالتفعيل عندما أرسلت إليه إشارة من منزلي عبر أحد الهواتف لدي، التي تتيح الاتصال عبر الأقمار الصناعية.. قامت تلك الإشارة بكل شيء وبشكل سحري ومع تأكيدنا؛ لأن نظام التشغيل هذا مغلق إلا على مستخدمه فقط ألا وهو الشركة، التي طلبت منا تصميمه، فلن يخطر ببال أحد أن النظام تم اختراقه.. هذا الاختراق يمنحني اليد العليا كمخترق أن أصل إلى داخل جميع المواقع المزعم تأمينها داخل الأجهزة السيادية في أية دولة عن طريق الأقمار الوسيطة، ولا يمكن لأحد أن يتتبع إشارة منعكسة من الفضاء تمت تجزئتها وإرسالها مشتتة من وإلى الفضاء..

يجب عليهم في البداية تجميعها؛ لكي يحاولوا بعد ذلك تتبع مصدرها.. أنا أعلم أن الأمر يبدو لك غاية في التعقيد.. ولكنه بالنسبة لي يبدو بديهيًا للغاية>>.

>>سيصبح المكان وبشكل متفرد نقطة الاختراق الأولي من نوعها، التي ستمكنني من اختراق أماكن لم أكن أحلم بأن أرى حتى أسوارها الخارجية>>.

قمت بوضع حقيبتني على أحد المكاتب المعدنية، المثبت في وسطها عدة أجهزة حاسوب محمول مفتوحة على مصراعيها.. قمت بعدها بإخراج

حاسبي المحمول، والنقطت عدة وصلات من التي أحضرتها معي. وضغطت على زر لأقوم بفتح مربع صغير في جانب المكتب؛ ليكشف لي مكاناً معداً خصيصاً لتجميع الوصلات المختلفة، للتواصل بأجهزة الحاسوب المسؤولة عن الشبكة القمرية، قمت بتوصيل ثلاث وصلات في ذلك المربع، وعدت بأطرافها الأخرى؛ لأصلها بحاسبي المحمول وأقوم بتشغيله للولوج عبره إلى الجهاز الرئيسي المعد عليه نظام التشغيل.. ضغطت عدة أزرار بسرعة؛ لأقوم بإدخال اسم المستخدم وكلمة السر في حاسوبي؛ ليدخل بعدها الحاسب على نظام التشغيل.. ثم قمت بتشغيل أحد البرامج التي تمتلك في داخلها نظام التشغيل، الذي تم إعداده داخل أجهزة الشبكة القمرية، ولكن بشكل افتراضي ليقوم البرنامج بالمقارنة ما بين صورة الأوامر التي لديه لنظام التشغيل والصورة الحالية، التي تعمل بها الشبكة القمرية.

بشكل تلقائي بدأت الشاشة المسؤولة عن عرض قراءات الطاقة المنبعثة من الألواح الشمسية بالعمل، عند اكتمال الاتصال بأجهزة التحكم القمرية.. نظرت إليها نظرة خاطفة، وأنا متأكد تمامًا من أن قراءاتها لن تكون سوي

لحظة واحدة.....

هناك شيء ما خطأ!

هناك قراءات لكميات الطاقة المنبعثة من الألواح! هذا غريب.....

كيف يمكن أن توجد قراءات والنظام لا يعمل من الأساس!؟

نظرت هذه المرة بشكل دقيق لأقرأ بعناية ما تم عرضه أمامي من أرقام.

هذا بالفعل غريب.

الأرقام تشير إلى أن الخلايا تعمل بالفعل بشكل اعتيادي... ولكن إلى أين تذهب كل هذه الطاقة إذن؟!.

* * * * *

"هل تعتقدي أنه محق فيما قاله؟"

التفت إلى (رامي) بينما يسألني هذا السؤال.. لم أفهم بالضبط ما الذي يقصد:

"من هو؟".

أشار (رامي) إلى الباب وهو يقول:

"(سليم)!..ومن غيره كان معنا هنا؟".

هزرت كتفي إشارة لعدم المعرفة، وأنا أرد:

"لست أدري.. ربما".

>>لابد وأن (سليم) أثار رعبه بأسلوبه في الحوار.. بغض النظر عن أنه بالفعل كان محققاً فيما قاله.. الآخر ربما يتغير عندما يضعك في مجال للمقارنة ويجد من هو أفضل منك.. فتبدأ عند ذلك رحلة التخلص منك بحجة أخطائك وقصر فهمك.. وربما بحجة أنك لم تكن مناسباً منذ

البداية، وهو الذي كان مضحياً من أجلك متغاضياً عن زلاتك.. قامعاً لضميره، ولكنه الآن لا يستطيع أن يقمعه أكثر من ذلك.. فاختفاؤك من حياة بعضهم لأنك لا تعد أفضل اختيار أمامهم أصبح أمراً أقل من العادي اليوم..

هذا نفسه ما فعله معي خطيبي السابق.. ظل يشعروني بأنني لا أستطيع أن أفهمه.. وأنني لم أكن مناسبة له على الرغم من محاولاتي لإيجاد فرص للتلاقي والتقارب بيننا.. إلا أنه فضّل أن يُلقي بها كلها خارج رأسه، وأن يخبرني في ذات يوم - لا أزال أذكر ملامحه وقتها وأذكر نبرات صوته التي كساها بافتعال واضح بحزن عميق مزيف - قائلاً: (نعماء).. عزيزتي.. نحن على الرغم من أننا نتشابه في الكثير من الصفات لدى كل منا، ولكن ليس معني تشابهنا هذا أن كلاً منا سيكون مناسباً للآخر.. يومها تلقيت طعنة في كرامتي لم أتعاف منها إلى اليوم..

شعرت بأنني أهملته.. أسأت التصرف أو أخطأت في حقه للدرجة التي لم يستطع معها مسامحتي لمدي فداحة ما فعلته.. لأعلم بعدها بالصدفة البحتة أنه بعد أسبوع من هذا اللقاء أنه ارتبط بالفعل من جديد.. أسبوع واحد.. سبعة أيام هذا كل ما تطلبه الأمر؛ لكي يزيل من ذاكرته كل ما يتعلق بي، ويجد المكان يتسع داخل قلبه لأخري.. عند ذلك الأمر.. فهمت كل شيء.. لو كنت ارتكبت في حقه خطأ؛ فكان يمكنه تقديري كإنسانة و يغفره لي.. إلا أن الموضوع لم يكن خطأ.. لقد كان أنانية مفرطة.

لقد كان يبحث عن أفضل الحلول المناسبة له.. والتقط أقرب حل مناسب أمامه وقتها.. وتعجل وللأسف كنت أنا هذا الحل السريع

المتعجل.. إلى أن مر ما يقرب من العام؛ ليقرر بعدها في داخل نفسه أنه تسرع.. وأنه طالما لم يكتمل ارتباطنا بالزواج فلا تزال هنالك فرصة للفرار..

لا يزال المرء يمتلك الفرصة لكسر قلب أحدهم من أجل أن يصل هو للكمال كما يتوهم.. لا أن يحاول مصارحة شريكه بما يفقده فيه.. لعله يجده.. إذا حاول البحث.. ولكن لا.. لا أحد يريد أن يبذل جهدًا في سبيل شيء يمكنه الحصول عليه لدى الآخرين، حتى وإن كان هذا سيدمر حياة الآخرين.. لعله وجد ما يريد بعد كل ما فعله في النهاية..

فلسوف يؤلمني أكثر أن يتكرر ما فعله معي.. مع أخري.. دون أن يلغنه القدر عقابًا يليق باستهانته بالمشاعر الإنسانية.. لذلك ما ذكره (سليم) أظن في قرارة نفسي أنه يقصده.. وأنه يمكن أن يحدث.. نظرًا لغرابة سلوك زوجتك يا(رامي) واندفاعها المفاجئ في افتعال الشجارات معك.. الأمر بالفعل يثير التساؤلات..

وبالطبع لا يمكنني مصارحتك بمثل هذه الحقيقة كي لا تزداد قلقًا فوق قلقك.. أنا مؤمنة بأن للحقائق دومًا أوقات تظهر فيها، ودائمًا ما تكون أفضل الطرق للبحث عن الحقيقة هي بتركها تظهر من تلقاء نفسها بمرور الوقت.. الوقت سيكشف كل شيء في النهاية.

"ماذا لو كان محققًا؟".

عاد(رامي) ليتساءل بنفس الطريقة الغريبة في السؤال، التي لا تدرك معها هل هذا سؤال أم استجواب:

"أعتقد أنه من المبكر أن تستجيب لفرضية لا يوجد عليها أي دليل حتى الآن".

أشاح (رامي) بذراعيه بشكل عصبي:

"لا توجد إلى الآن الأدلة المادية التي تثبت أن هناك شخصاً آخر في حياتها.. ولكن.. كل تصرفاتها تضعها بالفعل داخل دائرة واسعة من الشك.. إنها كمن تحاول جاهدة أن تتصيد لي الأخطاء، وتتعمد إساءة الفهم لأقل وأتفه الأسباب.. إنها كما لو كانت تحاول محاصرتي بأخطائي.. لكي لا يصير أماننا سوى الحل الوحيد ألا وهو الانفصال.. لأنه فجأة لا شيء أفعله يمكنه أن يرضيها".

أثار حنقه على نفسه وعلى ما وصل إليه حاله مع زوجته إلى تذكرتي بآلامي مجدداً كما لو كنت نسييتها يوماً! .. فهو بكل كلمة على الرغم من أنه لا يقصدني بها، إلا أنه يمزقني بكل جملة تعيد إلى ذاكرتي ما كان يفعله (عمرو) خطيبي معي..

لن أبالغ إن قلت إنه يكاد يتطابق مع زوجة (رامي) في طريقة التصرف.. حاولت أن أتمالك نفسي على الرغم من الآلام، التي انتابت معدتي لتتقلص بشكل مفاجئ.. ربما من جراء الامتعاض مما اسمعه؛

فحاولت تغيير الموضوع:

"كم مضى من الوقت على (سليم) في الداخل؟".

هتف (رامي) باندعاش:

"ما الذي يمكن أن يحدث له.. إننا فوق سطح القمر بمفردنا".

"أنا فقط أتساءل لأعلم كم من الوقت سيمضي به بالداخل".

"(سليم) .. هل تتلقي الاتصال؟".

لم يأتها جواب.. ظلت هكذا لعدة ثوان فعاودت النداء:

"(سليم) هل تسمعني؟..... (سليم)!"

تبادلت النظرات مع (رامي) وتساعد داخلي القلق فهتفت مجدداً:

"(سليم) .. هل تتلقي الاتصال؟.. أجب إذا كنت تسمعني".

انقبض قلبي لا إرادياً من هذا الصمت، بينما قام(رامي) بمحاولة إجراء الاتصال من جهاز الاتصال الخاص به:

"(سليم)..هل أنت بخير؟.. من فضلك إن كنت تسمع رسائلنا أجبنا".

عاد الصمت ليحجب.

"لماذا لا يجيب؟".

"والآن ماذا؟".

سألت(رامي) و تساعد داخلي الشعور بأن (سليم) ربما وقع له مكروه في الخارج.

"لقد أوصانا ألا نتدخل لأنه ممنوع تواجدنا هناك".

"وماذا إذا أصابه مكروه أو يحتاج لمساعدتنا؟".

"يفترض بأن لديه قناة الطوارئ.. يمكنه أن يتواصل معنا عبرها".

"لا يمكن أن نضل هكذا مكتوفي الأيدي".

"حسنًا.. أنا أوافقك.. سوف أبلغ القاعدة الأرضية بما حدث.. ولكن ما الذي أقوله لهم بالضبط؟ .. مهندس الصيانة لا يرد على اتصالاتنا؟!".

"ولم لا؟".

قام(رامي) بإغلاق قناة الاتصال المفتوحة الآن مع (سليم) ثم اتجه إلى لوح القيادة؛ ليضغط أحد الأزرار الذي يتيح لنا التواصل مع القاعدة الأرضية مباشرة:

"هنا إيكو- ١ إلى القاعدة الأرضية .. هل تتلقي الاتصال؟".

"هنا القاعدة الأرضية.. نعم إيكو- ١ نحن نسمعك بوضوح".

"نريد إبلاغكم فقط أننا لدينا مشكلة.. مهندس الصيانة ذهب إلى داخل مبنى القاعدة القمرية.. لكنه لا يرد على اتصالاتنا".

"حسنًا.. لحظات معنا".

التفت إليّ (رامي) وهو يقول بشيء من الخجل:

"أليس ما نفعله هنا غريب بعض الشيء؟ .. أن نخبرهم أن مهندس الصيانة الذي أوصلناه قد ضل طريقه؟".

"نعم .. هذا بالفعل غريب.. أن تقول لهم أن مهندس الصيانة، الذي أرسلتموه معنا ذهب ولم يعد .. أليس كذلك؟".

تصاعد صوت (سليم) بشكل مفاجئ؛ ليجيب على تساؤل (رامي):
"ما الذي حدث؟".

"ما الذي فعله؟.. هل هذا وقت مناسب لمثل تلك الألاعيب؟ لقد أبلغنا القاعدة الأرضية بأننا فقدنا الاتصال بك".

"حسنًا أبلغوهم بأن كل شيء على ما يرام.. ولا تتواصلوا معهم مجددًا".
"لماذا لا نتواصل معهم؟!".

صمت (سليم) للحظة ثم رد على تساؤل (رامي):

"لأنني أختبر في الداخل كفاءة الاتصالات وأية اتصالات قريبة تستخدم نفس الأقمار الصناعية المملوكة للمشروع.. ويمكن أن يؤثر هذا على قراءاتي لمدي كفاءتها، حتى وإن تأثرت بنسبة واحد في المائة".
هتفت أنا:

"حسنًا كفاك تفاصيل تكنولوجية.. متى سوف تنتهي من عملك؟".

سألته ثم نظرت إلى (رامي) لأشير إليه بيدي أن يقوم بإنهاء الاتصال مع القاعدة الأرضية؛ فقام بالفعل بعمل هذا، بينما انتظر (سليم) للحظات مرة أخرى ثم رد:

"هذا سؤال يتعذر علي إجابته بدقة.. هناك عدة مشاكل هنا، وليست مشكلة واحدة كما كنت أظن.. الأمر يمكنه أن يستغرق من ساعة إلى ثلاثة ساعات؛ لأنتهي من فحص نظام التشغيل بأكمله وإعادة....."

"(سليم)؟! هل لا زلت معنا؟".

"يجب أن أذهب.. هناك شيء ما خاطئ في القراءات، يجب أن أبحث عن أسبابه.. سأواصل معكما إذا احتجت إليكما".

لم تعجبني نبرات صوته وهو يتعجل إنهاء الاتصال، إلا أنني لم أكن أملك سوى أن أنصاع لطلباته.. الرحلة أولاً وأخيراً من أجله هو ومن أجل شركته.. ونحن هنا نأتمر بأوامره.

>>ليست مشكلة واحدة.. كما كنت تظن؟.. أم كما كنت تعلم ما هي المشكلة منذ البداية؟.. لقد اعترفت على نفسك بنفسك أيها الوغد اللعين.. لقد صدق بالفعل هذا الرجل(ريكارد)<<.

* * * * *

>>إلى أين تذهب كل هذه الطاقة إذن؟<<.

قمت بفحص الرسوم التي تظهر أمامي وتتغير باستمرار فوق الشاشة.. جميعها يعني أن نظام التشغيل يعمل بكفاءة، بل ويمرر أيضاً الطاقة عبر الخلايا الشمسية.. ولكن إلى أين؟.. نقاط الاستقبال لم تتلق أي شيء؛ لأن قاعدة التحكم الرئيسية الخاصة بالشركة الأم لا تستجيب لها الأجهزة هنا!!!.. يفترض أن تكون عدم الاستجابة طبيعية نتيجة للكود

الذي قمت بزراعته.. ولكن كان يجب أن يؤدي هذا إلى توقف عمل الشبكة بأكملها.

>>حسناً الآن يجب أن أعيد الأمور إلى ما كانت عليه.. ربما هذه الأشكال غير حقيقية.. أو ناتجة عن خطأ وقع نتيجة لتوقف نظام التشغيل.. ولكن انظر إلى قياسات الطاقة.. إنها فوق المستوى الآمن لدرجة احتمال الألواح الشمسية بثلاثين في المائة.. هذا مستحيل أن يكون خطأ.. هناك شيء ما ليس على ما يرام.<<.

جرت أصابعي تعمل بسرعة على لوحة المفاتيح الخاصة بحاسبي المحمول، وأنا أقوم بالدخول إلى شاشة الأوامر الخاصة بنظام التشغيل، وقمت بتحديد ثاني فقرة من أوامر التشغيل في أول صفحة؛ لأقوم بمسحها، ثم قمت بتغيير النافذة المفتوحة أمامي بالنافذة المماثلة لها داخل نظام التشغيل الافتراضي، المثبت على الحاسب الآلي لدي، وقمت بتحديد الفقرة الثانية في أول صفحة من أوامر نظام التشغيل كما فعلت، وقمت بنسخ هذه الفقرة، ومن ثم عدت إلى النافذة الأصلية الخاصة بنظام التشغيل الحقيقي، وقمت بلصق الفقرة كاملة..

بالطبع هكذا لا يستطيع أحد أن يميز أين يكمن الخطأ.... قمت بعدة تعديلات أخرى مماثلة لأوامر نظام التشغيل من النظام الافتراضي، مع عدم الاحتفاظ سوي بعدة صفحات من الأكواد الخاطئة، التي قمت بتصميم متوالية حسابية، تقوم بتغيير بعض من المسافات والرموز الخاصة بتشكيل الحروف المستخدمة في البرمجة؛ ليبدو الأمر كما لو أنني لم أغير أي شيء.. هذا كل شيء.. سوف أعيد النظام إلى ما كان

عليه؛ لأرى هل لا تزال هناك قياسات إيجابية للطاقة أم أن هذا من جراء تعطل النظام.

"قف مكانك.. ارفع يديك ببطء عن لوحة المفاتيح".

أثارت الصيحة المعدنية التي انطلقت من خلفي بشكل مباغت مزيج من الفزع والرعب داخلي؛ وشعرت بأن قلبي يكاد يقفز من موضعه مع شهقة عنيفة لا إرادية، وزيادة مبالغ فيها في ضربات القلب وإحساس بتراخ مفاجئ في جميع أطرافي من أثر المفاجأة.

وجدت أمامي إنساناً آلياً من النوع المخصص للحراسات الشخصية، ظهر فجأة كما لو أنه انبعث من العدم؛ ليمر أمامي بشكل مفاجئ بحجمه الضخم، وطوله الذي يصل إلى مترين بالضبط، وكم العضلات والمفاصل المصنوعة من الكربون والألياف الزجاجية عالية التحمل، ورأسه الزجاجية الشفافة، التي تشبه رأس إنسان، إلا أنها تتقدمها عينا زرقاوان مضيئة مرعبة، ولوحات إلكترونية غاية في التعقيد، تقع في رأسه مكان المخ في رأس الإنسان، وعدد هائل من وصلات الألياف الضوئية المضيئة عبر جسده بأكمله، التي يتسلل عبرها الضوء كشلال من البيانات الملونة، تنتقل داخل عقله الإلكتروني بسرعة مفرطة.

تقدم مني بخطوات ثابتة واثقة دون أن تتغير النظرة المرعبة على وجهه، وهو يقول بنفس النبرات:

"أنت هناك.. توقف عما كنت تفعله، وأبعد يديك عن لوحة المفاتيح.. فوراً".

ظهر مع اقترابه مني لون طلاء جسده، وهو مزيج ما بين الأزرق الداكن والأسود والفضي، وكان على الرغم من وزنه الذي يفوق المائة وثمانين كيلوجرام، إلا أنه بفضل المفصلات المصنعة من الألومنيوم كان جسده قادرًا على التحرك والاشتباك بشكل أقل ما يوصف به أنه قابلة من المعدن، وليس مجرد رجل آلي.. هذا الرجل الآلي - الذي إلى الآن لست أعلم كيف أتى إلى هنا - يمكنه أن يتصارع مع مائة رجل ويهزمهم في أقل من دقيقتين لثلاث دقائق على أقصى تقدير.. إنه وحش كاسر قرر بعضهم تعيينه لحراسته.. لقد عملت في أثناء دراستي على أحد النماذج الأولية لمثل هذا الطراز.. لذلك فأنا أعلم عن تاريخه، ولكنني لم أكن أعلم كيف يبدو الشكل النهائي لأحدث طراز منه.

<<اللعة ما الذي يفعله هذا الشيء هنا والآن؟>>.

بالطبع كنت متوقعًا تمامًا عن الحركة نتيجة للمفاجأة، وبينما أحاول ترتيب أفكارني جيدًا في كيفية التصرف مع تلك الأزمة الجديدة.

<<هل علموا بما فعلته؟!!>> لا يمكن.. فلا أحد يحاول أن يراجع أوامر النظام منذ تم إنشاؤه.. اللعة ما الذي يمكن عمله الآن؟.. لكن لحظة.. رجل آلي خاص بالحراسة.. إذن لابد له من سيد يعمل تحت إمرته.. أين سيده إذن؟ وكيف دخل إلى هنا؟.. وما الذي يريده؟>>.

فكرت لثوان بينما تجمد الرجل الآلي أمامي، وهو يراقب اللحظات، التي ظلت فيها ساكنًا.. إنه بالطبع يحاول تحليل الحركة التالية التي سوف أقوم بها.. هكذا تم تصميم عقلهم الإلكتروني على التفكير بمحاولة توقع حركات الخصم واتخاذ قرار استباقي لأي حركة تثير الريبة.

>> >اللعة كيف لم أفهم هذا منذ البداية؟ إنها القراءات بالتأكيد.. لابد أن أحدهم يقوم بسرقة كل هذا الكم الهائل من الطاقة عبر الخلايا الشمسية المثبتة على القمر.. هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكن أن يكون منطقيًا؛ لوجود مثل هذه القراءات الخيالية المستحيلة الوجود.. ولكن مَنْ؟.. ولماذا؟.. وأين يذهب كل هذا الكم من الطاقة، الذي يُمكنه باستخدامه بمثل هذه القوة ودون أية فواقد من الإرسال أن يضئ كوكب الأرض لمدة شهر كامل على الأقل بمثل كل هذه الكمية من الطاقة>>.

"مرحبًا.. أنا اسمي (سليم).. ما هو اسمك؟".

"ارفع يديك عن لوحة المفاتيح".

صحت بشكل مفاجئ:

"لابد للحارس من ذكر اسمه لمن يطلبه.. هذا قانون المستخدم.. عرف نفسك!".

"اسمي هو (شتوجارد-٤٠).... ابتعد عن لوحة المفاتيح والآن.. أي حركة عدوانية ستصدرها سيتم التعامل معها فورًا".

>> (شتودجارد-٤٠)!.. إنه النسخة الأكثر تقدمًا مما كنت أتصور أنها أمامي.. إنه مزود بثمانية معالجات خارقة تعمل بالتوازي في رأسه>>.

"حسنًا.. أنا هنا لا أفعل شيئًا خاطئًا.. فأنا من المصرح لهم بالتواجد هنا.. هل تسمح لي بأن التقط بطاقة تعريفني من جيبك إياها؟".

قلتها بينما أنا رافعًا يدي في الهواء.

"التقطها.. ببطء ولا حركات مفاجئة".

أخرجت بطاقة الدخول الذهبية ببطء بيدي اليمني كما أمر (شتودجارد)، وقمت بالتقدم ببطء؛ لكي أعطيها له، ومد هو يده في حركة تلقائية؛ لالتقاطها فقامت بشكل خاطف بقذف البطاقة إلى أقصى يساره؛ لكي يتبعها بنظره للحظات.

بالطبع أثاره مثل هذا التصرف، بينما أنا استغل هذه الثواني لحين أن يتدارك الأمر، وعدت إلى الحاسب وضغطت ثلاثة أزرار، ثم زر التنفيذ بشكل خاطف؛ لكي يقوم النظام بإعادة تشغيل نفسه؛ لأتفاجأ بالحارس الخارق يقوم بالإمساك بي ووجهه يبدو عليه الانطباع الغاضب، وهو يرفعني بيد واحدة في الهواء؛ ليبعدني تمامًا عن مجال الحاسب المحمول، ثم وجدت نفسي أطيّر في الهواء؛ لكي أرتطم بالجدار المقابل على يمين الأجهزة في عنف شديد؛ وأسقط بعدها أرضًا وبدأت الآلام تشتعل في جميع عظامي من هذا الارتطام العنيف.

<>أشعر أن أحد أضلاعي قد تحطم.. هذا الحارس اللعين>.

تثاقلت أنفاسي ولهثت بعنف، وأنا أحاول أن أنهض، ولكنني فشلت تمامًا؛ فظللت جالسًا على الأرض لثوان، وأنا أهتف بأنفاس متقطعة:

"ما الذي تفعله؟.. أنت تعتدي على أحد الموظفين التابعين للمكان أثناء تأدية عمله".

تصاعدت الآلام في عظامي ومفاصلي من الصدمة بشكل لا يمكن أن يطاق، بينما استحالت فقرات ظهري إلى سيمفونية متواصلة من الألم.

لم يبد على الآلي أنه يبالي كثيرًا وهو يقترب مني بخطوات ثابتة قائلاً:
"أنت متهم بالتخريب العمد في الممتلكات العامة، ولقد أمسكنا بك متلبسًا
بالفعل، وسوف أسترجع الدليل الذي محيته بإعادة تشغيلك لنظام
التشغيل".

>>اللعة.. لقد علموا بما أعدده؟!.. ولكن كيف يمكن أن يعلموا هذا..
لا.. هذا لا يمكن له أن يحدث.. سوف يتم سجنني بمثل هذه الطريقة ما
يقرب من عشرين عامًا على أقل تقدير.. ربما أكثر.. القانون في مثل
هذه الحالات لا يميز بين حالة عبث بسيطة، أو اختراق لأية جهة أمنية
غاية في السرية.. الاختراق هو الاختراق.. والتلف هو التلف حتى وإن
لم يكن للاختراق أي تأثير..

العقوبة متساوية لكيلا يحاول أحد أن يتذاك... سحقًا.. لا بد من إتلاف
الأقراص الصلبة؛ لأنها سيكون محفوظًا عليها التعديلات الأخيرة. ولكن
كيف يمكنني حتى أن أشتت انتباه هذا المعدني ذي القوة الهائلة <

"أنت تكذب.. أنا لم أفعل شيئًا يخالف القانون.. لن تجد شيئًا هناك..
وليس هناك أي دليل على اتهامك هذا سوى كلامك".

التفت إلى (شتودجارد) قائلاً:

"إذن.. لا ضير من البحث طالما أنت واثق من أنني لن أجد شيئًا يدينك
أليس كذلك؟".

"أنت تتهمني اتهاماً باطلاً ليس لديك أية أدلة عليه.. ثم أنك اعتديت على.. وأنت تعلم كيف تكون عقوبة هذا الاعتداء جيداً، وما الذي سوف تقوم به الشركة الأم عند إبلاغها بما صدر منك تجاه أحد الأشخاص".

"يمكنك مواصلة المراوغة كما تحب.. إلا أننا نعلم جيداً أنك زرعت فيروساً داخل الشبكة، وسوف نبحت عنه ونجده.. وعندها سوف تدان بالتهمة التي تحاول إنكارها الآن".

صمت للحظات ثم عاد ليضيف:

"هذا بالطبع بالإضافة إلى أنه لا يوجد رجل آلي يكذب.. وأنت تعلم هذا جيداً على ما أظن".

<>ولديه أيضاً وحدة معالجة منطقية منفصلة.. يا لمثل هذا الحظ السعيد.. لقد وقعت يا (سليم) أخيراً في مصيدة لا فكاك منها>.

استطعت أخيراً النهوض بينما استدار هو مجدداً؛ ليتابع نظام التشغيل، الذي لسبب ما تأخر في العمل.. ربما نتيجة للكم الهائل من الطاقة، والذي يحتاج من النظام الطاقة القصوى، لكي يقوم بمتابعته والإشراف على تمريره وقياسه.. ولكن يظل السؤال دوماً عالقاً بلا إجابة تذكر.

<>إلى أين تذهب كل هذه الطاقة؟>.

<>هل سأظل هنا محتجزاً كالفأر هكذا دون أن يمكنني أن أفعل أي شيء؟.. بعد أن أتيت كل هذه المسافة، وبذلت كل هذا الجهد في التخفي، وبات التمكن من صنع أداة الاختراق القمرية الأولي من نوعها وشيئاً..

ويتم احتجازي بمثل هذه الطريقة في النهاية؟!.. لا بد من أن هناك شيئاً
يمكن أن أفعله.. لا بد وأن يكون هناك مخرج طارئ من هذا المأزق>>.
>>طوارئ!<<.

>>تري هل أستنجد بهما؟.. ربما إذا حضرا إلى هنا سيكون في الأمر
خطورة عليهما.. ما الذي يجب أن أفعله؟.. لا يمكن أن أظل مكتوف
الأيدي هكذا.. بالطبع أي تفكير في محاولة التخلص من مثل هذا الآلي
تعتبر مستحيلة.. نظراً للفارق الواضح في القوة الجسمانية، التي مكنته
بكل بساطة من الإطاحة بي، وصدمني بعرض الحائط كما لو أنه يلقي
بكرة من المطاط وليس بإنسان>>.

قمت بهدوء تام بالضغط على زر قناة الطوارئ في أحد جانبي جهاز
الاتصال في أذني.

"حسناً.. هل وجدت أي دليل يؤكد لك شرعية احتجازك لي؟".

حاول (شتودجارد) الولوج لنظام التشغيل.. إلا أن النظام كان مسلحاً
بأحد الخوارزميات، التي قمت بتشغيلها، التي تعمل على حماية النظام
بكلمات سر متغيرة كل عدة ثوان، وذات عدد حروف متناثرة تجعل أية
محاولات لكسرها مستحيلة، حتى ولو بواسطة إنسان آلي.. لعدم قدرته
على العثور على كلمة السر الصحيحة في الوقت المناسب.. لن يمكنه
الولوج للنظام إلا بفعل الحظ.. إن يستطيع الإتيان بكلمة السر الصحيحة
في الوقت المحدد.. ولكن هذا لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كلي.. يجب
عليّ التخلص من الأدلة التي تدينني هنا.. الأمر لن يظل هكذا فترة
طويلة.

النفث إلى مجدداً و ترك الجهاز، وهو يستشعر أن هناك شيئاً ما أحاول فعله.. بدأ يراقب تحركاتي بينما أنا ظللت ثابتاً كالصخرة في مكاني وأنا أتابع:

"حسناً لم لا تخبرني كيف دخلت إلى هذا المكان.. الدخول هنا يكون لمن هم مصرح لهم فقط.. كيف استطعت الدخول؟".

ارتسم على وجه (شتودجارد) ابتسامة مضيئة زرقاء اللون تماثل لون عينيهِ وهو يرد:

"الأمر في غاية البساطة.. يتوجب على أن أكون هنا من أجل الإيقاع بك".

"لماذا تصر على اتهامي بتهمة ليس لها وجود؟".

بكل برود يتيح له طابعه المعدني أجاب:

"لأنك فعلتها بالفعل".

"من الذي أخبرك بمثل هذا؟.. وإن كان هذا اتهاماً رسمياً.. فأين ممثلو الشركة؟".

"كل هذا ستراه بمجرد ولوجنا إلى نظام التشغيل، واستعادة الدليل الذي حاولت أن تحذفه منذ قليل".

"هذا إن أمكنك الولوج بالطبع".

ابتسم مجدداً وهو يشير إلى الخوارزمية التي أعدتها:

"إنها خوارزمية رياضية فعالة.. لكنها لن تصبح عائقًا كبيرًا أمامي
سوف أكسرها في غضون دقائق معدودة".

"أنت تبدو واثقًا من نفسك بشكل مبالغ فيه أليس كذلك؟".

"وأنت لا تبدو خائفًا بالقدر الكافي كما يجب أن تكون.. لأن عقوبة ما
فعلته ستصل لسجنك عشرين عامًا بحكم متوسط الشدة".

"(سليم) هل أنت بخير؟.. من الذي تتحدث معه؟".

أتى صوت (نعماء) بعد أن انتبهها أخيرًا إلى أنني قمت بفتح قناة
الطوارئ:

"عليكما المجيء.. لدينا هنا مشكلة.. لدينا دخلاء في المكان".

"هل ينبغي لنا أن نبذل القاعدة الأرضية؟".

"....."

تصاعد صوت أزيز عالي في غاية الإزعاج جعلني أنتزع جهاز
الاتصال من أذني بسرعة لعدم احتمالي صوت الأزيز المزعج.

<<هذه هي قناة الطوارئ كيف يمكن أن تتشوش؟ لا يمكن هذا!>>.

"هل تظن أنني لا أعرف أنك قمت بفتح قناة الطوارئ بالفعل؟.. هل
تعتمد أنني غبي لا أستطيع أن أدرك ألا عيب البشر حولي وأتوقعها بل
وأصدي لها أيضًا؟.. لدي مخ يعمل بثمانين نواة منقسمة.. هل تظن

أنني لا أستطيع التقاط حيلك جميعها، وإيقافها قبل حتى أن تفكر في تنفيذها؟".

<>يا للهول.. ثمانون نواة منقسمة؟.. لا بد وأنه تكلف ثروة كبيرة.. ربما يقوم هذا بتقليل الاحتمالات قليلاً.. فمن غير الممكن أن يكون مثل هذا الآلي تابعاً للشركة تحت أي ظرف من الظروف.. لا بد وأن أحدهم أحضره إلى هنا.

لا بد لأي من حارس من شخص يحرسه.. هناك من يقوم بإداراته.. ومن غير المنطقي أن يقوم هو بما يفعله الآن تلقائياً.. هذا غير ممكن><.
"ربما تستطيع التوقع.. لكنك لا تستطيع قراءة الأفكار، وهذه دائماً ستكون نقطة تفوق البشر عليك".

<>تري كيف سيتعامل معهما إذا ما قررا الدخول؟><.

ظلت أتأمل(شتودجارد) وهو يحاول بسرعة مذهلة بالفعل من تخمين كلمة السر الصحيحة.. الخوارزمية كانت بالفعل قوية.. وإلى الآن صامدة أمام عقله الاصطناعي الجبار.. ظل يعيد المحاولة مراراً وتكراراً ولم يفلح حتى الآن.

التفت بشكل مفاجئ تجاه بوابة الغرفة؛ لأجد المصباح الجانبي لغرفة معادلة الضغط يضئ باللون الأحمر مما يعني أن أحدهم سوف يدخل هذا الباب في غضون دقيقة.

"لم لا نتفاوض؟".

التفت إلى وهو يسأل:

"ما الذي تملكه للتفاوض عليه؟ أنت ليس لديك أي شيء ذي قيمة".

"أنا أملك أن أقوم بإلغاء الخوارزمية التي تنثير أعصابك".

"وماذا تريد في المقابل؟".

"خمس دقائق بمفردي في الغرفة.. ثم بعدها سوف أغادر بكل هدوء، وسيكون المكان كله لك".

"(سليم).. هل أنت بخير؟ لقد تم التشويش على قناة الطوارئ.. ماذا حدث؟".

سألت (نعماء)، وهي و(رامي) يدخلان إلى المكان.

التفت إليهما وهما يعبران بوابة المكان في حذر، ثم رأى كل منهما الآلي ليتسمر مكانهما...

"ما هذا؟".

صاح (شتودجارد) الذي ترك عمله وترجل إلى حيث يقف كل من (رامي) و(نعماء):

"من أنتما.. وما الذي أتى بكما إلى هنا؟".

أشرت إليهما لكي أهدئ من روعهما:

"تقدما .. لا تخافا.. إنه غير مؤذٍ.. فقط تقدما ببطء ولا تحاولا القيام بأية حركات مفاجئة".

تقدم كل منهما في حذر، ونظرهما متعلق بالآلي، وهما يحاولا الابتعاد عنه قدر الإمكان،

"(سليم).. ما هذا؟".

سألتني(نعماء):

"هذا يفترض بأنه أحد الرجال الآلية الخاصة بحراسة(أحدهم)، الذي لم أعلم من هو بعد، ظهر هنا من العدم فجأة أمامي، ومنعني من استكمال عملي، ويحاول الاستيلاء على الشبكة القمرية بمحاولته الولوج إليها بشكل غير شرعي".

"وماذا عن سبب وجودك هنا؟.. لم لا تصارحها أيضًا بهذا؟".

<<هذا الوغد يمتلك ذكاء منطقي لا يمكن وصفه>>.

<<لقد تم الإيقاع به.. لقد فعلها هذا المدعو(ريكارد) أخيرًا>>.

"لم لا تخبرها أنت؟".

قلتها وأنا أتقدم منه ببطء وأنا أستطرد بمنتهي الهدوء:

"لماذا لا تتكلم؟.. هيا أخبرها لم أنا هنا.. ولم أنت هنا؟!".

"هذا الرجل تحت الاحتجاز؛ نظرًا لأنه متهم بجريمة التخريب العمد في الممتلكات العامة، وسوف نقوم باعتقاله وترحيله من هنا بعد حصولنا على أدلة إدانته".

على عكس المتوقع تمامًا نظرت إلى (نعماء) نظرة لائمة عنيفة وهي تسألني بحدة:

"هل هذا صحيح؟".

"هل تصدقين حرفًا واحدًا من هذا الهراء؟".

انحنيت بسرعة لأقوم بضغط زر تعديل الجاذبية داخل حذائي؛ ليقوم بإلغاء عملية تعويض الجاذبية الأرضية، وأستطيع أن أسير بالجاذبية المحيطة لي، وهذا بالطبع في وسط جاذبية القمر سوف يجعلني قادرًا على القفز وليس فقط التحرك بخفة..

قمت بالقفز أمام (شتودجارد) مباشرة، الذي استعد بقبضته لكي يلكمني، ولكنني في آخر لحظة تفاديت اللكمة بأن قفزت مجددًا قفزة واسعة أخرى؛ لكي أصبح خلفه؛ لأجد نفسي أمام ذراع الطوارئ الأحمر الموجود بجانب الجهاز الرئيسي مباشرة، التي نلجأ لها في حالة فشل أنظمة التبريد داخل المكان في السيطرة على درجة الحرارة؛ فيقوم نظام التشغيل من تلقاء نفسه بالإغلاق بشكل فوري.. وبالفعل هذا ما حدث.. قمت بجذبها بسرعة.... سمعت بعد ذلك بلحظات صوت ارتطام معدني وشعرت بالآلام غير متناهية في مؤخرة رأسي مع صيحة (نعماء) التي صرخت:

"(سليم)..احذر".

كانت صيحتها هي آخر شيء استطعت إدراكه قبل أن تظلم بعدها الدنيا
تمامًا.

....

الفصل الثاني عشر

دقت (أوديت) على باب غرفة الاجتماعات في صباح اليوم التالي في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وعندما لم تتلق ردًا قامت بفتح الباب بشكل بطئ نسبيًا، وهي تدخل ببطء؛ لكي لا تفزع (مارلينا) التي يفترض أنها لم تغادر المكان منذ مساء أمس.. جالت (أوديت) ببصرها داخل المكان لتحاول العثور على زميلتها فلم تعثر على أحد.. غادرت الغرفة لتسأل مساعدة د. (فاديم):

"هل غادرت الدكتورة (مارلينا)؟".

أشاحت المساعدة برأسها نافية وهي تشير إلى الداخل:

"لم أرها تغادر منذ أن استلمت نوبة عملي.. لا ريب أنها تتجول داخل أرجاء الغرفة، أو ذهبت إلى دورة المياه".

عقدت (أوديت) حاجبيها وهي تعيد تعديل وضعية حقيبتها فوق كتفها الأيمن مجددًا، ثم قامت مرة أخرى بالطرق على الباب، ثم دلفت إلى الغرفة مجددًا وهي تغلق الباب خلفها.

لم تكد تغلق الباب حتى ظهرت (مارلينا) من خلف أحد جوانب الغرفة وقد أجفلت:

"أوه يا (أوديت).. لقد أفزعتني".

ابتسمت (أوديت) وهي تشير إلى الباب:

"لقد طرقت الباب عدة مرات قبل أن أدخل، ولم تجيبي؛ فظننت أنك ربما نائمة أو أنك غادرتي".

أشارت (مارلينا) خلفها وهي تقوم بعقد شعرها الفاحم خلف رأسها في سرعة:

"لقد عثرت على اكتشاف مذهل.. و كنت أتأكد من صحته عبر الحاسب الآلي.. أعدك سوف تصابين بالذهول عند معرفته".
"أي اكتشاف؟".

نظرت (مارلينا) باندھاش إلى الساعة خلف (أوديت) ثم سألتها:

"أليس لديك محاضرة اليوم في الصباح؟!".

ابتسمت (أوديت) وهي ترد مباشرة:

"لقد استطعت الاعتذار عنها صباح اليوم بأعجوبة".

ابتسمت (مارلينا) لابتسامتها، ثم نهضت وهي تحاول إعادة هندمة ملابسها قائلة:

"لقد بقيت طوال الليل مستيقظة، وغفوت فقط لساعتين؛ لأصحو وأجد أن كل ملابسني أصبحت في حالة يرثي لها".

تجاهلت (أوديت) عبارتها الأخيرة وهي تسألها في اهتمام:

"ما الذي توصلت إليه؟".

"ما رأيك في د.(فاديم)؟".

>>اللعة!! هل علمت بالعلاقة التي بيننا؟.. كيف يمكن هذا؟.. إننا نحفظ بهذا الأمر طي الكتمان.. كيف يمكن أن تكون عرفت؟<<.

"ماذا تعنين؟".

" أعني رأيك فيه كعالم بالطبع!".

شعرت (أوديت) بالقلق من ابتسامة (مارلينا) المتسعة، التي لم تستطع أن تفهم السر ورائها..

"أخشي أنني لا أستطيع أن أفهم سؤالك؟.. ما رأيي في د.(فاديم)؟.. لو لم يكن عالمًا على قدر عالٍ من العلم والثقافة والاحترافية لما كنت أستجيب لدعوته بالأمس، ولما كنت أطلب مساعدته في الإعداد لموضوع رسالتي".

"لقد خدعنا"

>>اللعة!!<<.

"مجددًا يا د.(مارلينا) لم لا تحاولي أن تتحدثي بوضوح أكثر؟".

"هذا البحث الذي أرسل إلينا من ذلك الرجل الذي يدعي (أندرياس أورلوف) ..الذي يتحدث فيه عن أن انعكاس القطبية هي السبب الرئيسي الذي جعل الطائرات تتساقط بمثل هذا العدد وفي نفس التوقيت".

شحب وجه (أوديت).. وحاولت أن تسيطر على نفسها وهي ترد:

"ماذا عنه؟".

"لن يمكنك تصديق ذلك.. لقد تحدثت مع أحد مسؤولي (ناسا) لكي أطلب منهم أن يرسلوا إليّ معلومات عن الرجل.. أو حتى سيرته الذاتية.. لقد قالوا إن د.(أندرياس أورلوف).. مات منذ ما يقرب من خمسة أعوام!.. وأنه كان يعمل لديهم.. وهذا البحث الذي لدينا هو أحد أبحاثه بالفعل.. والأدهى من ذلك.. هو أن أحدهم أرسل لنا مثل هذه الرسالة، وأعطى لنا معلومات للاتصال تصلنا بأحد برامج التفاعل الذاتي التي تتحل شخصية الرجل".

<<يا لك من داهية>>

حاولت (أوديت) مجاراتها بأن تتصنع الانبهار بمثل هذا الاكتشاف الذي وجدته:

"يا إلهي.. هل ما تقولينه صحيحاً؟.. ومن الذي يمكن أن يكون مسؤولاً عن مثل هذه الرسالة؟".

تابعت (مارلينا) في حماس بالغ:

"نحن أمام احتمال من اثنين.. إما أن يكون د.(فاديم) على علم بما حدث وشارك في خدعتنا بمثل هذه الرسالة.. لا أدري لماذا إلى الآن.. ربما ليقوم بتعطيلنا.. أو أنه هو الآخر تم خداعه مثلنا"

زادت عدد ضربات قلب (أوديت) وبدأت تفقد السيطرة على نفسها وهي تسأل بحذر:

"وأنتِ تظنين أن أي احتمال هو الأرجح؟".

أشارت (مارلينا) بذراعيها بشكل استفهامي:

"لا أستطيع أن أحدد بعد.. ولكن ما رأيك أنت؟".

<<اللغة.. الأمر الآن قد بلغ غاية السوء بالفعل>>.

ردت (أوديت) بشكل متردد:

"لست أدري على وجه التحديد ما الذي يمكن أن يكون الاحتمال الأرجح أيضاً.. ولكن هل أنتِ متأكدة من هذه النتائج؟.. أعني ألا يمكن أن يكون هناك تفسير منطقي لهذا الأمر؟".

لم تستطع (مارلينا) سوى أن تضحك بصوت عالٍ وهي تتبّع ضحكاتها بعبرة متقطعة:

"كيف يمكن أن يكون هناك تفسير منطقي.. لأحد الأموات عاد من الموت فجأة.. لكي يرسل لنا باكورة نظرياته العلمية؟.. هذا الأمر لا بد وأنه تم إعداده من البداية؛ لكي يشغلنا بتساؤلات حول صحة النظرية.. وحول مدى صلاحيتها لأن تكون هي السبب الرئيسي..

لقد تم إقحامنا في مجموعة غير مفيدة من الأسئلة المتشابكة والمعقدة فقط لتعطيلنا.. ولو لم أكن حاولت التيقن من مرسلها؛ لكننا إلى الآن لا نزال نناقش ما إذا كانت السبب الحقيقي لسقوط هذه الطائرات أم لا".

بسذاجة تساءلت (أوديت):

"وما الذي يمكن أن يستفيد به مَنْ فعل ذلك؟".

برقت عينا(مارلينا):

"أن يقوم بتعطيل بحثنا.. ليقوم بتغطية فعلته".

"هل تظنين أن أحدهم تسبب فيما حدث للطائرات؟".

"أنا لا أظن.. أنا متأكدة من ذلك بالفعل".

"ماذا تعنين؟".

"لقد لاحظت شيئاً عند استماعي إلى التسجيلات الخاصة بالصناديق السوداء للطائرات، والتي يتم تجميعها وحفظ بياناتها في عدة نقاط لتجميع البيانات موجودة في جميع محيطات العالم.. ما حدث هو أن أجهزة الاتصال مع أبراج المراقبة تعطلت تماماً.. عند زمن معين.. عدا ثلاث طائرات!".

عقدت(أوديت) حاجبها، وهي تسأل باستغراب شديد:

"كيف يمكن أن يحدث هذا؟!".

هزت(مارلينا) كتفها وهي ترد:

"لا يوجد سوى تفسير واحد؛ ليحدث مثل هذا الاختلاف في التوقيت.. هذه الطائرات جميعها كانت تحمل على متنها أشخاص قاموا بتشغيل ربما أجهزة تشويش أو شيئاً من هذا القبيل.. ربما قنابل كهرومغناطيسية صغيرة.. بمجرد قيامهم بتشغيلها تعطلت جميع الأجهزة الإلكترونية

داخل الطائرات؛ وسقطت دون أن يستطيع أحد إيقافها... ولكن كيف تجتمع تسع عشرة طائرة في أن يتعطلوا في نفس التوقيت، بينما تظل ثلاث لم تحدث فيهم مشكلة وقتها إلى أن ينقطع الاتصال بها بعدها بمدة، ربما تفوق الدقائق العشر.. وبين الثلاث طائرات الأخيرة يوجد أيضاً فارق توقيت ثلاث دقائق ما بين تعطل أول طائرتين وما بين الطائرة الأخيرة التي سقطت.. كيف يمكنك تفسير كل هذه الأحداث التي يفترض بأنها مصادفات؟".

هتفت (أوديت) وهي تحاول تهدئة (مارلينا):

"عزيزتي.. عليك أن تهدئي من روعك.. كيف يمكنك أن تتخيلي أن يقوم أي أحد بمثل ما تعتقدي أنه حدث دون أن ينكشف أمره منذ البداية؟".

تابعت (مارلينا) حديثها في حماس شديد دون أن تبدو أن ملاحظة (أوديت) أثارت في داخلها أي شيء:

"الأهم من ذلك أننا يجب أن نعلم كيف استطاع أحدهم أن يقوم بإسقاط اثنتي وعشرين طائرة بمثل هذه الطريقة، ويتسبب في كل هذه الفوضى.. دون أن يترك وراءه أي أثر".

"إن الآن يمكننا اعتبار ما حدث عملاً إرهابياً؟".

"كلا.. ليس بالضبط".

"لا أستطيع الفهم ... ما الذي تريدني قوله؟"

"هل علمتي أن المكوك الذي أرسله المصريون إلى القمر قد هبط بالفعل دون أية مشكلات أو أعطال؟... مَنْ فعل هذا.. ليس إرهابيًا.. مَنْ فعل هذا.. أراد شيئًا معيّنًا أن يحدث من جراء هذه الحوادث.. أراد تشتيت الانتباه".

رفعت (أوديت) يديها اعتراضًا لإيقاف (مارلينا):

"لحظة واحدة.. أنا الآن بعد كل ما ذكرتيه لا أستطيع أن أحتمل".

سألتها (مارلينا) باستغراب:

"ماذا تعنين؟".

"أنا أكاد أموت من الجوع.. ولم أتناول أي شيء للفتور بعد.. هل تناولت فطورك؟".

ابتسمت (مارلينا) قائلة:

"كلا لقد اكتفيت بكوب من القهوة".

"أنا لا أستطيع المواصلة وذهني لا تصله طاقة كافية تصلح لمتابعة كل هذه التفاصيل، التي ذكرتها لذلك.. ماذا عن إحضار بعض الطعام للإفطار ثم نستكمل حديثنا؟".

"حسنًا.. لك ذلك".

"هل أحضر لك شيئًا معي؟".

"كلا.. لست في حاجة لتناول الطعام الآن".

"حسنًا.. سوف أحضر طعامًا وأعود فورًا".

نهضت (أوديت) بشكل متعجل، وهي تعيد تصفيف شعرها المجدع بعصبية إلى الوراء بعدما غادرت غرفة الاجتماعات، ثم التقطت هاتفها المحمول من حقيبتها وسماعته الصغيرة؛ لتضعها داخل أذنها وهي تضغط عدة أزرار بعصبية ثم أعادت الهاتف مجددًا إلى حقيبتها، وهي تستمع إلى رنين متواصل دون رد عبر سماعة الرأس وهي تقول في خفوت:

"هيا يا (فاديم).. أجب".

ظل الرنين مستمرًا إلى أن انتهى...

أعادت الاتصال مجددًا.. وانتظرت لدقيقة أخرى.. لكي تحصل على نفس النتيجة.

"اللعة".

هتفت (أوديت) بعد أن فقدت التحكم في أعصابها؛ فلاحظت أنها قد أصبحت محط أنظار بعض العاملين في المكان؛ نتيجة لهاتفها؛ فغادرت المكان بسرعة لتذهب إلى غرفة تقديم الطعام في النصف الثاني من الطابق.

>>والآن.. ما الذي يجب أن أفعله؟.. هذه الحمقاء (مارلينا) ستكشف كل شيء بهذه الطريقة.. إنها تمتلك ذكاءً لعيّنًا.. لقد استطاعت معرفة كل شيء في غضون ليلة واحدة.. مخططات تم تحضيرها ومراجعتها على مدار عام بأكمله.. تأتي هي في ليلة واحدة.. وربما أقل؛ لتكشف كل

شيء بعد كل هذه المناورات المعقدة .. اللعنة عليك .. اللعنة .. كيف لم نتوقع هذا؟ ..

كيف لم نحاول التغطية على أخبار صاحب البحث؟ .. ما هذا الغباء؟ .. لقد ظننا أنه ما أن يصرخ أحدهم بنظرية مخالفة فإن الجميع سيحاولون التفكير في النظرية .. وسيظلون ما بين نفيها وإثباتها .. وحيث إن صاحب تلك النظرية قد أتى من مكان عريق مثل (ناسا) فلن يمكن أن يشك أحد في مصداقيته ..

إنما إن يحاول أحد أن يبحث عن مدي كفاءته وعن الرجل نفسه بشكل شخصي .. هذا لم نكن نتوقعه أن يأتي بمثل هذه السرعة .. ما الذي سأفعله الآن؟ <.

قامت بمعاودة الاتصال مرة ثالثة ب(فاديم)؛ لأنها كانت تريد أن تعثر على حل لمثل هذه الكارثة أمام كل ما كانوا يدبرونه هي و(فاديم) .. حبيبها - أو هكذا يظن هو .. فهي لم تحبه قط .. هي فقط اقتربت منه كثيرًا من أجل حلمها الحقيقي .. حلم الثراء الفاحش .. تلك من ستسرق قلب العالم العبقرى الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من الحصول على جائزة نوبل، بعد أن يتم اختبار لاكتشاف أحد العلماء التابعين له والذي يعتبر ربما أفضل شيء تم إنتاجه، والتقدم خلاله بشكل مثير للاندھاش بالمقارنة بجميع أنواع الطاقة المتجددة .. النوع الجديد من الطاقة الذي لم يجرؤ أحد قديمًا على أن يحاول أن يطور أبحاثه .. نحن اليوم على بعد ربما شهور من أن نقوم باستغلاله تجاريًا .. وستكون هذه السلعة من أغلى ما تم بيعه في التاريخ؛ نظرًا لقدرتها

الفائقة على الإمداد بالطاقة.. من ستمتلك هذا القلب؛ ستمتلك المال الذي سيمتلكه صاحبه أيضًا..

ولكن.. كل هذا يمكن أن ينهار في لحظة وناليتها؛ إذا أبلغ أحدهم السلطات بأنه لديه شك بأن (فاديم) قام بالتغطية على محاولات التوصل للأسباب الحقيقية لسقوط الطائرات.. وبالطبع ذلك لن يكون له سوى معنً واحد.. أنه يعرف من المتسبب في تلك الحوادث ولديه ما يخفيه.. ولن يستغرق الأمر كثيرًا بين يدي السلطات الحالية، التي تعتمد على الرجال الآلية المتطورة في عمليات الاستجواب، لن يستغرق الأمر سوى يوم بأقصى تقدير؛ ويقوم (فاديم) بالغناء كطائر شاذٍ بالحقيقة كاملة لهم..

ولا يمكن بعد أن وصلنا إلى هذه النقطة وأماننا فقط عدة ساعات أخرى إضافية؛ لاختبار ما أنجزناه وتأتي إحداهن تتصنع الذكاء لتفسد علينا كل هذا..

لا يمكن لكل هذا أن ينهار الآن فوق رؤوسنا.. ليس بعد كل ما تكبدنا.. لابد من إيقاف الأمر عند هذا الحد وعدم السماح له بأن يتطور عن ذلك..

"لا يمكنني الوقوف هكذا مكتوفة اليدين".

همست (أوديت) لنفسها عندما وصلت لغرفة تقديم الطعام، وظلت تنظر شاردة إلى أنواع الطعام المصفوف أمامها دون أن يثير هذا في داخلها الرغبة في تناول الطعام بالفعل.. لقد قالت هذا ل(مارلينا) لتستطيع أن تحصل على عذر للهرب منها؛ لتتصل ب(فاديم) ليخبرها ما الذي عليهما فعله في مثل هذه الحالة.

لقد ظل هو دوماً العقل المدبر في هذا الأمر منذ بدايته.. ويجب أن يجد لهما الحل السحري للخروج من هذا المأزق، الذي أحكم أصابعه حول عنقهما.

<<لابد من التصرف>>.

"هل يمكن أن أساعدك؟".

قاطع أفكارها صوت الرجل المسؤول عن تقديم الطعام؛ ليسألها إذا كانت تريد شيئاً لتأكله؛

ابتسمت وهي تعيد تصفيف شعرها بعصبية:

"نعم .. أريد إفطار لشخصين.. هل لديكم اليوم وجبات نباتية؟".

أوماً الرجل مبتسماً:

"بالطبع يا سيدتي.. ها هي القائمة".

قالها وهو يشير إلى يسارها إلى قائمة تم طباعتها فوق شاشة زجاجية مضيئة، معلقة أمام ثلاجة الأطعمة؛ نظرت إليها بارتباك، ثم ظلت تقرأ محتويات الوجبات لتلتفت إليه مرة أخرى قائلة:

"حسناً أريد الوجبتين رقم ٢ ورقم ٦".

أوماً الرجل باحترام وتقدير، وهو يقول لها:

"سوف يتم إعدادهما في غضون دقائق معدودة.. يمكنك الاستراحة هنا لحين الانتهاء منهما".

قامت بالنقاط ببطاقتها الائتمانية الخاصة بها، التي كانت تجمع ما بين اللون الأزرق واللون الوردي، الذي في مثل هذه الحقبة الزمنية كان المرادف الوحيد للنقود، التي تحولت وبشكل كامل إلى نقود إلكترونية.. مجرد أرقام تزيد هنا وتنقص هناك.. لا أكثر من ذلك.

قام الرجل بتمرير الكارت عبر آلة دفع النقود الإلكترونية، ثم أعطاها لها؛ لكي تدخل كلمة السر ثم ضغطت تأكيد، ثم أعادتها له؛ ليقوم بالتأكد من إتمام عملية الدفع ثم أعاد لها بطاقتها مرة أخرى.

مضت بالفعل عدة دقائق ثم ناولها الرجل حقيبة ورقية صفراء تحتوي داخلها على عبوات الوجبتين.

سارت بخطوات مسرعة عائدة لمكان غرفة الاجتماعات، وما أن ظهرت الغرفة من بعيد تملكها شعور بالرهبة مجددًا أثار قشعريرة داخل جسدها.... ترددت للحظات ثم حسمت أمرها واتجهت بالفعل تجاه غرفة الاجتماعات، وهي تطرق الباب ثم تدخل.

"لقد أحضرت لك إفطارًا خفيفًا.. إنها وجبة نباتية متكاملة.. أتمنى أن تنال إعجابك".

ابتسمت (مارلينا) التي كانت تتصفح بعضًا من الأوراق البلاستيكية، ثم النفقت لتري (أوديت) آتية عبر الباب:

"شكرًا لك.. لقد كبدتك عناء إحضار الإفطار.. كان يمكنه أن ينتظر".

هنا هتفت (أوديت) وهي تقوم بوضع العبوات أمامها فوق طاولة صغيرة تتوسط عدة أرائك:

"كلا.. الإفطار لن يحتمل الانتظار.. إن مخي أيضًا لن يستطيع الانتظار".

قالتها وهي تمزح ثم أشارت إلى (مارلينا):

"هيا.. اتركي ما في يدك الآن وتعال إلى هنا.. لن أتناول طعامي بمفردي هكذا".

تركت (مارلينا) ما بيديها ثم اقتربت لتجلس جانب (أوديت)، والأخيرة تناولها العبوة الخاصة بها، وتناولها أيضًا ملعقة بلاستيكية لكي تتناول بها الطعام.

بدأت الاثنتان بتناول الطعام، وهما تتناقشان فيما توصلت إليه (مارلينا)، بينما انتهت (أوديت) من طعامها سريعًا، ونهضت لتذهب إلى دورة المياه.. ظلت (مارلينا) تتناول الطعام لبرهة من الوقت ثم نهضت هي الأخرى لتذهب إلى دورة المياه.

قامت بدفع الباب الرئيسي المؤدي إلى دورات المياه المخصصة للنساء، ثم شرعت في غسل يدها، ثم توقفت بعدها لتتأمل وجهها في المرآة.

"لن يمكنك أن تحزري ما الذي تذكرته بمناسبة كلامك عن د.(فاديم)".

أنت العبارة من خلفها بصوت (أوديت)، التي كانت داخل إحدى الغرف الداخلية لدورات المياه.

"ماذا؟".

"أعتقد أنك علي حق.. ربما يكون هو أحد المتسببين في هذا بالفعل.. لقد سمعته يتصل منذ عدة ساعات بأحد الأشخاص.. ويخبره أن كل شيء على ما يرام.. وأنهم قد ابتلعوا الطعام.. بالطبع لا نحتاج للكثير من الذكاء لكي نعلم أننا نحن المقصودين ب(أنهم).. أو كي أكون دقيقة في الوصف.. أنتم.. لأنني أعلم كل شيء منذ البداية".

وقعت كلماتها على أذن (مارلينا) كالصدمة، التي لم تستطع تصديق ما تسمعه؛ فاستدارت بسرعة، وهي تنظر بعينيها إلى الأسفل، لكي تعلم أي غرفة تتواجد داخلها (أوديت) رأت طرف حذاءها في ثالث غرفة فقامت بطرق الباب وهي تتساءل:

"ما الذي تقولينه.. أين سمعته منذ عدة ساعات هل كان معك ليلة أمس؟ .. وما الذي تعنيه بأنك تعلمين كل شيء من البداية.. إن كلامك يبدو مبهمًا يا (أوديت).. مخيفًا أكثر منه مبهمًا".

ساد الصمت لما يقرب من دقيقة.. فهتفت (مارلينا):

"(أوديت).. هل تسمعينني؟"

عاد الصمت ليجابوها.. فطرقت الباب مجددًا طرقات قوية وهي تعاود الهاتف:

"(أوديت).. أين أنت؟".

عندما لم تتلق جوابًا سوى الصمت مجددًا؛ قامت بفتح الباب لتجد الحذاء في مكانه أمام قاعدة المرحاض.. ولم تجد (أوديت) نفسها!

أثار المشهد اندهاشها ورعبها في آن واحد:

"(أوديت)"

أتاها صوت مباغت من خلفها:

"أنا هنا!"

التفتت مذعورة بسرعة؛ لتتفاجأ بضربة قاتلة على رأسها سددها إليها (أوديت) بأحد أسطوانات إطفاء الحريق الثقيلة، ونتيجةً لوزنها الثقيل وقوة الضربة وسرعتها دفعت ب(مارلينا) إلى الخلف؛ لتسقطها على الأرض بينما تقف (أوديت) تنظر إليها بعين التشفي قائلة:

"لقد علمتي الكثير بفضل ذكائك.. وسوف يدمر هذا كل شيء أعددناه إلى الآن.. لذلك - وللأسف وأنا أعتبره عارًا- يجب أن تخمد الأنفاس التي تخدم هذا العقل الذهبي الذي تمتلكينه.. يا لك من ذكية.. أنا أحسدك على هذا العقل وهذه العبقرية.. ولكن.. يا للأسف سوف ينتهي كل هذا في غضون عدة دقائق".

شعرت (مارلينا) بدوار عنيف جدًا يهاجمها و بدأت رأسها في النزيف بالفعل، حاولت أن تمسك ب(أوديت) التي ما أن أمسك بها ذراع الأولى؛ حتى أفلتته في قسوة بالغة، و(أوديت) تتأملها بعينين يبرق من بينهما شرًا مستطيرًا، بينما الأولى تنهار و(أوديت) تبتسم قائلة:

"العبقرية لا يمكنها أن تهزم سرعة التصرف.. لذلك وداعًا".

كانت(مارلينا) قد سقطت على الأرض، وفقدت الوعي، ظلت (أوديت) تنظر إليها بكم رهيب من الغل، الذي ظهر بشكل واضح في أنفاسها، التي اقتربت إلى اللاهث منها إلى التنفس الطبيعي.

ظلت هكذا لدقيقة أو أكثر إلى أن انتبهت إلى أنها يجب عليها أن تغادر المكان قبل أن يكتشف أحد فعلتها؛ فقامت بسرعة بإعادة أسطوانة الإطفاء مكانها، ثم عادت لتلقي نظرة أخيرة على جسد(مارلينا) الراقد على الأرض، وبداخلها يتصارع الغضب والخوف في آن واحد.

<<ميتة حزينة.. ولكنها ضرورية!>>.

أسرعت بمسح بصماتها من فوق كل الأسطح، التي تذكرت أنها لامستها، ثم قامت باستخدام مرفقيها بدفع جسد(مارلينا) إلى الداخل قليلاً، حتي تستطيع أن تغلق الباب عليها، واتجهت إلى خارج دورة المياه وهي ترتجف.. لقد بدأت تلاحظ ما الذي فعلته للتو.. لقد قتلت (مارلينا) بسبب اكتشافها الخدعة التي قاما بها بإرسال رسالة باسم أحد العلماء السابقين في (ناسا)، ظناً أن هذا سوف يعطي كلامه المصادقية الكافية ليصدقه الآخرون..

تفاعل يمكنه أن يولد انفجاراً كونياً كارثياً.. كان لابد من الاستعداد قبيل حدوثه بأن يتم تليفيق إحدى الظواهر الطبيعية الغريبة النادرة الحدوث.. حتى إذا حدث ووقع مثل هذا الانفجار.. ونجونا منه.. يمكننا بكل بساطة أن نلصقه بالظاهرة الطبيعية كأحد النتائج المتأخرة، التي بدت فجأة ودون إنذار.. ولكن إلى الآن كل ما يشغل بالنا هو نجاح المفاعل المنشأ

تحت سطح القمر... ليتغير بعد ذلك وجه الأرض، بل ووجه المستقبل
لآفاق أخرى.

<<لا بد وأن أغادر المكان فوراً.. ولا بد أن يعلم (فاديم) بالتطورات>>.

قامت بالنقاط حقيبتها، وألقت باقي الطعام في سلة المهملات، ثم غادرت
وهي تتحدث مع المساعدة بشكل يفعل التودد:

"يجب أن أغادر الآن.. ستبقى د.(مارلينا) بالداخل لفترة ثم ستغادر..
لست أدري ما إذا كان د.(فاديم) سوف يحضر اليوم أم لا.. ولكن إن
حضر رجاء أبلغه أنني طراً لدي أمراً عاجلاً اضطرني للمغادرة "

أومات المساعدة بالتفهم وهي تبتسم قائلة:

"سوف أخبره .. لا تقلقي".

ابتسمت (أوديت) ببرود وهي تتحرك، وتسرع في خطاها لتغادر المكان
بشكل أسرع.

انطلق رنين هاتفها المحمول من داخل حقيبتها فالتقطت سماعة الهاتف؛
ووضعتها في أذنها وهي تجيب:

"(فاديم).. أين أنت كل هذا الوقت؟ هناك بعض الأنباء العاجلة التي
أريدك أن تعلمها".

سمعته يقول لها:

"ماذا؟ .. ماذا حدث؟".

"يبدو أن أحدهم علم ما نحن بصدده ..".

تماسك (فاديم) وهو يرد :

"انتظري .. لا تسترسلني في الكلام .. أين أنت الآن؟".

"لقد كنت في المقر وغادرته الآن".

هبطت بالمصعد إلى مكان انتظار السيارات وظلت تسير لتصل إلى سيارتها.

" حسنًا عودي إلى المكان الذي أتيتي منه ستجديني في انتظارك هناك .. لا تتأخري".

"حسنًا .. سأكون هناك".

فتحت باب سيارتها وهي تلقى بحقيبتها في الداخل، والتوتر يزداد بمرور الوقت وعثورها على (فاديم) مع عدم استطاعتها إخباره بما فعلته .. كل هذا ضاعف داخلها الإحساس بالتوتر مع ازدياد وعيها بأنها ارتكبت جريمة قتل .. وليس فقط مشاحنة نسائية غاضبة، حاولت تفريغ هذا التوتر في غلق باب السيارة بحدة والانطلاق بسرعة إلى حيث ستلتقي ب(فاديم) فما تحمله فوق كاهلها لا بد له وأن ينتهي.

لم تمض سوى عشر دقائق مع سرعتها المبالغ فيها؛ حتى كانت تقوم بإيقاف السيارة في المكان الخاص بانتظار السيارات الملحق بالمنزل، الذي تقابلا فيه ليلة أمس .. بعد أن أوقفت السيارة وأدارت رأسها إلى

اليمين؛ لتلتقط حقيبتها؛ ظهر لها أمام عتبة السيارة وبشكل مفاجئ ظل رجل.

شهقت من الفزع والمفاجأة وأنفاسها وضربات قلبها تتسارع للحظات؛ لتكتشف في النهاية أنه (فاديم) الذي ينتظرها أمام ساحة الانتظار؛ فهدأ روعها قليلاً وهو يقترب و اتضحت ملامحه، واعتراها القلق فوصل إلى جانب السيارة الأيمن، وهو يقوم بفتح باب السيارة، وينحني قائلاً في اهتمام:

"عزيزتي.. هل أنت بخير؟.. يبدو عليك الفزع.. هل حدث لك مكروه؟".

بدأ وجهها في الاحتقان وبدأت دموعها تسيل على وجنتيها؛ فقام (فاديم) بالجلوس على المقعد المجاور لها في السيارة وهو يربت على كتفها متسائلاً:

"اهدئي يا عزيزتي.. هذني من روعك.. ماذا حدث؟".

نظرت إليه (أوديت) قائلة في خفوت:

"لقد تم كشف أمرنا ..".

لم يبدُ على (فاديم) أنه تأثر بما قالت، وهو يسأل بهدوء:

"ما الذي تعنيه عبارتك هذه؟".

"لقد اكتشفت (مارلينا) أن (أندرياس) متوفي منذ أعوام.. لقد بحثت عنه لدي (ناسا) بدلاً من أن تبحث داخل البحث الملفق الذي صممناه، وبدلاً من أن تتواصل مع الشخص المحاكي له.. بادرت هي بالسؤال عنه

ومحاولة معرفة تاريخه مع (ناسا)؛ لتتفاجأ بأنه ميت منذ أعوام.. وبالطبع لم يحتاج الأمر بعدها لكثير من الذكاء حتى تعلم أن هذه الرسالة مدسوسة.. وكانت تشك في أنك مشترك في دسها لنا لكي تقوم بتشتيت الانتباه".

"وماذا حدث بعد ذلك ما الذي قلتيه لها؟".

...

ظلت (أوديت) صامتة لا تجرؤ على الحديث للحظات، وهي ترمق عيني (فاديم) كأنها تختبرهما، وتسأل نفسها.. هل أخبره... أم لا؟؟!

"(أوديت).. ماذا حدث؟".

...

عادت صامتةً للحظات إضافية، وبدأت ترتعد؛ لإدراكها الآن أن ما توصلت إليه (مارلينا) وقتها لم يكن يستحق عناء قتلها.

هنا هتف (فاديم) في وجهها هادراً:

"ماذا فعلت؟".

"لقد ... لقد منعته من أن تواصل بحثها.. لأن.. لأنك تعلم بالتأكيد أنها طالما وصلت إلى هذه النقطة كان وصولها إلى الحقيقة مسألة وقت ليس أكثر".

"وكيف منعته من مواصلة بحثها؟... (أوديت) أخبريني بما حدث".

"لقد... قتلتها!"

على عكس ما كان يمكن أن يتوقع أحد أن يصاب (فاديم)، بالذهول وربما الصدمة مما صرحت به (أوديت) الآن إلا أنه علت وجهه ابتسامة.. ابتسامة أثارت في قلبها الرعب، واقتشر لها جسدها من المفاجأة.. أخبرتك للتو بأني قتلنا أحدهم لأجلك تبتسم!!

"أنت تبتسم!"

ظل (فاديم) مبتسمًا وابتسامته تتسع وهو يقول لها:

"صدقًا.. لم أكن أعلم أنك تخافين على مستقبلنا بمثل هذا القدر.. أن تهتمي لأمرنا بالقدر الذي يصل بك أن تقتلي أحدهم دون تردد.. من أجلي.. من أجلنا".

>>ما الذي يحاول أن يفعله.. لا يمكنني التصديق بأن يكون هذا رد فعله على ما فعلته.. إنها جريمة قتل.. وهو الآن يغازلني ويقدر ما فعلته.. لابد وأن هناك شيئًا ما خاطئًا<<.

>>أيّتها الغبية.... قتلك لها يشير إلينا بالبنان.. لقد قممتي برسم دائرة محكمة حولنا أنا وأنت.. لقد قممتي بتأكيد ما كان في الأساس مجرد شك لا يوجد ما يسانده من أدلة.. يا لك من حمقاء<<.

"أين هي الآن؟"

"ماذا؟"

"أين تركتني جثتها؟"

"لقد.. تركتها داخل دورة المياه الخاصة بغرفة الاجتماعات".

"حسنًا.. هَدَّي من روعك.. لا يزال في إمكاننا تدارك ما حدث".

"كيف يمكننا هذا؟".

عاد(فاديم) ليربت على كتفها، وهو يقول:

"(أوديت)عزيزتي.. من فضلك عليك التحلي بالهدوء.. هيا انطلقى بنا إلى مكان المتابعة".

هتفت هي:

"ماذا؟".

"غرفة المتابعة يا عزيزتي هل نسيت؟ يجب أن نتأكد من أن كل شيء في مكانه الصحيح، ومن كل القراءات والتأكد من اكتمال عملية فصل الجسيمات تمامًا واستقرارها قبيل دمجها.. أي خطأ في هذه المرحلة يمكنه أن يتسبب في فشل التجربة بأكملها".

>>إنه يفصح بالكثير من التفاصيل عما ينطوي أن يفعله.. على عكس ما هو معتاد عليه من التشديد على عدم مناقشة مثل تلك الأمور.. لقد أصبح زاهدًا فجأة في التفاصيل!<<.

>>سأسهب في التفاصيل حتى أحاول جعلها مطمئن، ولو بشكل جزئي حتى نصل إلى هناك<<.

"هيا بنا.. انطلقى".

نظرت إليه متشككة وهي تسأل:

"وماذا عن (مارلينا)؟".

"فلتذهب (مارلينا) إلى الجحيم.. لدينا المستقبل لنصنعه الآن.. هيا قودي السيارة".

قامت بتشغيل السيارة مجدداً، وهي تقودها خارج ساحة الانتظار عائدة إلى الشارع مجدداً، ولم تستطع أن تتمالك أعصابها وهي تسأله:

"ماذا بك يا (فاديم)؟".

"لا شيء.. لقد وردتني بعض الأنباء التي أثارت قلقي منذ أن علمت بها".

"ماذا حدث؟".

"ذلك المكوك الذي أرسله المصريون للقمر.. لقد أرسلوا أحد مهندسي الصيانة، الذي على الرغم من وجود (شتودجارد) هناك واحتجازه له إلا أنه استطاع إغلاق نظام التشغيل؛ مما يعني أن أنظمة التعليق وفصل الجسيمات يمكن أن تنهار، ما لم يتم إعادة إمدادها بالطاقة في خلال دقائق بالطبع قام (شتودجارد) بإعادة كل شيء إلى ما كان عليه في غضون دقيقتين تقريباً، وربما أقل، ولكنني أخشى أن يكون ذلك المأفون أفسد شيئاً برعونته هذه؛ لذلك علينا الذهاب إلى غرفة المتابعة للتأكد من أن عمليتي التعليق والفصل لم تتأثرا بهذا الانقطاع المفاجئ للطاقة".

"هل يمكن أن يحدث هذا فعلاً؟".

هز(فاديم) كتفيه وهي تدير المقود لتتحرف بالسيارة إلى اليسار:

"لا أحد يمكنه أن يعلم على وجه اليقين.. عند انهيار أحد مفاعلات الطاقة منذ يومين لم تنقطع الطاقة عن المفاعل بشكل كامل.. لقد توزعت على المفاعل المتبقي.. وبالطبع عند حدوث ذلك كان الأمر مسألة وقت لأن ينهار المفاعل الثاني.. لذلك تم الاستغناء عنه واستبدال مصدر الطاقة بالشبكة القمرية بالكامل؛ كي نضمن استمرارية تدفق الطاقة".

بدا لهما من بعيد مبني يشبه في تصميمه حظائر الطائرات القديمة، اقتربت منه السيارة في سرعة حتى توقفت على مقربة من المبني بعد أن قال لها (فاديم):

"توقفي هنا".

أطاعته وتوقفت بالفعل وهي تسأله:

"ماذا حدث؟".

"على التأكد من أنه لا أحد يراقب المكان .. انتظري هنا".

ترجل(فاديم) من السيارة وهو يسرع إلى بوابة المكان، الذي كان يبدو عليه أنه مهجور منذ عدة سنوات؛

قام بفتح البوابة وهو يسرع السير؛ ليختفي داخل المبني...

لم تحتمل أعصاب(أوديت) الكثير، وهي تقوم بفرك شعرها بعصبية شديدة بينما ظلت تنتظره.. ولم تستطع الانتظار طويلاً.. فقامت بالاتصال به:

"(فاديم) .. هل كل شيء على ما يرام؟".

"نعم .. لقد تأكدت من أنه لا يتبعنا أحد.. يمكنك القدوم".

غادرت السيارة مسرعة، وهي تحمل حقيبتها، ركضت حتى وصلت إلى البوابة التي كانت مفتوحة على مصراعيها، وفي الداخل رأت الحظيرة خالية إلا من عدة مكاتب على الجانب الأيسر، وأمامها ساحة متسعة خالية من أي شيء.. ولا يوجد أي أثر ل(فاديم).

قبل أن تهتف باسمه أحاط أحدهم بها من الخلف بقوة، وهو يقوم بطعنها بأداة حادة في عنقها طعنة مميتة بعد أن كتم فمها بيده المغطاة بقفاز مطاطي؛ لتسقط أرضاً وهي تشهق بعنف، والدماء تندفع من خارج شرايين عنقها، بينما ظهر أمامها صاحب الطعنة، الذي لم يكن سوى (فاديم) وهو يرتدي زيًا كاملاً من المطاط؛ لكي لا تصاب ملابسه بأي من رذاذ الدماء، وهو يقول لها مبتسماً:

"يا عزيزتي(أوديت).. هل ظننت أنني بالفعل انخدعت بأنك بالفعل تحبينني؟.. هل ظننت أنني بمثل هذه السذاجة؟.. لم تستطع أي امرأة من قبل أن تخدعني.. فهل ظننت أنك قادرة على فعل هذا؟.. أنت كنت ملاصقة لي كظلي .. لأنك تعشقين الثراء.. والمكانة التي ستحصلين عليها في حالة إذا ما امتد بك العمر لما بعد الآن.. ولكن.. الآن لدي خطط أخرى.. خطط أهم ما فيها ألا أعتمد على الأغبياء مثلك.. قتلتها

لكي لا تتكلم؟! .. أيتها الغبية .. لم تكن ستتفوه بأي شيء .. إن كل ما ذكرته لك لم يكن سوى شكوك فقط ..

الشك سراب ما لم تؤكد الحقائق الدامغة .. والآن هذه حقيقة لقد كانت أذكى منك بكثير .. وذاؤها للأسف أدى إلى نهايتها .. و نهايتك أيضًا .. وداعًا يا (أوديت) .. سأفتقدك كثيرًا "

كانت بالطبع (أوديت) لا تقوي على الحراك، ودمائها القانية تخرج كنافورة مستعرة من عنقها؛ لتغرق ثيابها وترسم بركة حول جسدها، الذي ظل ينتفض على الأرض ما يقارب الدقيقة، ثم انخفضت حدة الانتفاضات والتشنجات، وتعلق بصرها ب(فاديم) بعدها فقدت عيناها بريق الحياة.

ترك (فاديم) جثتها وهو يقوم بخلع الزى الذي يرتديه، الذي تناثرت فوقه قطرات من دماؤها، وهو يقوم بخلع القفازات عن يديه، ويقوم بالاتجاه ناحية أحد الحواسب المحمولة الموضوعة فوق أحد المكاتب، ويقوم بتشغيله والتقط هاتف للأقمار الصناعية كبير الحجم، وضغط شاشته التي تعمل باللمس لكي يطلب رقمًا مكون من ثمانية عشر رقمًا، ويضع الهاتف على أذنه اليسرى، وما أن انطلق أول رنين للهاتف حتى أجاب الشخص على الطرف الآخر:

"كيف هي الأمور الآن؟".

أجاب (فاديم) :

"لقد تأزمت الأمور، ولقد اكتشفت عالمة لدينا في فريق البحث الخدعة التي دبرناها، ولكن لحسن الحظ تم التأكد من عدم افتضاح مثل هذا الأمر".

"هل أنت واثق؟ أنا لا أريد أية نهايات مفتوحة.. لا يمكن أن أدع شيئاً يعكر صفو ما نحن بصددّه اليوم".

"نعم أنا واثق مما أقوله.. لا توجد نهايات مفتوحة".
"عظيم".

"وكيف هي الأمور عندك؟".

"لقد احتجزته هو واثنين آخرين يقولان أنهما قائد المكوك والطيار المساعد له.. رجل وامرأة.. دخلا إلى القاعدة بعد إشارته لهما بذلك، من أجل أن يقوم بتشتيت (شتودجارد) والأدهى أن هذا الفتى نجح في ذلك بالفعل.. بعد كل ما تكبدت فيه لتزويده بمعالجات إضافية.. لا يمكنه أن يتنبأ بمراوغة أقل ما يمكن تصنيفها بأنها لا يمكن أن تخدع طفلاً في الثانية من عمره..

يخيل لي أن هذا الذكاء الاصطناعي ما هو إلا وهم يسوقونه لنا؛ لكي نبدد أموالنا عليه دون عائد حقيقي.. هذا الخطأ اللعين الذي ابتكره أحدهم واسماه أفضل رجل آلي تم تصميمه إلى الآن".

"إذن كل شيء على ما يرام إلى الآن؟".

"نعم.. إلى الآن.. لقد أفقده (شتودجارد) وعيه واحتجزته جانب (أصف) والبقية".

"وما الذي سوف تفعله بهم؟".

"لا أحب أن أثقل صدري بحمل الهموم في غير أوقاتها".

"أنا أعلم هذا جيداً.. ولكن ينبغي عليك أن تقرر ما الذي تريد فعله.. أنت تعلم أن الأمر قد أصبح حساساً جداً عن ذي قبل.. وأي خطأ يمكنه أن يكلفنا كل شيء".

"أنا مدرك تماماً لحساسية الموقف وأقدره حق تقديره".

"حسناً.. أتمني لك التوفيق.. ولكن قبل أن أتركك وأغادر أريد أن أري المرحلة النهائية من عملية الفصل والتعليق للجسيمات؛ كي أطمئن أن كل شيء سوف يعمل بكفاءة إلى النهاية".

"سأجعل (شتودجارد) يرسلها إليك حالاً".

شعر (فاديم) بأن محدثه بيتسم، هو لم ير وجهه، ولكنه شعر بالابتسامة في أطراف العبارة.. الأمر الذي أثار قلقه من مجهول لم يدرك كنهه بعد.

ضغط (فاديم) عدة أزرار أمامه على لوحة المفاتيح، التي تعمل باللمس المضنيء أمامه؛ لكي يقوم بتغيير الشاشة المعروضة أمامه؛ لكي يستقبل إرسال بث حي من القمر عبر الأقمار الصناعية، عبر إحدى القنوات المشفرة لآخر قراءات للأجهزة العاملة داخل المفاعل (سرمايه)، الذي

يعتبر في حقيقة الأمر مصادم جزيئات متطور جداً، يقوم باحتواء التفاعل والاصطدام ما بين جزيئات المادة والمادة المضادة، أو (anti-matter) ولكن هذه المرة وفي هذا الوقت من تاريخ البشرية الكميات التي تم إعدادها لمثل هذا التفاعل تعتبر رهيبية للغاية، وتم الاعتماد بشكل كلي على البيئة القمرية، وعلى عدة مميزات للعمل داخل الفضاء؛ مما جعل الأمر أقل تكلفة مما كان يتوقع بكثير.. وبإنتاجية كبيرة وبنائج زمنية أقل ما يمكن تسميتها أنها مبهرة.

ظهرت شاشات متابعة أجزاء نظام المفاعل ومعدل استقرار التبريد.. وسرعة تعليق الجزيئات وفصلها وما تبقى من الوقت التقريبي لانتهاء عمليات الفصل.

أخذ (فاديم) ينتقل بين الشاشات وبعضها؛ ليقوم بمتابعة جميع التفاصيل الخاصة بعملية مزج فريدة من نوعها للمادة والمادة المضادة.. بواقع كتلة إجمالية قدرها مائة كيلوجرام في الفضاء؛ لكي يتم مراقبة كمية الطاقة المنبعثة منها ومتى ستنتضب مثل هذه الكمية.. وتم اختيار مثل هذه الكتلة بناء على حسابات معقدة قام بها (فاديم) بالتعاون الإجباري مع أحد العلماء، الذين كانوا يعملون تحت يديه ألا وهو (أصف بيزار) المحتجز الآن داخل هذا المفاعل.. من أجل ما إذا حدث هنالك مكروه وتطلب الأمر الاستعانة به فهي دراسته وتصميماته في النهاية.. واحتجزه (ريكارد) نظراً لأنه عارض أن نقوم بالتجربة في الفضاء داخل المجموعة الشمسية الخاصة بنا..

وكان يفضل أن يتم التجربة في أبعد نقطة لدينا من المجموعة الشمسية.. وتلك كانت هي نقطة الخلاف العميقة بيننا.. هو يظن أن التقاء مثل هذه

الكتلة سوف تكون له تبعات كارثية.. في حين أننا تكفلنا باختيار مكاناً في الفضاء الفسيح إذا ما انطلقت هذه الكتلة بكل قوتها؛ فلن تبلغ كوكبنا ولا حتى القمر.. بل يمكنها أن تؤثر فقط على أحد الكواكب الأخرى بالمجموعة الشمسية.. وهو الأمر الذي عارضه لأنه على حد قوله أي ضرر سوف يصيب أي كوكب مجاور؛ فسوف يتبعه بشكل مباشر ضرراً على كوكب الأرض لا نواجهه الآن بل يمكن أن نواجهه في المستقبل ربما القريب أو البعيد.

كل هذه الترهات والقلق المبالغ فيه من (أصف) كان لا يلقي له (ريكارد) أو (فاديم) بالاً، في مقابل ما سيحصل عليه كل منهما لقاء نجاح مثل هذه التجربة، فالأول سيصير رجل الطاقة الأول في العالم بلا منازع، وربما سينتزع مكاناً له في التاريخ كأغني رجل أعمال في التاريخ بمثل هذه التجربة، والثاني سيحصل على جائزة نوبل لابتكار أحد أفضل أنواع الطاقة في عصرنا الحديث، إن لم يكن أفضلها بالفعل.

شعر (فاديم) أن هناك شيئاً ما خاطئاً أمامه.. ولكنه لم يستطع تحديد ماهيته.. أعاد تفقد شاشات المتابعة منذ البداية إلى أن وصل إلى الشاشة قبل الأخيرة، وهو يقرأ ما تم كتابته داخلها بعناية إلى أن وجد الكارثة.

لقد تم تعديل الكتلة الكلية للتفاعل.. فبدلاً من أن تكون خمسين كيلو جراماً لكل وجه من وجهي مكعب الطاقة.. قام أحدهم بتغيير الرقم إلى مائتين وخمسين كيلوجرام لكل وجه من أوجه المكعب.

"(ريكارد)".

صاح (فاديم) عبر الهاتف فرد (ريكارد):

"أنا هنا".

"هل قمت بتعديل الكتل النهائية؟".

"لم تسأل مثل هذا السؤال؟".

"اللجنة عليك .. لم أسأل؟! .. قم بإلغاء ما قمت بتعديله ولا تكن غيباً .. هذه الكتلة ليست فقط غير مستقرة، بل ستتسبب بكارثة".

"أنت لا تعلم هذا على وجه اليقين".

"أيها الوغد .. أنت الذي لا تعلم أي شيئاً .. قم بتعديل قيمة الكتلة، وأعدّها إلى ما كانت عليه .. سوف تقضي علينا جميعاً بحماقتك هذه".

كان صوت (ريكارد) يحمل هدوءً ورتابة كما لو أنه رجله الآلي الذي يتحدث بدلاً منه:

"أريد أن أرى بعيني ماهي إمكانياتنا القصوى... وليس أنا فقط مَنْ سيراه، بل أريد أن أجعل العالم كله يرى مدي قوتي .. وإلى أي مدي أستطيع أن أصل".

"إذا قمت بدمج كل هذه الكتل مرة واحدة .. لن يتواجد أحد في محيط المجموعة الشمسية بعد ذلك .. سوف تقضي علينا جميعاً أيها الأحمق .. أنت لا تفقه شيئاً عما تفعله .. ستتسبب بتوليد ثقب أسود عظيم سيبتلع مجموعتنا الشمسية بأكملها، حتى وإن قمت بتعديل مكان التصادم لأبعد نقطة في المجموعة الشمسية؛ فتأثير الاندماج سوف يصلنا إن عاجلاً أم آجلاً .. قم بإعادة قيم الكتلة إلى ما كانت عليه أيها الغبي".

"هل تعلم أنا لا أحب أن يخاطبني أحدهم هكذا مثلما تفعل أنت الآن.. أنا أقدر بالطبع قلقك على مستقبل الأرض ومستقبلنا جميعاً.. ولكن للأسف الشديد.. لن تصبح موجوداً لكي تقلق مما سوف يحدث".

"ماذا تعني؟".

"أنت تعلم أنني أكره دوماً أي نهايات مفتوحة".

أضاء مصباح صغير باللون الأحمر أسفل المكتب الذي كان يجلس أمامه (فاديم)، وظل يضيئ بشكل منقطع يتسارع حتى توقف اللون الأحمر عن الإضاءة وتحول للون الأخضر.

ودوي انفجار هائل أطاح بالمبني بأكمله ولم يترك وراءه سوى ركام وأشلاء بشرية متناثرة في كل صوب.. وحريق يأتي على بقية أجزاء المكان... وصمت الأموات.

....

<<أين أنا؟>>.

<<هل قام هذا الآلي بسحق رأسي أم ما الذي حدث؟>>.

<<هناك بعض من الألم في مؤخرة رأسي.. هذا يعني أنني لا زلت على قيد الحياة>>.

فتحت عيناى لأجد نفسي جالساً داخل غرفة زجاجية ضيقة، بينما يقف أمامي ذلك الرجل الآلي البغيض وهو ينظر إلى بنفس النظرة الباردة.

أدركت رأسي في المكان لأجد على يميني رجلاً محتجراً، هو الآخر في زنزانة زجاجية بجواري ومقيد بقيود زجاجية، وجلس هو الآخر في الأرض لا يبدو عليه الاهتمام بكل ما هو حوله.

"(سليم) هل أنت بخير؟".

كان هذا صوت(نعماء) أتى من يساري، لالتفت إليها لأجدها هي الأخرى و(رامي) كل منهم محتجراً داخل زنزانة زجاجية مماثلة.

أومأت برأسي إيجاباً:

"أنا بخير.. هل فعل لكم ذلك الوغد أي شيء؟".

أشاحت برأسها نافية:

"كلا لقد اقتادنا لهذا المكان، وبالطبع لم نكن في حالة تسمح بالمقاومة نظراً لقوته وسرعته، التي أظن أنك اختبرتهم بنفسك".

تحسست رأسي موضع الضربة، وأنا أقول لها:

"لا أقدر سوي أن أقر بذلك".

نظرت من خلالها إلى (رامي) وأنا أسأله:

"(رامي) .. هل تعلم أين نحن؟".

هز كتفيه وهو يقول:

"لست أدري .. المفترض أنك من يعلم خريطة القاعدة القمرية بأكملها؛ لأن هذا مكان عملك فأنت مَنْ يجب أن نسأله أين نحن؟".

تأمل (سليم) المكان حوله، الذي لم يكن سوى غرفة غريبة التصميم لم يرها من قبل .. لأنه استطلع المكان كاملاً من قبل .. وهذه الغرفة ليست غرفة ثانوية .. هذا المكان لم يتم التوسع في إنشائه نظراً لتكلفته العالية؛ فكان المكان مقتصرًا على الغرف الضرورية فقط .. الغرف التي تحتوي على الأجهزة الرئيسية للتحكم وغرف الأجهزة الاحتياطية، وغرف المعدات والأدوات والإسعافات، وغرف ثانوية تحتوي داخلها على نظام التبريد الفائق، الذي تطلبه أجهزة المكان نظراً لعملها طوال الوقت دون توقف لم ير غرفة واحدة تشبه هذا التصميم أبدًا.

ولكن لفت نظره شيء غريب على الجهة المقابلة من القاعة، التي تم احتجازهم فيها عدة أجسام كروية زجاجية، ويحتوي كل منها على كرة في منتصفه تمامًا لونها أسود قاتم، وينبعث منها هي ومثيلاتها شبكة معقدة من الأنابيب المرنة والمتشابكة، التي تخرج وتدخل إلى تلك القلوب الكروية السوداء، وتظهر في داخلها عدة ومضات سريعة جدًا

أسطوانية الشكل وغير متماثلة، تخرج من تلك القلوب السوداء وتدخل منها بشكل يبدو أنه أقرب إلى الفوضى منها إلى تتابع يمكن للمرء ملاحظته.

ونظر إلى يسار هذه الأشياء ليجد شاشات عرض كبيرة تم وضعها، كانت تبدو أنها وضعت للمتابعة، يظهر داخلها صف طويل من الأعمدة المستطيلة المصفوفة على ثلاثة صفوف، ومنقسمة إلى نصفين وبين كل قسم عمود مستطيل، يوجد مكعب يبدو أنه مصنوع من الزجاج، ويبدو حجمه تقريباً في حجم كرة القدم الكبيرة، وداخله تتداخل الألوان ودرجات الشفافية فلا يمكنك الحكم عليه ما إذا كان فعلاً شفافاً أم معتماً.. إلا أنه كانت تتموج داخله بعض الأشكال الملونة الغريبة.. كما لو كانت..(سحب)!.. نعم إنها سحب صغيرة ملونة بمئات الألوان المتداخلة والمتغايرة، ويتطاير حول تلك المكعبات الكبيرة بخار لسوائل التبريد، التي في الغالب ستكون شبكة داخلية من النيتروجين السائل.

نظر(سليم) إلى (نعماء) و(رامي) قائلاً:

"لا أعرف هذا المكان لم أره هنا من قبل".

"أين نحن؟".

هتف(سليم) وهو ينظر إلى (شتودجارد) ليرد بصوته المعدني:

"لقد أفاق يا سيدي".

نظر(سليم) إليه مجدداً؛ ليحاول أن يرى ذلك الشخص الذي يخاطبه (شتودجارد)، ولكنه كان خارج مجال رؤيته للحظات إلى أن ظهر

الرجل أمامه بشكل مفاجئ من اليسار، واقترب بخطوات ثابتة تجاه زنزانتة، وهو ينظر إليه مباشرة بعينين زرقاوين حادتين، وبشرة شاهقة في البياض، ووجه حليق اللحية مبتسمًا قائلاً:

"سيد (سليم) مرحبًا بك".

"من أنت؟ .. وما الذي تفعله هنا؟ أنت غير مصرح لك بأن تكون هنا".

ابتسم (ريكارد) وهو يعيد تصفيف خصلات شعره إلى الوراء قائلاً:

"حسنًا أنا أقدر موقفك.. أنك تفاجأت بوجودنا هنا.. ولكن ليس بقدر مفاجئتنا بالفيروس الذي زرعتة أنت هنا داخل أجهزتنا".

بهت (سليم) لعبارة الرجل لعدة ثوان ثم تدارك نفسه وهو يراوغه:

"من أنتم؟ ومن الذي أعطاكم الحق بالتواجد هنا؟.. وأي فيروس الذي تتحدث عنه؟ أنا لا أدرك ما الذي تتهمني به ومن الذي أعطاك الحق لتفعل ذلك؟".

"نحن... أو يمكنني أن أقول.. أنا المالك الجديد للقاعدة القمرية، وهذا يجعل مني الشخص الذي يجب عليه مساءلتك لما اقترفته إلى الآن.. ولقد تسببت لي في الكثير من المتاعب بزراعتك هذا الفيروس، الذي قام بتعطيل نظام التشغيل، الذي تعلم جيدًا بأمره.. لأنك أنت الذي زرعتة هنا.. لذلك لا تحاول المراوغة.. أنا أعلم تاريخك وأعلم بخصوص استدعاء المخابرات لك بعد محاولتك لاختراقهم".

"لا تصدقوا هذا المأفون.. فهو يحاول أن يخدعكم".

هتف بهذا الرجل المحتجز على يميني، والتفت إليه لأجده نهض والتصق بزجاج زنارته وتجهم وجهه وهو يتابع:

"هذا الذي يقف أمامك هو رجل الأعمال (ريكارد فيرنر) إذا لم تكن تعرفه بالفعل.. وهذا المكان الذي نحن نقف فيه الآن هو مفاعل متطور قمت أنا ببنائه هنا تحت سطح القمر، ويقع مكانه أسفل القاعدة القمرية، التي تعمل أنت بها وهذا الوغد لا يمتلك شيئاً هنا.. إنه محتال ويحاول خديعتكم.. عليكم بإيقافه.. لا تجعلوه يصل لما يحاول الوصول له.. سيتسبب بكارثة قد تمحو المجموعة الشمسية بأكملها من الوجود.. لا تصدقوه".

التفت (ريكارد) وهو يبتسم بهدوء شديد ل(شتودجارد) وهو يهمس:

"هل يمكنك أن تحضره إلى هنا؟".

اندفع (شتودجارد) بخطوات واسعة سريعة؛ ليقف أمام بوابة الزناراة الزجاجية، وهو يضغط زرّاً خفياً في أحد جوانب الباب؛ لينزاح جانباً ويقوم مسرعاً بلكم الرجل في معدته لكمة قوية؛ انحنى على إثرها الرجل مرغماً من فرط الألم؛ ليقوم الآلي بحمله من وسطه بعد أن قام بإحاطته بإحكام بذراعه كما لو كان يحمل دمية في يده.

لقد كنت أتمنى أن ترى بعينيك نتيجة ما قمت ببنائه.. ولكن يبدو يا (أصف) أن القدر لا يوافق على أن تنال مثل ذلك الشرف".

قال(ريكارد) هذه العبارة وهو يدير رأسه تجاه (سليم)، ثم يقترب ويضع يده فوق كتف (آصف) قائلاً: "يمكنك أن تتركه هنا.. لا تنس فك أغلاله".

أمسك (شتودجارد) بيدي الرجل وهو يضغط عدة أزرار في الأغلال في تزامن؛ ليزيل أغلاله في عدة ثوان، ثم وقف منتصباً في وضع متحفز، وهو يرمق(آصف) بعينيه الزرقاء المربعة.

هتف(آصف):

"ما الذي تريده مني؟".

لم يستطع(ريكارد) مقاومة الابتسام وهو يشير إلى أسراه:

"أهذه هي النجدة التي كنت تنتظرها؟.. إنهم الآن أسرى.. هل رأيت أنني لا يمكن لأى شيء أو أي شخص أن يمنعني من الوصول إلى ما أريد؟".

"العبرة بالنهاية يا (ريكارد).. النهاية لم تحن بعد".

تلاشت الابتسامة من وجه(ريكارد) وحل بدلاً منها التعبير بالجدية وهو يقول:

"أعتقد أنها حانت الآن يا (آصف)".

التفت إلى حارسه المعدني هاتفاً في غضب:

"(شتود).. تأكد من أن مكان السيد (أصف) الجديد يروق له.. يمكنك اصطحابه إلى هناك بكل هدوء".

التفت (أصف) إلى (سليم) هاتفاً:

"امنعه من أن يصل إلى هدفه.. عليكم أن تمنعوه.. سوف يقضي على الجميع.. أنتم الأمل الآن في إيقافه.. أوقفوه عن جنونه الذي سيرتكبه بحق عالمنا".

رافقه (شتودجارد) خارج المكان و(نعماء) تسأله في حدة:

"أيها اللعين.. ما الذي ستفعله به؟".

التفت إليها (ريكارد) كأنه أول مرة يراها؛ لبيتسم وهو يقترب منها:

"لا شيء.. سيحتجزه في مكان آخر كي يتاح لنا الحديث بهدوء دون أن يقاطعنا".

هتف (سليم):

"من هذا الرجل؟".

سأله (ريكارد) متعجباً:

"ولماذا تهتم؟".

هز (سليم) كتفيه مندهشاً من التساؤل:

"ألا تظن أن إصدارك حكم الإعدام على أحدهم، الذي وضعته أنت داخل كل هذه الظروف الاستثنائية باحتجازك له على سطح القمر يستحق التساؤل؟".

اقترب (ريكارد) من زنزانة (سليم) قائلاً:

"هذا مثير للاهتمام بالفعل.. ولم ظننت أنني سأقتله؟".

"لا بد وأنك ستفعل.. لا تقل لي أن ملامح الغضب، التي علت وجهك عندما وجه حديثه لنا كانت من فرط تعاطفك مع الرجل".

ظل (ريكارد) يرمق (سليم) بنظرة تحدي ثم علت وجهه ابتسامة متسعة وهو يرد:

"لن أقتله.. لا تقلق.. ولكن...".

مال تجاه (سليم) وهو يستطرد:

"لم أحسم أمري فيما سأفعله بكم.. ماذا ترى؟.. هل أقتلكم؟".

"لا تحاول التظاهر بأنك لن تفعلها".

هنا هتف (رامي) مدعوراً:

"ماذا؟.. ولماذا ستفعل هذا؟.. ليس لنا ذنب بالتواجد هنا.. يمكننا أن نغادر، وسوف نقسم ألا نخبر أحداً بما رأيناه هنا.. نحن في الأصل لم نشاهد أي شيء بالفعل.. ولكن أرجوك لا تقتلنا.. لا أريد أن أموت.. أرجوك".

التفتت(نعماء) إلى (رامي) وهي تنظر إليه بازدراء، بينما عادت ببصرها لتتابع (سليم) و(ريكارد) والثاني يرد ببرود:

"ما الذي يجعلك تتأكد أنني سوف أفعل هذا؟.. يمكنني ببساطة أن أطلق سراحكم مثلما يريد زميلك المذعور".

"أجل أرجوك.. أطلق سراحنا.. دعنا نذهب من هنا.. (سليم) اصمت، ولا تكون أحمق.. سوف يتركنا الرجل نذهب لحالنا.. لا تحاول لعب دور البطولة ودعنا نغادر سالمين".

"أنت لن تفعلها".

تساءل(ريكارد):

"أتعني أنني لن أطلق سراحكم؟ أم أنني لن أقتلكم".

"بالطبع سوف تقتلنا.. ولكن لِمَ الانتظار؟".

ظلت(نعماء) تتأمل الاثنين، كانا يبدوان أمامها كنوعين مختلفين من الأفاعي، التي تتصارع على فريسة، وليس رجالاً باطشاً يحتجز من لا يمكنه فعلياً أن يفعل أي شيء لإنقاذ نفسه.

>>ترى ما الذي يدور في رأسك الآن يا (سليم)؟.. ما الذي تحاول أن تفعله؟<<.

"حسنًا.. أنا أحب ألا أتعجل التفكير في مصير الأشياء.. وأنتم لم أحدد بعد ما الذي سوف أفعله بكم.. ومتى سأفعله.. لذلك لِمَ العجلة؟ إذا ما كنت سأقتلكم بالفعل.. هل سيشكل هذا فارقاً لك؟".

"أنا دومًا أكره الانتظار.. إذا كنت سوف تقتلني فأفعلها الآن".

"هل تعلم.. لا أحب في العادة أن يمليني أحدهم ما يتوجب علي أن أفعله، ومتى أفعله لذلك.. لماذا لا تهدأ وتنتظر مصيرك هنا بكل هدوء وسكينة؟".

"إذن.. لم لا تخبرني ما حقيقة وجودك هنا في هذا المكان؟".

كان(ريكارد) بعد أن ألقى عبارته الأخيرة قد تحرك بالفعل، ولكن تسأول(سليم) الأخير أجبره على أن يعود إليه حاملاً نفس النظرات الحادة:

"وما الذي يهكم في هذا؟".

"لابد وأن يهم المرء معرفة السبب الحقيقي وراء مقتله.. ألا ترى معي أننا نستحق ذلك؟ طالما سنموت فلنعلم لماذا على الأقل؟".

"أنت على حق... حسنًا.. سبب تواجدي هنا هو أنني ببساطة، وبمساعدة هذا الأحمق، الذي رأيتموه سوف أشرف على إنتاج أول مصدر من مصادر الطاقة النظيفة، الذي سأدخل عبره وأحتكر سوق الطاقة من الآن، وربما إلى الأبد وبلا منازع.. المادة ومضاد لها.. نقوم هنا بتحضيرهم بطرق تحضير مختلفة عما كانوا يفعلونه فيما مضى.. الأمر بالفعل يعتبر ثورة هائلة في عالم صناعة الطاقة".

"يبدو أنك أعددت لهذا الأمر منذ مدة".

"منذ ثمان سنوات.. ولقد بذلت وما زلت أبذل من أجلي الكثير والكثير".

"إنني معجب بتفانيك في عملك.. ولكن اسمح لي.. ماذا عن إنك ربما تدمر ربما كوكب الأرض بأكمله بتفاعل في الفضاء غير محسوب التأثير، كما أشار ذلك الرجل، الذي كان معنا هنا منذ عدة دقائق... ماذا عن ذلك؟".

ابتسم (ريكارد) وهو يقول في جدل:

"إن تأثير الأمر لن يطال فقط كوكب الأرض.. على أسوأ تقدير سوف تنتهي المجموعة الشمسية الخاصة بنا عن آخرها.. ألم تستمع إلى (أصف) وهو يحذركم؟".

هنا لم تحتمل (نعماء) نبرته الفرحة تلك فهتفت في حلق:

"وأنت تريد أن تسحق مجموعة شمسية بأكملها من أجل تجربة علمية؟!".

"كلا.. لقد قلت لكم أن هذا هو أسوأ تقدير لمجريات الأمور.. إما إذا لم يحدث هذا وبقي كوكبنا سليماً معافياً.. فما سيراه كل البشر فوق سطحه سيجعلهم وبلا تردد يدينون لي بالولاء والطاعة.. عندها ستتضاءل كل الأسلحة التي طورتها البشرية، وتركع ذليلة أمام فيض صافي جارف من الطاقة يمكنه أن يمحي الأرض ومن عليها في غضون ساعات.. وركوع الأسلحة يعني بالتبعية ركوع أصحابها".

"أنت إذن أحد هؤلاء المجانين الذين تستهويهم تلك الفكرة الحمقاء مراراً.. إن تحكم العالم بالقوة".

ردت عليه(نعماء) بتلقائية ليتحول وجهه إلى الغضب المستعر وهو
يصرخ في وجهها:

"إياك أن تناديني بالمجنون مرة أخرى.. أنتم المجانين.. أنتم الجبناء
الذين لا تحسنون استغلال الفرص حولكم.. لذلك تستحقون أن تكونوا
نتاج لتجارب الآخرين بكم.. من هم أشجع منكم بمئات المرات.. مثلي..
لقد قمت بما لا يصدق عقل؛ لكي أصل إلى هذا الهدف.. هل تعلمي
الطائرات التي سقطت منذ يومين.. أنا الذي أسقطتها بتدبير محكم
وعقري لإيقاف الرحلات الفضائية حتى الانتهاء من التجربة... بينما
امتلك في جيوبي المسؤولين عن التحقيق في أسباب هذا الحادث؛ لكي
لا يعلم أحد السبب وراء سقوط هذه الطائرات".

سأله(سليم):

"وكيف استطعت إسقاط كل هذا العدد في هذا الوقت؟".

ابتسم(ريكارد) وهو يجيب:

"قنابل كهرومغناطيسية محمولة محدودة التأثير قمت بزرعها على متن
الطائرات.. قمت بدسها في هواتف الركاب المحمولة بحجة أنها
بطاريات إضافية للهواتف.. وأقنعت اثنين وعشرين راكباً بأنها قطعاً
إلكترونية تستخدم للتنصت سيقومون بتفريغها مقابل مبلغاً سخياً، ولا
يعلم أيهم أن ما حملوه معهم كانت قنابلأ أدت إلى مقتلهم".

ثم أتبع العبارة الأخيرة بأن انفجر ضاحكاً:

"الأغبياء.. لقد كتبوا نهاياتهم بأيديهم".

ثم التفت إليهم وهو يتأملهم داخل الزنازين الزجاجية قائلاً وضحكاته
تزداد قوة:

"مثلكم أنتم بالضبط.. لقد أتيتم بأنفسكم من أجل نهايتكم.. يا لسذاجتكم".
قهقهه في قوة وهو يندفع خارجاً من الغرفة، وما زالت أصوات ضحكاته
تصل إليهم، بينما التفت (رامي) إلى (سليم) صائحاً:
"أيها الوغد.. هل أنت راض الآن بما أوصلتنا إليه؟ سيقوم بقتلنا
جميعاً".

انتظر (سليم) إلى أن غادر (ريكارد) المكان تماماً، وظل منتظراً لدقائق
وهو يدير عينيه في المكان متجاهلاً (رامي) تماماً بينما سألته (نعماء):
"عما تبحث؟"

"لا شيء.. إنني فقط أتأمل المكان ليس أكثر".
" (سليم) ليس هذا وقت الألغاز.. أخبرني ما الذي ستفعله؟".
توقف عن البحث بعينيه وهو ينظر إليها:
"إذا كنت سأفعل شيئاً ما.. سأخبرك... ولكن يبدو أنه ليس لدينا هنا
الكثير للأسف".

<<نبرة كلامه تخالف معناها.. لا بد وأنه يخفي شيئاً ما>>.

"هل ما قاله هذا الرجل صحيحاً؟".

"ماذا قال؟".

"أنك قمت بزراعة فيروس هنا ليقوم بتعطيل الشبكة القمرية؟".

توقف عن البحث مجددًا، وهو ينظر إليها مرة أخرى:

"هل يمكن أن يكون هذا بأي حال من الأحوال الوقت المناسب لمناقشة أمرًا مثل هذا؟ الرجل على وشك أن يقتلنا.. ما الذي دهاك يا (نعماء)".

"لقد راقبت وجهك وملامحك عندما ذكر لك هذا الأمر.. لقد شحب وجهك وظهرت عليك علامات القلق عندما واجهك بذلك.. لذا سأسألك مجددًا.. هل هذا صحيح؟".

صاح(سليم) فيها:

"ليس هذا وقته.. إن كان هذا صحيحًا من عدمه فلن يكون هذا الوقت المناسب لمناقشة مثل ذلك الاحتمال، سوف نموت هنا.. توقفي عما تفعلينه الآن".

>>الآن هي تريد التأكد من شيء كهذا؟.. ومتي قبيل مغادراتنا إلى الآخرة.. هل أصابها الجنون؟!.. هيا يا(سليم) فكر.. استخدم عقلك.. كيف يمكنك الخروج من هذه الزنزانة؟.. لقد فتحها هذا الآلي اللعين من الخارج بزر لفتح الباب عندما أخذ ذلك المسكين ليلقي حتفه.. لا بد وأن لها مخرج آخر فكر بعناية وستصل إلي ذلك المخرج البديل لحظة واحدة.. كيف يأتي الهواء إلى الداخل إذن؟ ثلاثتنا هنا وكلنا غير مرتديين لخوذاتنا هذا يعني أننا نتبع شبكة تهوية داخلية، وهي مصممة لتضخ الأكسجين أيضًا.. وحيث أن هنا الزنزانة من أسفل الأرض إلى

أعلى سقف الغرفة، فلا بد وأن منافذ شبكة التهوية تقع إما في الأسفل في أرضية الزنزانة أو في الأعلى ..<<.

نظر إلى الأسفل بين قدميه وانحني؛ ليحاول فحص الأرضية، في محاولة للبحث عن أية ثقوب أو شبكات تم تثبيتها هناك؛ فلم يجد.. مجرد أرضية مصمتة ليس أكثر.

"(نعماء).. كيف وصلتكم إلى هنا؟".

"ماذا تعني؟".

"لقد اقتادكم الرجل الآلي إلى هنا.. من قاعة التحكم الرئيسية.. فكيف كان خط سيركم؟".

"لقد سار بنا إلى حيث كان هناك باب مصعد داخلي، وهبطنا جميعًا بواسطته إلى هنا".

>>إذا كان ذلك المبني يقع أسفل القاعدة القمرية، ومربوط به؛ فربما تم تصميم شبكة التهوية الخاصة به تابعة كامتداد للمبني الخاص بنا.. لا يوجد أية احتمالات أخرى.. مبني بهذا الحجم إذا كان بجانب مبنانا لابد أن يكون له أثر.. لا يمكن أن تكون قاعة بمثل هذا الحجم، تم حبسنا داخلها ولا تظهر للعين المجردة عند الهبوط على سطح القمر.. معني ذلك أنه إذا استطعت دخول شبكة هذا المبني ربما يمكنني هذا من الوصول لمبنانا>>.

قام(سليم) بالقفز بقدميه ليتعلق بجسده وقدميه كل منهما مثبتة على أحد جداري الزنزانة الزجاجية.. فقام بالقفز إلى أعلى عبر مرفقيه وقدميه؛ ليرتفع جسده ببطء إلى قمة الزنزانة كما لو كان دودة عملاقة زاحفة.

وصل إلى قمة الزنزانة بعد جهد مضنٍ وهو يفحص قمتها.. قام باستخدام يديه بسرعة بإزالة غطاء شبكة التهوية، ثم ألغاه أرضاً نتيجة لثقله، وكبر حجمه؛ ليصدر دويًا هائلًا، ثم قام بالتسلق عبر الفتحة؛ ليدخل شبكة التهوية بجسده و(نعماء) تهتف:

"إلى أين تذهب؟".

مال برأسه من الفتحة وهو يقول لها:

"سأحاول أن أجد طريقًا لمبانا الرئيسي ربما أستطيع تحريركم".

قالها ثم عاد ليختفي داخل فتحة التهوية، التي كانت مثلها كمثل أي شبكة أخرى، يتم إنشاؤها إلى أن هذه كان قطرها أكبر؛ نتيجة لأنها يتطلب منها أن تقوم بتزويد المكان بكميات كبيرة من الأكسجين والهواء البارد وليس التبريد فقط مثل مثيلاتها على الأرض..

ظل يزحف لمسافة تقترب من مائة متر حتى وجد الأسطوانة ترتفع إلى الأعلى بشكل تدريجي.. هذا يعني أنه يرتفع إلى المصدر الخاص بالتبريد؛ وهذا يؤكد كلام الرجل أن هذا المبني تم إنشاؤه تحت مبني القاعدة القمرية.. تسلق مجددًا الأسطوانة العليا، وبدأت أنفاسه تثقل نتيجة لدرجة الحرارة الباردة للغاية المحيطة به، نظر إلى المكان حوله حتى رأى ضوء ينبعث من إحدى الفتحات العليا أمامه؛ فزحف تجاه مصدر

الضوء في حذر، وهو يتأمله في حذر، ثم نظر عبر الشبكة التي ينبعث منها هذا الضوء .. لييري أنه يقف فوق إحدى غرف تخزين الأدوات الإضافية في المبني الرئيسي..

>>كانت نظريتي صحيحة.. لقد ربطوا شبكتي التهوية ببعضهما، وأقاموا المبني السفلي ملاصق للمبني العلوي، ولا يبعد عنه سوي أمتار معدودة إلى الأسفل لكيلا يلاحظ أحد وجوده>>.

قام بإزاحة الغطاء المؤدي إلى هذه الغرفة وهو يتفقدتها في حذر.

>>لو كانت كاميرات المراقبة الموجودة أمام الزنازين تعمل بالفعل؛ لقام بمنعي من الهرب.. ولكن كما توقعت من الذي سيقوم بتثبيت كاميرات مراقبة فوق سطح القمر؟.. من الذي سيأتي إلى هنا ويحتاج أحدًا ليراقبه؟.. مستحيل بالطبع!.. وفي نفس الوقت إذا ما تم تثبيتها لمراقبة مسجون أو عدة مساجين هنا .. إلى أين سيفرون؟ مهما ذهبوا فسوف يظلون سجناء المبني في النهاية.. إن هذه الكاميرات الغرض منها هو إثارة الرعب ليس أكثر من ذلك>>.

تأكد من أنه لا يوجد أحد داخل الغرفة، ثم قام بالانزلاق بقدميه إلى الأسفل؛ ليهبط فوق أرض الغرفة المصممة من اللدائن الصناعية، وأصابه ارتطام قدميه اللتين تحولتا إلى لوحًا ثلجيًا بالآلام في أطرافه من فرط برودتهم.. قام بفرك يديه بعضهما البعض ليحاول تدفئتها.

>>الآن ما الذي يجب فعله؟.. يجب أن أوقف هذا الوغد، وأن أتغلب أيضًا على هذا الآلي المنيع الذي معه.. على الرغم من كل هذه المعالجات التي تم تزويده بها إلا أن صاحبه لم يهتم بتدريبه كما هو

متوقع.. فذكاؤه الاصطناعي على هذا القدر يعتبر ضئيلاً جداً.. ربما كانت هذه ميزة يمكنني استخدامها <.>

سمع وقع خطوات ثقيلة بالقرب من باب الغرفة.. وهو يعلم هذا الوقع جيداً.. إنه (شتودجارد).

<>اللعنة هل أرسله (ريكارد) ليبحث عني؟.. اللعنة يجب على أن أتصرف بسرعة<.>

همس (سليم) حانقاً:

"كيف استطاع معرفة مكاني؟".

نظر حوله في سرعة ليبحت وسط الأدوات المتواجدة لديه عن أي أداة يمكن أن يدافع بها عن نفسه ضد هذه الكتلة المعدنية الخرقاء.

قام بالتقاط إحدى الأسطوانات المعدنية التي كانت تستخدم في إنشاء المواسير.. حاول أن يحملها رغم ثقل وزنها وقام بالوقوف بجانب الباب في وضع لا يمكن لمن يدخل أن يراه.

سمع خطوات (شتودجارد) تقترب وتتوقف أمام الباب ثم امتدت يده وفتح الباب، وما أن خطت ساقه الأولى داخل المكان حتى هاجمه (سليم)، وركل الساق الأولى إلى الأمام لكي ينزلق ثم قام بحشر الأسطوانة ما بين ساقَي (شتودجارد) فلا يوجد أمامه مفر؛ لكي يحافظ على اتزانهِ وبالفعل سقط الآلي وتعرثر نتيجة للوضعية المستحيلة بالنسبة له على تفادي السقوط، مع وجود الأسطوانة بين قدميه.

فتجاوزه (سليم) بقفزة واسعة، وهو يلتقط إحدى أسطوانات إطفاء الحريق المعدنية الثقيلة، وهو يقوم باستخدامها الأول في وجهه؛ لكي يقوم السائل الرغوي الأبيض داخلها بإغلاق مجال رؤية الرجل الآلي، بعد أن تغطي وجهه بأكمله بالسائل الكثيف، ثم إنهال (سليم) علي مفاصل الآلي بكل قوته ليحاول تحطيمها باستخدام الأسطوانة؛ فانهال في البداية على ركبتيه، ثم عاود ضرب عنقه ومرفقه الأيسر بالأسطوانة؛ لكي يحاول تعطل ساق أو ذراع .. عندها يمكنه أن يتغلب على الآلي بمنتهى السهولة، ولكن هيهات...

لقد طوروه فعلاً، وأول ما قام به (شتودجارد) أن قام بتنظيف رأسه ليسمح لمجال رؤيته أن يحدد أين مصدر التهديد، ثم نهض بشكل مفاجئ ودون حتى أن ينظر تجاه (سليم) كانت أجهزة الالتقاط الدقيقة داخله قامت بتحديد موقعه بدقة، وسددت يده لكمة خاطفة سريعة جداً لفك (سليم) لم يستطع توقعها، ومن فرط قوتها وإحكامها أطاحت به في الهواء؛ لتدفعه عدة أمتار إلى الخلف، بعد أن وجد فكهُ السفلي يصطك بفكهِ العلوي، واشتعل رأسه بآلام حادة ودوار قوي، بينما أحس داخل فمه بطعم الدماء.. فحاول النهوض وهو يبصق على الأرض بعضاً من الدماء بطعمها المعدني المميز؛ ليجد أن (شتودجارد) يقف ثابتاً عاقداً ذراعيه ينتظره لكي يفيق من اللكمة..

ما أن استقر (سليم) على قدميه؛ حتى قبضت أصابع (شتودجارد) على عنقه، وهو يحمله بذراع واحدة، بينما يكيل بالذراع الأخرى عدة لكمت قوية لمعدته أحس معها (سليم) أن أمعاءه تنسحق داخل بطنه من فرط قوة اللكمات وسرعتها.

تأوه (سليم) وأنفاسه تتسارع وقد شعر بأن هذه هي النهاية... أن يعتصر
الآلي عنقه أو يحطم رأسه .. فيتوقف قلبه ويرسل إليهم في القاعدة
الأرضية إنذارًا بأن أحدنا قد مات؛ فيقوموا بإرسال فرق الإنقاذ عليها
تستطيع إنقاذ (نعماء) و(رامي) هذا هو أفضل شيء لابد له وأن يحدث..
لا ذنب لأحد منهما في أن يؤذى.

على عكس ما توقع.. وما كان متحفظًا له.. لم ينقبض قلبه.. ولم يمر
شريط حياته سريعًا أمام عينيه .. يبدو وأن هناك شيئًا ما لا يزال عليه
الحدوث، ولا يزال عليه أن يشاهده قبل موته.

نظر إلى (شتودجارد) صارخًا:

"هيا... ما الذي تنتظره.. هيا .. اقتلني .. هيا يا (ريكارد).. هذا ما
تنتظره منذ البداية.. يمكن لرجلك الآلي أن يقتلني الآن.. لقد سئمت
الانتظار.. افعلها الآن".

أتى صوت (ريكارد) عبر جهاز الاتصال المثبت داخل (شتودجارد):

"حسنًا.. سوف أفعل هذا.. ولكن ليس الآن.. لا تتعجل موتك يا
صديقي.. أنت طلبت وتمنيت.. وأنا وجب علي الوفاء بأمنيتك هذه..
ولكن ليس الآن".

<>ما الذي ينتظره هذا الوغد؟>.

"لماذا ليس الآن؟".

"لأنني كما ذكرت لك من قبل.. لا أحب أن يملي أحدهم علي ما أفعله".

"كلا.. ليس هذا هو السبب.. هناك ما يمنعك من أن تقتلنا.. أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك".

أتاه صوت (ريكارد) مستنكراً:

"من هذا الذي لا يستطيع قتلکم؟! ..".

"ما تفعله الآن من الانتظار والمماطلة تكشف لي الكثير.. تكشف أنك لا تستطيع قتلنا.. أنت فقط تتباهي أمامنا بقدرتك على فعلها.. في حين أنك لا تستطيع فعلها.. يبدو أنك لا تزال صغيراً على إراقة كل هذا الكم من الدماء".

استفزت عبارته (ريكارد) فهتف بحق واضح:

"من هذا الذي تدعوه بصغير على إراقة الدماء؟!.. لقد قتلت اليوم فقط ما يزيد عن ثلاثة آلاف شخص فقط في حوادث الطائرات التي أسقطتها.. ألم تري كم الحقائق السوداء التي كانت متناثرة في أماكن التحطم؟!.. أنت الذي لا تعرف بعد كيف يكون شكل إراقة الدماء أيها الصغير".

<>أيها المريض اللعين.. إنك تتباهي بقتل كل هؤلاء!<<..

"إن فأنت تتباهي بقتل كل هؤلاء.. أنت تفتخر بعملك هذا أليس كذلك؟".

شعر بالإجابة مصحوبة بابتسامة فخر:

"بالطبع.. ولن أتورع عن قتل المزيد في سبيل الوصول إلى أهدافي".

"يخيل لي أنك تكذب يا سيد(ريكارد).. وما أظنه فعلاً أنك لم تقتل أي أحد مما ذكرتهم".

"هل تعتقد أنني أخلق كل هذا من مخيلتي؟ كل ما ذكرته لك أوكد لك أنه حقيقي".

"إذن ما الذي يمنعك الآن من قتلي؟.. لابد وأنك خائف مني إذن".

أنته ضحكات عصبية عبر جهاز الاتصال و(ريكارد) يرد:

"أنت تحاول استفزازي لكي أقتلك.. لم تفعل هذا؟".

"أنت في جميع الأحوال ستقوم بذلك.. لم ليس الآن؟.. هذا سؤال يبعث على الحيرة فعلاً.. وأود أن أعرف إجابته".

"حسنًا.. أنت تريد الموت.. سأجعلك تتمناه ولا تجده".

أصدر أوامره (لشتودجارد) بالطبع خارج جهاز الاتصال فقام الآلي بتكيبيل(سليم)، ومنع أطرافه من الحركة، وحمله مثلما حمل (أصف) منذ قليل، وسار به ليصل إلى مكان المصعد الداخلي، الذي يوجد في آخر ركن في المبني.. آخر حائط الذي يفترض أنه خلفه لا يوجد شيء.. تم تصميم عدة درجات لا يمكن تمييزها وإخفائها ببراعة شديدة داخل المكان؛ حتى أن من يستخدمها لابد وأن يعلم أنها هنا...ضغط زر المصعد ثم قام بفتح بابيه الأسطواني الشكل، بينما لم يحاول التخلي عن(سليم) وهو يكبل حركته تحت ثقل ذراعه المعدني الهائل، واستقل الاثنان المصعد الخفي ليهبطا عدة أمتار ما يمكن أن يوازي ثلاثة أو أربعة طوابق إلى الأسفل، ثم خرج (شتود) سائرًا بحمله إلى مكان البهو

الواسع، الذي توجد في أحد جوانبه الزنزانة، التي تم احتجازه فيها وقام بالقاء (سليم) عاليًا؛ ليسقط من ارتفاع يقارب المترين ونصف على الأرض وهو يتأوه من السقطة صارخًا فيه:

"أيها الوغد.. افعلها الآن يا (ريكارد) إن كنت تجرؤ على فعلها فعلاً".

تفاجأ (رامي) و(نعماء) بجسد (سليم) يلقى أمامهما بشكل مفاجئ، بينما يتبعه (شتودجارد) بخطوات واسعة إلى داخل المكان.

أتاه صوت (ريكارد) مجددًا عبر جهاز الاتصال، بينما يحاول (سليم) النهوض و(ريكارد) يهتف:

"أريدك أن تمر بأقصى تجربة سوف تعيشها في حياتك قبيل أن تموت.. (شتودجارد) .. أعطه ال(ديرمافال)"

توقف (شتودجارد) على بعد عدة أمتار، وهو يمد ذراعه كما لو كان يصوبه تجاه (سليم)، وانفتح من ذراعه شكلاً كما لو كان نصف أسطوانة، وظهر منها ما يبدو في شكله الظاهري أنه محققاً طبيًا قام (شتودجارد) بتوجيهه.. بينما تحفز (سليم) لكي يتحرك عند الإطلاق؛ لكي يستطيع الإفلات من هذا المحقن الذي لا يدري ما الذي سيفعله به.. ظل (شتودجارد) يراقب (سليم) ولا يحاول أن يفعل شيئاً للحظات، ثم أعاد التصويب مجددًا إلى نقطة قريبة، وهو يطلق محققاً؛ لينحني (سليم) ويلقي بجسده في الجهة المعاكسة من المحقن المنطلق كالرصاصة.. ولكن ما فعله الرجل الآلي هو أن قام بتحديد مكان (سليم) بأن جعله يقفز إلى مكان محدد؛ لينطلق المحقن الثاني بمجرد أن استقرت قدما (سليم) فوق الأرض في المكان الجديد، الذي قفز إليه تفادياً

للمحقن الأول، الذي لم يكن هدفه إصابته بل كان هدفه خديعته ليس أكثر لكي يتخلى عن تحفزه ...

أصاب المحقن الثاني (سليم) في عنقه، وهو يحاول أن يفر منه، ولكنه لم يستطع - وهو يشعر بتصلب في جسده بأكمله لم يستطع معه حتى أن ينتزع المحقن من عنقه، وهو ينغرس بإبرته الطويلة داخل عنقه وعلى الرغم من الشعور بالألم الحاد المفاجئ.. إلا أنه سقط أرضاً بلا حراك ولم يحاول حتى انتزاع المحقن.

"لقد تمنيته.. وسوف يأتي لك.. وبأشع وسيلة يمكنك تخيلها".

أتى صوت (ريكارد) متبوعاً بضحكاته البغيضة المتعالية فسألته (نعماء) مذعورة:

"ما الذي فعلته به؟.. ما الذي أعطيته له؟".

"لا تقلقي يا عزيزتي.. لقد أعطيته أحد أفضل العقاقير التي تم تطويرها في غضون العشر سنوات الأخيرة.. إنه (ديرمافال).. عقار يقوم بإنشاء رد فعل تحسسي داخل الجسد؛ ويؤدي إلى تساقط الجلد في كافة أنحاء الجسم.. ولك أن تتخيلي كم الآلام التي سوف يشعر بها، ما أن يبدأ جلده بالتساقط من جسده.. سوف يتلوى مثل الثعبان بالضبط.. ثم يهاجم العقار بعدها المعدة، ويقوم بحثها على إفراز كميات هائلة من الحمض لا يتحملها جدار المعدة.. فتبدأ المعدة بنفسها بإنشاء قرحاً صغيرة تزداد بمرور الوقت حتى تهضم جزءاً كبيراً من نفسها؛ فيتسرب الحمض إلى باقي الجسد.. ويصاب بعده بصدمة تسممية ثم سيكون محظوظاً إن دخل

في غيبوبة.. ليموت بعدها بوقت يسير بأشع صورة يمكن للمرء أن يتصورها".

نظرت (نعماء) وتبدلت ملامحها إلى فرع رهيب مما ذكره (ريكارد)، ظل جسد (سليم) هامدًا بلا حراك سوى صدره الذي يصعد ويهبط بشكل متسارع.. استطاع بعد عدة لحظات أن يحرك يده اليمنى بصعوبة، وهو يمدّها تجاه عنقه من أجل أن يزيل المحقن ببطء شديد.. الأمر الذي أدّى إلى تضاعف الألم الناتج عن اختراق المحقن لعنقه؛ ليلقيه في النهاية بعد نجاحه في انتزاعه على الأرض جانبه، وهو يحاول أن يعتدل بجسده، ولكن كانت الحركة البسيطة في أن يستدير بجسده فقط مؤلمة للغاية، بينما يحاول جسده التعافي من توقف عضلات جسده عن الحركة بسبب المهدئ المزود به المحقن.

استند (سليم) على الأرض وهو يقاوم غير مصدق أنه لا يستطيع النهوض إلا ببذل مجهود خارق؛ لكي يستطيع أن يحافظ على توازنه.

ظل هكذا لمدة دقيقة كاملة يحاول أن يحافظ على اتزانه لتسأله (نعماء):

"(سليم).. ما الذي تشعر به؟".

حاول أن يستند على أي شيء إلا أنه كان يقف في منتصف الغرفة، فلا يوجد ما يمكنه أن يستند عليه؛ فتقهقر جسده مرة أخرى وهو يحاول جاهدًا أن يظل واقفًا على قدميه، ثم بدأ يترنح وهو يتحرك تجاه (نعماء) قائلاً:

"أنا بخير.. إنه فقط.. أشعر بأنه.. كما لو أن أحدهم.. أشعر كما لو أنني أحترق من الداخل".

قالها ثم التفت إليها، وبدأ عليهما هي و(رامي) - ما أن اطلعا على وجهه - أنهما صعقا مما رأياه؛ كان وجه (سليم) قد استحال للون الأبيض الشاحب كما لو أنه أصبح من الأموات.

الأمر الذي بالطبع أثار رعب كل من(نعماء) و(رامي) فهما لم يسبق لهما أن رأيا ميثًا يستطيع التحدث، بل ويقف أمامهما مترنحًا وهو يسألهما.. لم تنظران لي هكذا؟!!

هتف(رامي):

"(سليم).. ربما عليك أن تستريح قليلًا".

كان يشعر بوهن غير طبيعي، كما لو أن أحدهم بالفعل يسحب من داخله روحه رويدًا رويدًا.. وهناك في داخل جسده لهيب لا يدري مصدره..

بدأ الشحوب الذي اكتسي به وجهه يزول ويستبدل بلون آخر غريب، ما بين اللون الوردي الغامق ولون بشرته البيضاء الطبيعي.

هتفت(نعماء):

"(سليم).. انظر إليّ".

نظر إليها(سليم).. لم يدر ما الذي يمكن أن تكون رآته هي؛ ليعلو وجهها نظرة الرعب التي رآها، بينما قالت وهي تطرق باب الزنزانة بعنف صارخة:

"رباه.. أي سم حقنك إياه هذا الشيطان؟".

ثم تابعت:

"افتح لي هذا الباب اللعين أريد أن أقيس مؤشراتته الحيوية".

هنا عاود صوت (ريكارد) في الظهور مجددًا عبر الاتصال اللاسلكي:

"للأسف لا يمكن أن أنصحك بفعل هذا.. فإن لامسته يديك دون قفازات سميكة فسوف ينتقل السم عبر الجلد إليك أيضًا".

شعرت (نعماء) بالعجز وهي تنظر إلى (سليم)، وهي لا تستطيع أن تفعل أي شيء، بينما بدأ تظهر فوق جانبي وجهه بعضًا من القرع الجلدية الدائرية الشكل، ووجهه يستعيد لونه، ويبدو كما لو أنه ظل في الشمس لفترة والتهب، بينما حاول هو الكلام فلم يستطع بعد أن شعر بتقلصات فظيعة في معدته، فركع جانبًا لأجل أن يتقيًا من فرط الانقباضات العنيفة التي تعصف بأمعائه.

ظل يتقيًا لمدة جاوزت الدقيقة بقليل، ثم استلقي على الأرض وبدأ ينتفض بعنف.. كان يشعر بأن أحشائه تشتعل.. وهذا الشعور تتزايد حدته دقيقة تلو الأخرى، ويبلغ الألم الذي كان يسري في الجسد بأكمله حدًا لا يمكن أن يتحملة بشر.

نهض سريعًا وهو يقوم بخلع بذلته الفضائية بعنف، وبشكل هستيري ويلقيها أرضًا.. بدا الأمر كما لو كانت مشتعلة بالنيران التي تحرق

جسده.. بالطبع كان جلده متهيجًا تمامًا.. الأمر الذي معه لم يحتمل أي شيء يرتديه فوق جسده؛ حتى بدأ جلده ينسلخ عن جسده..

كان هذا في أشده عند قيامه بانتزاع القميص، الذي يرتديه فوق جسده مباشرة، عند قيامه بانتزاعه نتيجة لعدم احتمال له لمدي حرارة جسده والتهابه، قام القميص بانتزاع الجلد الملاصق له من صدره وذراعيه وعنقه، وبعضاً من الجلد الذي أصبح ذابلاً من وجهه.

صرخ (سليم) صرخات متواصلة تنم عن كم هائل من الألم، الذي يسري في داخله.. كانت الآلام تفوق الوصف أو الاحتمال.. أن يتم انتزاع جلدك بعد التصاقه بملابسك ولا تستطيع أن تتحمل أي شيء فوق جسدك، وجلدك الملتهب لا يزال حيًا لم ينفصل عن جسدك بشكل كلي.. لا هو ذبل فسقط من تلقاء نفسه ولا هو قاوم الانتزاع.. شعور بالآلام رهيبة تفوق الاحتمال أدت بـ(سليم) إلى أن تتواصل صرخاته وهو يسقط على الأرض، ويتلوى من الألم لقد كان(ريكارد) يقتله ببطء.. يمتص منه الحياة ببطء.. ويستمتع بفعل ذلك..

"أيها الوجد اللعين.. أيها الوجد".

صرخت(نعماء) في انهيار وهي تنظر إلى جسد (سليم) الذي تكوم على الأرض والدماء تسيل من فمه مع بداية تهيج المعدة وتقرحها، بينما كان هو غير قادر على التفوه بأي كلمة، واستحالت أجزاء كثيرة في جسده - التي انتزع منها الجلد للون الأحمر المميز لعضلات الجسد - مكشوفة وقد تكور الجلد فوق بعض منها فأصبحت أشبه بفقاعات جلدية..

ظل(سليم) مستلقياً تماماً على الأرض تتلاحق أنفاسه بسرعة، بينما عيناه منصبة عليهما..(نعماء) و(رامي) .. لا يقوي على الحركة.. أو الكلام .. إنه فقط يحاول أن يلتقط أنفاسه بصعوبة.

عيناه معلقة عليهما ويدور في رأسه فكرة واحدة فقط..

<<هل سيلاقيان نفس المصير الذي يلاقيه هو الآن؟>>.

كان(رامي) جلس أرضاً وهو ينظر إلى ما يحدث إلى(سليم) غير قادر على التفوه بكلمة.. من فرط رعبه من أن يحدث معه مثل ما حدث مع (سليم).

<<هل تعلم أنك ستموت؟>>.

<<من منا لن يموت يوماً من الأيام؟>>.

<<كلا.. أنت الآن على مشارف الموت.. هل أنت مستعد له؟>>.

<<كيف يستعد أحدا للموت؟.. لا استعداد سوي بالعمل فقط.. نعم أنا أعلم جيداً أنني لم أفعل الكثير في حياتي.. ربما هذا ما كان يطالبني به(عطاء).. صديقي.. السابق.. ولكن لم يعد كل هذا يهم الآن، لم يعد هناك ما يمكن أن يكون مهماً>>.

<<لا شيء مهم في حياتك؟.. لا تريد شيئاً؟ هل أنت زاهد في كل شيء حقاً كما تبدو؟.. أم أنك تتلاعب بالجميع؟.. أنت تعلم مثلي تماماً أنك تتقمص دور الراهب ببراعة منقطعة النظير.. من أجل أن تتهافت عليك الدنيا بما لديها.. المشكلة الحقيقية هي أنك لم تصدق في زهدك.. فلم

تصدق هي في الجود عليك .. أنت افعلت ما أنت فيه .. والآن سيداهمك الموت .. وبأحد أبشع الطرق الممكنة .. ستنتهي في النهاية أيًا كانت الطريقة .. ولكن .. انظر إلى الوراء

هل هذه الحياة هي ما فضلتها؟

هل هذه الحياة التي ستتركها وراءك في هذه الدنيا؟

أنت تسألني كما لو أنني قادر على تغيير أي شيء الآن؟

أنت حتى لم تحاول أن تغير شيئاً واحداً منذ البداية!

لقد ركنت إلى السكون .. والعزلة.

هل راقتا لك؟

هل شعرت بالراحة وأنت تعيش خلالهما؟ .. وهما يملكانك؟ .. وهما يسلبانك كل أوجه الحياة ببطء، وأنت تساعدتهما على ذلك.

لقد حاولت .. وفشلت.

كلا..

لا يا (سليم).

لا تستمر في خداع نفسك ...

أنت لم تفكر يوماً في المحاولة

أنت كنت أجبن من مجرد التفكير في تغيير حياتك ...

وهل كانت هذه التغييرات هي التي ستجعل حياتي أفضل؟

إذن هل ما كنت فيه هو الأفضل؟

السكون؟!!

العزلة؟!!

الوحدة؟!!

أن تترك كل شخص يحاول أن يمر بحياتك؟

أن تطرد كل من يجاهد للبقاء معك شر طرد؟

ألا يحبك أحد؟!!

ألا يتذكرك أحد؟!!

ألا تحاول أن تتجاوز من أدوك في حياتك؟

لا أقول لك سامحهم.

انتقم منهم إن أردت ذلك.

وتجاوز محنتهم إلى ما هو أكبر من ذلك.

لكن لا تنتقم من نفسك.

هذا الذي ظللت تفعله طوال حياتك.

وهذا الذي ستنتهي عليه حياتك وتتركه خلفك.

وهذا الذي سوف تحاسب عليه.

إنها النهاية...

إنه الموت...

لا يوجد فرار منه.

ولا تأجيل.

ولا وقت مستقطع.

ولا فرص أخرى.

للأسف كانت هذه حياتك.

وستنتهي ما إن ينتهي هذا العقار الشيطاني من غزو جسدك بأكمله....

...

نعم..

أنا أعلم جيدًا.

أن تخيلك للفكرة.. ليس أبدًا مماثلًا للعيش داخلها، وهي تحدث على أرض الواقع..

نعم..

أنا ابتسم....

لست فقط ابتسم..

بل أنا أضحك منك...

أنا نفسك...

لقد استسلمت أيها الضعيف المتخاذل....

استسلمت قبل حتى أن تحاول أن تبدأ الصراع....

ولا يوجد في الدنيا من هو أكثر سذاجة منك.....

يقولون أنك لا تخاف من أي شيء منذ مولدك.....

وأن كل خوف تعاني منه هو فقط خوف مكتسب.....

لقد اكتسبت كل أنواع الخوف.....

لقد عشت تخاف من كل شيء.....

حتى قبل أن تعرفه....

واليوم.....

ستموت.....

وأنت لا زلت لا تدري....

كيف كنت تخاف مما لا تعرف طبيعته أو تفهمه؟

أنت أحد هؤلاء الذي حكم عليهم بالموت؛ لخوفهم من الحياة!

لن تستطيع أن تشعر بأن شيء ستغير إذا مت...

لأنه لا يوجد هناك فارق كبير بين الاثنين.....

حياة منعزلة لا تختلف كثيرًا عن موت محقق...

لا يحدث داخل كل منهما أي جديد.....

الذي كان يمكن أن يشكل معك فارقًا.....

وأنت حي.....

هو أننا.. في خلال الحياة.. نمتلك الفرصة لكي نغير من الأشياء
والأشخاص حولنا

نغير.. وننغير

للأفضل أم للأسوأ؟

مجددًا.. هذا ليس مهمًا

المهم أن يكون هناك تغيير يطرأ كل فترة زمنية.

لا يمكن أن يكون هناك أحدهم تتغير حياته لنقل مثلاً خمسين مرة كل
عام...

وستكون كل هذه التغيرات سيئة.. هذا لن يكون عادلاً... ولن يكون من
المنطقي.

على الأقل سيكون هناك شيء واحد في حياته سوف يتغير إلى الأفضل.

شيء واحد سيصبح أفضل لأنه تغير.. لأنه حاول تغييره.
وهذا أفضل بكثير.

من أن يترك كل شيء كما هو عليه.
لأنه فقط خائف من أن يتغير للأسوأ.
هناك لكل تغيير فائدة ومنافع حتى وإن كانت بوارده غاية في السوء.
لا يمكن أن أظل أحيا هكذا!

الآن تقول هذا؟

وأنت تموت؟

تقولها حين تأكدت فقط أنك لا يمكنك تغييرها.

ربما لا تزال الروح في الجسد لم تغادره بعد.

ربما لا تزال في حياة المرء بقية.

أنت تبحث عما يستحيل وجوده الآن.

لقد جئت متأخرًا.. متأخرًا جدًا يا (سليم) <<.

حاول (سليم) النهوض بكل قوته، ولاحظ أن جسده بدأ بدرجة ما يتأقلم مع الشعور المتزايد بالألم؛ ذلك مع تصاعد آلام أخرى أشد تأتي من معدته - وتبدو نتيجتها واضحة من القيئ الدموي الذي يسارع ويقفز من بين شفتيه على الرغم منه عدة قرح معوية مؤلمة، كما لو أنه ابتلع جمرًا

ملتهبًا. نهض وظل راکعًا علی رکبتیه، وهو يتأمل (شتودجارد) ببرود ملامحه المعدنية.

<<سوف أسحقك أيها الآلي اللعين.. يومًا ما!>>.

أتى صوت(ريكارد) مجددًا:

"(شتودجارد)..رجاءً ساعد السيد(سليم) واصحبه إلى غرفة المعدات الاحتياطية.. لا نريد أن تشاهده السيدة وهو في النزاع الأخير".

بدل(سليم) بصره ما بين (شتودجارد) ثم التفت إلى (نعماء) لاهثًا وهو يشير بيديه ويومئ برأسه ليقول لها ضمنيًا لعدم استطاعته التحدث:

"لا تقلقي".

اقترب منه(شتودجارد) فهتف (سليم) :

"لا تلمسني.. سوف آتي معك دون مقاومة".

"حسنًا يا (شتودجارد) لنمنح الرجل رحيلاً مريحًا يليق به بعد أن قطع كل هذه المسافة ليموت هنا".

نهض(سليم) وهو يشعر أن وزنه كما لو أنه زاد مرتين ونصف.. فحاول أن يسير بصعوبة بالغة بينما كان يشعر كأن جسده هذا سحقته صخرة تزن عدة أطنان؛ فكان يتحرك وكل حركة مصحوبة بالآلام متفرقة لا يدري أين مصدرها بالضبط.. هذا بالطبع بخلاف أحشائه التي تتصاعد آلامها التي لا يمكن وصفها.

قام(شتودجارد) بالوقوف خلفه بينما صاحبه خارج غرفة الاحتجاز؛ ليسيرا مع بعض بنفس خطوات (سليم)، التي لم يستطع أن يجعلها أسرع مما هي عليه؛ نظرًا لكم الآلام التي يشعر بها في سائر أنحاء جسده.

سأل(سليم) (ريكارد) في وهن:

"ما الذي سيحدث لي بعد ذلك؟ ولماذا لم يسحق (شتودجارد) صديقي المعدني العزيز رأسي بقبضتيه منذ البداية وانتهى الأمر عند هذا الحد؟".

"لماذا تتعجل موتك؟".

>>بالطبع لا يمكنه أن يعلم السبب الحقيقي وراء إلحاحي على إتمام مثل هذا الأمر<<.

"لماذا تظن أنني أفعل ذلك؟".

"لأنك تظن أنهم سوف يرسلوا إليكم فريقًا للإنقاذ، الذي سيأتي إلى هنا بمجرد أن يتوقف قلبك عن النبض أليس كذلك؟".

>>كيف يمكنه أن يعرف؟! .. إن مثل هذا الإجراء لا يمكن أن يعلمه سوى ثلاثتنا؟ ومن يعملون في القاعدة الفضائية المصرية وليس أي شخص .. بل من هم منخرطون على عمليات السفر.. كيف علم مثل هذه التفاصيل الدقيقة؟ .. هذه ليست معرفة.. لقد أخبره أحدهم بها، لابد وأن هذا ما حدث.. هل يمكن أن تكون(نعماء)؟.. أم يكون(رامي)؟ .. ربما

حاول أن يهدده بشيء ما فخر الأخير يخبره مغردًا كالطير .. اللعنة ما الذي سأفعله الآن؟>.

"كيف علمت بهذا؟".

"إن هذا الذي كنت تنوي فعله منذ البداية؟".

"كلا.. ليس هذا ما أسألك عنه.. كيف علمت بموضوع فريق الإنقاذ الذي تصل إليه رسائل متابعة نبضات قلوبنا؟".

"إنه (شتودجارد).. إنه يستطيع رصد أي نشاط إلكتروني حتى وإن كانت إشارة ضئيلة شاردة على بعد مئات الأميال منه".

>لَمْ لا أستطيع أن أتخيل أن هذا الرجل الآلي يمثل هذه القدرات الرهيبة.. أنا لا أراه سوى غاية في العنف.. والغباء!<.

"أريد فقط أن أحذرك.. أنت الآن تعتقد أن آلامك أصبحت أخف.. لا تتعجل ستعود مرة أخرى؛ لتزداد سوءًا.. وربما تكون أسوأ مما كانت عليه في البداية.. لذلك كان يجب لي أن أبعدك عن أنظار زملائك.. لكي لا يصابا بالهستيريا.. يكفي بالفعل ما رأياه إلى الآن.. ويكفي أنهما علما ما هي قدراتي وإلى أين يمكنني أن أصل بمن يخالفني".

"أنت لست أبدًا بمثل هذه القوة المزيفة التي تظن أنها لديك".

ظلا يسيران مسافة بدت ل(سليم) طويلة في حين أنها بدت هكذا فقط بسبب بطء خطواته، حتى وصل إلى القاعدة القمرية الأصلية..

وقام(شتودجارد) بفتح باب غرفة المعدات الاحتياطية، وهو يشير إليه بالدخول.

ليدخل (سليم) مستسلماً.. لم يكن في حالة تسمح له بالمقاومة.. إن كان لم يمكنه المقاومة من قبل وهو صحيح الجسد؛ فبال تأكيد لن ينجح الآن.

"استمتع بالدقائق الأخيرة قبيل توديع الحياة.. هل تريد أن تقول أي شيء قبل أن أغلق الباب للمرة الأخيرة، ولا أعيد فتحه مجدداً مرة أخرى إلا لأطمئن على جثتك؟".

كانت عبارة(ريكارد) الساخرة بدت ل(سليم) أنها صادرة من (شتودجارد) نفسه، وشعر أن الرجل الآلي نفسه يبتسم ساخراً منه وليس فقط مجرد ناقل للرسالة.

"لم ينتهِ الأمر بعد".

بأدله (سليم) نفس التعبير والابتسامة الساخرة، التي رآهما (ريكارد) وأثارا جنونه وسخطه على الرغم من كل انتصاراته إلى الآن إلا أن شعوره بأن (سليم) لم يهتز ولم يعلن استسلامه ولم يتوسل من أجل حياته كل ذلك كان يثير غضبه.. وهو يقول في داخله:
<<أيها الوغد >>.

خرج(شتودجارد) من الغرفة وهو يغلق بابها برتاجه الإلكتروني، الذي أضاء باللون الأحمر بعد أن قام بحبس (سليم) داخلها.

عادت تقلصات المعدة وآلامها تداهم (سليم)، وهو يشعر بطعم الدماء في حلقه، ويبصق بعضها على الأرض وهو يفكر:

>>ألم يكن تسميم المرء بالسيانيد أو أحد مشتقاته أفضل من كل هذا الشقاء؟<<.

>>ماذا ستفعل الآن؟.... ربما إذا انتحرت.. وتم إرسال إشارة الاستغاثة.. ربما كان هذا السبيل الأخير لإنقاذهم<<.

>>ولم يعاني ضميرك بوخزك بمسألة إنقاذهم هذه؟.. تبدو كما لو أنك أنت من احتجزتهم هنا منذ البداية <<.

>>تذكر أنك تموت.. والآن.. ليس غداً.. ليس بعد عدة ساعات.. أنت بين لحظة وأخرى سوف تسقط ميتاً.. أو ربما في أفضل الظروف في غيبوبة.. لذلك لماذا لا تحاول أن تجد حلاً لهذا العقار، الذي حقنك به(ريكارد)؟<<.

>>لا تفزع.. فكر جيداً.. ما الذي يمكن أن تفعله؟<<.

>>لا شيء.. أنت تشعر بالفعل بمطارق تدق رأسك، وآلاماً متفرقة في جميع أنحاء جسدك هذا بخلاف آلام معدتك.. ما الذي يمكن فعله إزاء جسدك والعقار الشيطاني ينهش فيه.. لا تحاول أن ترهق نفسك أكثر من ذلك.. فإنك لن تجد شيئاً يمكنك أن تفعله سوي بعض من الإسعافات الأولية ليس أكثر<<.

>>(الإسعافات الأولية!!.. كيف لم تخطر على بالي من قبل)<<.

نهض(سليم) من جلسته وهو يبحث بعينيه عن مكان التخزين.. عبارة عن ما يشبه دولاباً كبيراً يحتوي على حزم متكاملة من الإسعافات الأولية.. التي كانوا فعلوا خيراً بإيداعها هنا من أجل الإصابات

المفاجئة، التي كانت أحياناً تصيب بعضاً من أفراد الشركة أو أحد عمال الإنشاء في أثناء عمليات الإنشاء الأولية.. وتم التأكيد على ترك مثل هذه الحزم من أجل ما إذا أصيب أحد المسافرين إصابات خطيرة.. فيمكن لزملائه أن يقوموا باستخدام الأدوية والعقاقير اللازمة لإنقاذ حياته.

>>لقد أرسلك هنا لكي تموت بمفردك.. ولم يعلم أنه أرسلك للبحث عن حياتك هنا من جديد<<.

ظل يبحث إلى أن وجد هذا الدولاب على بعد خطوتين منه، ولكنه نظراً للهفته أغفل وجوده فلم ينتبه له من الوهلة الأولى.

قام بفتحه وهو يتطلع إلى مئات الأنواع من الأدوية والمحقن الطبي.

>>هل تأخذ مسكنات لمثل حالتك هذه؟ أنت لست بالخبير الطبي.. لعلك تخطئ وتأخذ عدة عقاقير تتداخل مع بعضها؛ فتتسبب بموتك!.. أليس هذا هدفك منذ البداية؟! .. إذن فأختر أقرب عقارين أو ثلاثة إلى قلبك، عندها ستموت من أجل هدف نبيل ألا وهو إنقاذ الآخرين!<<.

جال ببصره داخل هذا الدولاب؛ ليقرأ التصنيفات التي قام واضعوه بتقسيم الدواء تبعاً لها؛ فوجد العناوين الآتية:

>>أدوية الدم (الجلطات) – أدوية الدم (النزيف) – أدوية القلب – مسكنات – مطهرات – أدوية ردود الفعل التحسسية – أدوية الجهاز التنفسي – أدوية الجهاز الهضمي<<.

>>الآن أحتاج إلى مسكنات كي تهدأ هذه الآلام اللعينة المستعرة<<.

بحث داخل الجزء الخاص بالمسكنات حتى وجد أحد المسكنات القوية المشتقة من المورفين على هيئة حقن معدة للحقن الفوري؛ فسارع بالتقاط حقن وقام بغرسه في ذراعه، وانتظر عدة دقائق ووجد أن الجرعة التي أخذها لم تكن كافية؛ فالتقط حقناً آخر وحقن نفسه وانتظر إلى أن شعر بانخفاض حدة الألم بشكل كبير.

نهض(سليم) من مكمته وأخذ يتأمل المكان حوله كما لو أن المسكن أضاء داخل عقله مصباحاً قوياً بشكل مفاجئ .. أو أن اختفاء الألم ساهم في تحرير عقله للتفكير ..فالتقط علبة المحقن الأخرى ليصحبها معه إذا ما زال مفعول المحقنين الذين أخذهما الآن.

>>يجب عليك الآن محاولة إنقاذهما.. ولكن قبل أن تفعل هذا لابد وأن تتخلص من(شتودجارد).. هذا الآلي لن يجعلك تستطيع أن تخطو خطوة واحدة داخل المكان لا يريد لها صاحبه>>.

هنا لمعت في رأسه فكرة أخرى..

>>يمكنني التجول في حذر وأحاول الوصول إلى مكان أجهزة التحكم الرئيسية، وأقوم بتفعيل بروتوكول الطوارئ الفضائي عبرها.. إجراء أمني تم إنشاؤه بعد عدة أشهر من بداية دخول هذه القاعدة الفضائية للخدمة بعد أن وجدوا أن الأجسام الفضائية المتساقطة فوق سطح القمر؛ تؤدي إلى تلف كبير ومكلف في الألواح الشمسية؛ مما يضطر الشركة المصممة أن تعود كل عدة أشهر لإصلاح ما أتلفته الأجرام المتساقطة، فتم إنشاء هذا البروتوكول بأن تقوم الخلايا الشمسية من تلقاء نفسها عن طريق آليات للحركة أن تصطف فوق بعضها البعض، حتى يمكنها أن

تحتل فقط ربع المساحة الحالية، التي تحتلها ثم يتم بعد ذلك تخزينها تحت سطح القمر بمئات الأمتار في قبو التأمين، الذي تم حفره في قاع القمر لكي يستوعب كل هذه الألواح داخله، وتكون مؤمنة ومحمية عبر جسم القمر نفسه، وتظل الألواح في داخل هذا القبو بمدة لا تقل عن أربع وعشرين ساعة ولا تزيد عن ثلاثة أيام.. هذا هو الحل الذي سيقضي على ما يحاول (ريكارد) إتمامه هنا>.

>> يجب عليك ترتيب أفكارك، ما الذي تريد أن تفعله أولاً.. هذه المرة لا مجال لأعمال الهواة أو الأخطاء>.

حاول تصفية ذهنه من جميع الأفكار الجانبية؛ ليعترك المساحة لذهنه من أجل التفكير في أمرين لا ثالث لهما.. كيفية التخلص من (شتودجارد) وكيفية تفعيل بروتوكول الطوارئ الخاص بالقاعدة القمرية.

أخذ مجددًا يتأمل المكان حوله إلى أن وجد أحد الأبواب الملونة بالشرائط الصفراء والسوداء.. كانت هذه هي ما يطلقون عليها مكنسة النفائات.. غرفة كبيرة مثل غرفة معادلة الضغط تحتوي داخلها على كبسولات فضائية كبيرة يضعون داخلها النفائات، ويتم توجيهها لتنتقل كالقذيفة تجاه الشمس، وهذه إحدى الطرق الفعالة للتخلص من النفائات، التي كانت فيما سبق مشكلة أزلية من مشكلات اقتحام الفضاء، ظل يدور بعينه ليجت داخل المكان عن أدوات يمكنه استغلالها.. حتى وجد أداة صغيرة كانت في وجهة نظره أكثر من رائعة.. إذا ما أحسن استغلالها.

ابتسم قائلاً لنفسه:

"لقد قلت لك.. لم ينته الأمر بعد".

* * * * *

"يتبقى عشرون دقيقة على بدء الإطلاق.. لقد شارفت عمليات الفصل والتعليق على الانتهاء.. عشرون دقيقة وأصبح على عتبة عَالَمٍ آخر غير ذلك العالم".

"كيف حالك يا(ريكارد)؟.. أتمني أن يكون لديك وقتًا للردشة قليلاً".

أتي صوت(سليم) عبر مكبر الصوت المزود به(شتودجارد) فابتسم (ريكارد) وهو يرد:

"هل مللت من انتظار موتك فتحاول أن تضيع بعضًا من الوقت؟".

"كلا.. ولكنني فقط أردت أن أسألك.. كم أمامك من الوقت؟".

"ماذا تعني؟".

"أعني كم أمامك من الوقت حتى تنتهي مما تفعله هنا؟".

"لماذا تسأل مثل هذا السؤال.. يفترض أن تسأل نفسك كم أمامك أنت من الوقت لتعيش؟".

"أنا فقط أريد أن أعلم كم من الوقت سوف أراك فيه تتحسر قبل أن أقتلع عينيك من مكنهما".

أثارت لهجة التهديد الصريحة التي يتحدث بها (سليم) قلق (ريكارد) فضغط زر الاتصال ب(شتودجارد) وهو يصيح:

"اذهب إلى غرفته وأفدده وعيه".

"من قال أنني في غرفة المعدات الاحتياطية؟".

هنا انقبض قلب(ريكارد) من المفاجأة، وهو يهتف:

"ماذا؟".

ثم عاد يصرخ عبر جهاز الاتصال:

"(شتودجارد) اعثر علي مصدر هذا الاتصال.. الآن".

كان(شتودجارد) وصل بالفعل إلى غرفة المعدات الاحتياطية، وهو يفحص المكان بتقنية المسح الحراري؛ ليتأكد من أن(سليم) متواجد بالغرفة.. إلا أنه لم يجده.

"ليس متواجدًا في الغرفة كما قال يا سيدي".

"لن تستطيع أن تعثر علي ..أنا في كل مكان الآن".

استخدم(سليم) وسيلة بسيطة وفعالة مزود بها جميع غرف القاعدة الفضائية.. جهاز اتصال داخلي مثبت في الحائط مثل شبكات الهواتف الداخلية قديمًا، ولكنها الآن تعمل بهواتف محمولة يتم ربطها ببعضها.

قام بإعداده واستخدم هاتف أحد الغرف، وقام بتفعيله لكي يعمل كمتلقي ومرسل للاتصال في نفس الوقت،

فلا يستطيع (شتودجارد) معرفة أين مصدر الاتصال الآن.

وبسبب طبيعة المنطقة التي أنشئت فيها القاعدة القمرية، التي تتسم بالبرودة الشديدة.. فذلك يؤثر وبشدة على إعدادات الحساسات الحرارية التي يتم استعمالها هنا.. تصاب في أوقات كثيرة بالتشوش.. الأمر الذي معه لن يستطيع (شتودجارد) الاعتماد عليها بشكل كلي.

ظل(سليم) يتجول بخط سير معين؛ نظرًا لأنه يحفظ خارطة المكان بينما يهيم(شتودجارد) لبحث عنه عبر جهاز الاتصال الداخلي ومستشعرات الصوت.

"هل وجد رجلك الأخرق أي أثر أم لا يزال يبحث؟".

استثارت عبارته الساخرة(ريكارد) فصاح غاضبًا:

"(شتودجارد) اعثر عليه.. حاليًا".

سمع الاثنان أصوات طرقات معدنية متقطعة.. فعاد (شتودجارد) يحاول تتبع مصدرها، الذي تبين أنه كان غرفة الأدوات الاحتياطية.. لا بد أن(سليم) قام بالخروج لإلهائه ثم عاد إليها مجددًا.

اقتحم(شتودجارد) الغرفة وهو يدير بصره إلى الأماكن المحتملة، التي يمكن أن يختبئ فيها(سليم) بينما كان صوت الطرق يزداد..

اقترب(شتودجارد) من مصدر الصوت بحذر حتى وصل إليه.

وجد الباب الخاص بغرفة طرد النفايات تعلقت به إحدى القطع المعدنية؛ فكان يصطدم بها عند محاولته الأوتوماتيكية للإغلاق، ويصدر صوت هذا الطرق المعدني.. انحنى (شتودجارد) ليقوم بإزالة القطعة المعدنية،

ثم ضغط زر إلغاء قفل الباب؛ ليرتفع الباب إلى أعلى مرة أخرى.. فكر أن يبحث عن (سليم) ربما يكون قد اختبأ داخل تلك الغرفة الخاصة بالتخلص من النفايات، وهي غرفة وسيطة ضغطها يماثل ضغط القاعدة الفضائية، ويتم داخلها تحميل الكبسولات الفضائية المراد التخلص منها، وتوجيهها إلى المكان المراد إرسال النفايات إليه.

أخذ(شتودجارد) يتجول في الغرفة الكبيرة نسبياً، وهو يبحث عن(سليم) داخلها، ولكن دون جدوي لم يعثر له على أي أثر.

عاد يفحص أركان الغرفة مرة أخيرة إلى أن سمع صوت ارتطام عنيف بإحدى الكرات بأرض الغرفة الداخلية وسمع صرخة(سليم) المتحفة:

"قنبلة".

بشكل لا إرادي قضت معالجات(شتودجارد) في الربط ما بين شكل القطعة المعدنية الكروي وما بين الكلمة وقتاً يقارب الأربع ثوان؛ لكي تكتشف أنها مجرد قطعة من قلب إحدى الأدوات، وأنها كانت مراوغة من(سليم) لتشتيت انتباهه.

استغل(سليم) الذي ظهر على عتبة بوابة الغرفة في مفاجئة(شتودجارد)، وهو يضغط زر طرد النفايات الفوري، الذي يعني ضغطه أن الباب الآخر في الجهة المقابلة سيتم فتحه بالتبعية بمجرد أن يتم غلق الباب الداخلي.. ركض (شتودجارد) بكل قوته ولكن قبل أن ينجح في أن يحطم الباب الداخلي بقبضته؛ انفتح الباب المقابل بشكل مفاجئ على ممر اصطفاك الكبسولات المعدة للقذف في الفضاء.. بالطبع أدى اختلال الضغط المفاجئ إلى شطف جسد (شتودجارد) الثقيل

إلى الخارج، وهو يحاول أن يتمسك بأي شيء يجعله لا يطير خارج القاعدة إلى الفضاء الخارجي.. ظل متمسكًا بإطار الباب ويحاول دفع جسده إلى الداخل إلى أن قام (سليم) بضغط زر الانتهاء من إخراج النفائات؛ ليهبط الباب المؤدي للفضاء الخارجي هو الآخر بشكل سريع، ولكن هذه المرة هبط فوق ساقى (شتودجارد) ليقطعها من أماكنها ويسحق الجزء الذي هبط فيه الباب تمامًا؛ ليظل نصف جسد الآلي في الداخل بعد أن فقد ساقيه نتيجة للإغلاق المباشر.

حاول (شتودجارد) النهوض إلا أنه لم يستطع الحركة.. لقد كانت عملية قطع ساقيه غير كاملة.. بقي جزء بسيط لايزال عالقًا بالباب، وبما أن الباب المطل على الفضاء الخارجي لم يكتمل إغلاقه بشكل كامل، فلن يتم فتح الباب الداخلي المؤدي للقاعدة القمرية إلى أن يتم انغلاق هذا أولاً.. لقد تحقق ما أراده (سليم) بالضبط.. لقد تم حبس (شتودجارد) في الداخل بعد أن فقد ساقيه وظل عالقًا بالباب.. لن يستطيع النهوض أو المقاومة بعد الآن، وسيظهر لدي (ريكارد) أن نظام تشغيل الآلي قد تعطل.. ولا شيء أكثر من ذلك.

نظر إليه (سليم) نظرة أخيرة متشفية تتوج انتصاره في هذه المرحلة، وهو يندفع راكضًا ليعود إلى المكان الذي تم احتجاز (نعماء) و(رامي) فيه، وهو متيقن تمام اليقين أنه سوف يجد (ريكارد) المذعور هناك بعد أن فقد سلاحه المدلل.

قاوم من جديد طعم الدماء التي تصعد إلى حلقه بين حين وآخر.. بينما شعر ببعض من الآلام تعاوده مجددًا فحاول أن يتحامل على نفسه.. فهو

إلى الآن لا يعلم ما الذي سيؤول إليه الأمر في النهاية جراء السم الذي يجري داخل دماغه.

قبل أن يحاول مغادرة الغرفة.. بحث في أحد أركانها عن زي احتياطي من الأزياء الملحقة بالمكان، وهذه أيضًا بذلة مماثلة لما كان يرتديها على الأرض، وتتواجد هنا في حالة حدوث تلف أو أية مشكلات في أحد أزياء رواد المكان.. الأمر الذي معه ينبغي توفير الأزياء الاحتياطية؛ لكي يستطيعوا استخدامها والعودة إلى الأرض دون مشاكل.. كان قد خلع كل ملابسه الملامسة لجسده، التي تشبعت تمامًا بالمادة السامة عبر مسام الجلد.

قام بارتداء الزي الاحتياطي ثم التقط الخوذة وقام بثنيتها فوق رأسه، وهو يديرها مرتين كما يجب أن تدار لكي يقوم قفل دورة التبريد بالبدء في العمل.. وبالفعل تأكد إغلاق القفل وبدأت دورة الأكسجين تعمل داخل الزي.. ووضع في داخل جيوب الزي عدد من المحقن المسكن، وأيضًا جهاز الاتصال الداخلي المحمول الذي خدع به (شتودجارد).

أتاه صوت (ريكارد) عبر جهاز الاتصال الداخلي وهو يهتف غاضبًا:

"(سليم).. إذا كنت تسمعني.. أصدقاؤك لدي هنا.. إذا لم تعد إلى مكان احتجازهم الآن سأطلق النار على رؤوسهم".

ركض (سليم) تجاه الغرفة الأولى، التي دخل عبرها إلى القاعدة القمرية، التي كان من داخلها يتابع قراءات النظام قبيل أن يهاجمه (شتودجارد).

وصل إليها وهو يلهث وهو يردد على (ريكارد):

"أنا الآن في غرفة المعدات الاحتياطية.. أنا قادم إليك الآن.. ولكن ألن تخبرني كم أمامك من الوقت حتى تنتهي مما أتيت من أجله هنا؟".

>>سأستهلك بعضًا من وقته لكي يضيعه في الوصف بينما أقوم بإعداد وتفعيل بروتوكول الطوارئ الفضائي.. لا بد وأن تنتهي هذه الكارثة الآن<<.

ذهب إلى أحد الأجهزة المضاءة وقام بالولوج عبره في سرعة، وهو يقوم بضغط أزرار لوحة المفاتيح بسرعة ودقة وعنف من أجل أن ينتهي من إغلاق الشبكة القمرية بشكل كامل.

مضت دقيقتان إضافيتان انتهي خلالهما من إعداد النظام؛ ليغلق بالكامل بعد مرور خمسة دقائق من الآن.

"(ريكارد).. لا داعٍ لتهورك.. سأتي إليك.. رجلاً لرجل.. صراعك معي وليس معهما.. لا داعٍ لتفرغ عليهما غضبك.. هما لا ذنب لهما.. أنا قادم إليك".

عليك أن تأتي إليّ في الحال".

كان(سليم) بالفعل شرع في السير وبسرعة أقرب إلى الركض؛ ليصل إلى المصعد الذي يصل إلي مكان المبنى الثاني وهو يهتف:

"لماذا هل لديك موعدًا ما تخاف أن تتأخر عنه؟".

"أريد الانتهاء من سخافتكم ومنك أنت شخصيًا قبل أن أبدأ الاحتفال ببدء التفاعل التاريخي، الذي سيغير وجه هذه الدنيا إلى الأبد".

"ومتى سيتم مثل هذا التفاعل المجيد؟!"

تساءل(سليم) ساخرًا ليرد (ريكارد) في غضب:

"بعد عشرة دقائق من الآن ستشهدون جميعًا مدى عظمتي.. أو ربما لن تظلوا أحياءً وقتها لأن تشاهدوا ما سوف يتم، أنتم في النهاية لا تستحقوا مثل هذا الشرف، من أجل أن تقوموا بتعكير صفو لحظات فريدة مثل هذه.. لحظات لن يكررها التاريخ أبدًا".

كان(سليم) وصل إلى باب الغرفة التي يحتجزهم فيها (ريكارد).

وفجأة انطفأت جميع مصابيح الإضاءة مرة واحدة، وظهر ضوء أحمر تحذيري في المكان مع نداء آلي يحذر:

"تحذير.. هناك انقطاع مفاجئ للطاقة.. تحذير.. هناك انقطاع مفاجئ للطاقة.. سيتم تعطيل التفاعل لحين استرداد الطاقة... الوقت المتوقع لعودة الطاقة(غير محدد)".

صرخ(ريكارد) بصوت هادر ربما قد أصدره في حياته:

"لا... لا يمكن أن يحدث هذا.. مستحيل".

ما أن صرخ حتى انطلق (سليم) إلى داخل الغرفة راكضًا بسرعة، و(ريكارد) يلتفت إليه وهو يحاول التصويب في ظل ظروف الإضاءة المنخفضة.

لتهتف (نعماء) صارخة:

"احترس يا (سليم) إنه مُسلح".

انحني (سليم) أرضًا بشكل تلقائي بمجرد أن سمع تحذيرها، وهو ينزلق إلى الأمام في نفس اتجاه ركضه صوب (ريكارد) أدت الانحناءة إلى تفادي طلقة ليزرية زرقاء قاتلة، انطلقت من فوهة بندقيته؛ ليقوم بعدها (سليم) بالقفز من مكانه في الأرض، وهو يطيح بالبندقية الليزرية القوية بضربة قوية من مرفقه الأيسر، ثم قام بلكم (ريكارد) لكمة في فكه السفلي، ثم أتبعها بلكمة أخرى في معدته؛ ليعود بلكمة خاطفة أخرى سريعة من أسفل فكه لأعلاه؛ ليشعر الأخير باصطكاك أسنانه ببعضها، وهو يسقط أرضًا؛ ليقوم بركله ركلة قوية في صدره بيسراه؛ ليطيح به إلى وسط الغرفة.

لهث (سليم) بينما نظر ليبحث ببصره عن (رامي) و (نعماء) اللذين كانا يقفان خلفه، ومقيدان بأغلال في يد بعضهما، وتم ربط هذه الأغلال إلى أحد الأعمدة الزجاجية الرفيعة، التي تقع في أحد أركان المكان.

هتف (رامي):

"رباه .. (سليم).. أنت لا تزال حيًا.. لقد نجوت من هذا العقار اللعين .. حمدًا لله".

هتف (ريكارد) ثائرًا: لا

"أيها اللعين.. هل تعلم ما الذي فعلته؟.. لقد أفسدت كل شيء برعونتك هذه.. هيا يا (سليم).. هيا.. لا تكن وغدًا.. أنت لا تعلم مدي قوة ما سنصل

إليه... سوف أُنقاسم معك أرباح هذا المشروع.. ولكن أرجوك قم بإعادة الطاقة مجدداً... سوف يتلف نظام التعليق، وفصل الجزئيات ما إذا لم يعد التيار الكهربى إلى الأجهزة فى خلال عدة دقائق من الآن... اللعنة عليك سينتهى كل شىء الآن".

نظر(سليم) إلى الحاجز الزجاجى الواقع فى النصف الثانى من البهو، الذى يقف فيه وهو ىرى شبكة الأنابيب المرنة المتشابكة، والومضات التى كانت تعبرها بكثافة.. بدأت سرعتها فى الانخفاض بشكل ملحوظ، وبدأت تخرج عن السيطرة بالفعل بمجرد انقطاع التيار الكهربى.. بينما انطفأت شاشات متابعة المفاعل؛ وأظلم أغلب المكان إلا من الضوء الأحمر التحذيرى، الذى يعلن للجميع عن انقطاع الطاقة..

وانتصار(سليم) بعد أن أدخل نظام التشغيل فى تلك الحالة من توقف التشغيل الاضطرارى.

كانت الإضاءة متضائلة للغاية لانقطاع الطاقة، الأمر الذى جعل(سليم) مرغماً على أن يقوم بتشغيل أحد المصابيح المثبتة فى الخوذة، التى يرتديها؛ لكى يستطيع أن ىرى كيف يقوم بحل الأغلال التى تحيط بأيديهما.

أمسك(سليم) الأغلال الزجاجية وهو يفحصها بسرعة، ثم ضغط عدة أزرار فيها بشكل متتابع ليتحررا منها، وألقى بها بعيداً وهو يهتف:

"لقد انتهى كل شىء يا(ريكارد)..لقد خسرت كل شىء.. ليس من الحكمة أن تقوم بملاعبة أحدهم فوق أرضه وتوقع أن تهزمه..

بالمناسبة رجلك الآلي اللعين(شتودجارد) يرقد الآن داخل غرفة النفائات بنصف سفلي مبتور".

"(سليم) أرجوك.. لا تضيع كل هذا.. أنا أتوسل إليك.. أعد الطاقة إلى الأجهزة هكذا سوف ينتهي كل شيء وسيضيع هباءً كل ما فعلته اليوم".

اقتربت(نعماء)من(سليم)وهي تضع يديها على كتفيه، وتمسك بالخوذة لترى وجهه وهي تسأله في لهفة:

"ماذا حدث لك؟.. هل أنت بخير الآن؟".

ظل صامتاً بضعة لحظات ثم قال في خفوت:

"لم يحدث شيء.. لقد أخذت بعضاً من المسكنات القوية.. لا يزال السم يسري في جسدي، وسينتهي كل شيء.. أنا لا زلتُ أموت.. ولا يوجد ما سيغير من هذا الأمر شيئاً".

لم تستطع أن تتمالك نفسها واغرورقت عيناها بدموع غزيرة بشكل لا إرادي، وهي تحاول أن تنظر إلى وجهه عبر الخوذة، الذي كان يحيط به عدة طبقات من الجلد الميت، والمنتزع في كافة أنحاءه.

"(سليم).. أنا لا أدري كيف يمكنني مساعدتك.. ربما إذا غادرنا من هنا بسرعة يمكنهم أن يقوموا بمعالجتك إذا ما وصلنا في الوقت المناسب".

هز(سليم) رأسه نافيًا وهو يمسك بيدها ويربت عليها مهدئًا:

"أنا أعلم هذا.. ولكن لا يمكننا فعل أي شيء.. كل ما كان يهمني أن أحاول أن أنقذكما من بين يدي هذا الوغد".

"(سليم)".

كان هذا(رامي) الذي ينادي (سليم) من خلفه؛ فالتفت إليه الأخير؛ ليجد فوهة البندقية الليزرية مصوبة إلى (نعماء):

"ربما.. تستطيع أن تسدي لي معروفًا وتطيع أوامر هذا الرجل".

نظر إليه(سليم) ثم رفع يديه مستسلمًا، وهو يقوم بنزع الخوذة التي يرتديها، ويضعها جانبًا لكي يتاح له مجال أكبر للرؤية، بينما يظهر وجهه وهو تغطيه الحراشيف الجلدية الميتة، و تغير لونه إلى اللون الأحمر القان، كما لو أنه لا يوجد لديه أي طبقة من طبقات الجلد.. مما جعل شكله مربعًا وعينيه تبرقان وتنظران إلى عيني (رامي) مباشرة بينما هتفت(نعماء)مستكرة:

"ما الذي تحاول فعله يا(رامي)؟".

هنا ابتسم (ريكارد) وهو ينهض هاتفًا:

"أحسن يا سيد (رامي) سوف أكافئك بمكافئة سخية.. سأضاعف لك القيمة التي ذكرتها لك".

هنا هتف(رامي) وهو يصوب إليه البندقية:

"اصمت أيها الغبي.. وقم بتحويل المال الآن.. الآن وإلا قتلتك.. هيا".

أثار هتافه فزع(ريكارد) فأخرج هاتفه المحمول مسرعًا؛ ليقوم بتحويل النقود وهو يهتف مشيرًا إلى (سليم):

"رجاءً دعه يسرع في عملية إعادة الطاقة.. نحن لا ندرك ما الذي يمكن أن نفقده بطول مدة انقطاعها".

"أنت تريد أن يقوم بإعادة الطاقة.. سوف أجعله يعيدها.. ولكن قم بتحويل المال أولاً".

ابتسم(سليم) رغماً عنه وهو يقول ساخراً:

"ما الذي تتوقع أنك تفعله يا(رامي)؟!.. لن تعود الطاقة حتى وإن أطلقت النار علينا في منتصف رؤوسنا ..لا يمكن أن تعود الطاقة مجدداً.. لذلك لم لا تستريح وتلقي بالبندقية أرضاً؟".

"ما الذي تقوله؟".

هتف(ريكارد) ملثاعاً بينما زجره(رامي) ملثفناً إليه، وهو يصبوب البندقية إلى جانبه، ويطلق طلقة ليزرية تحذيرية.

صارخاً:

"لا تتوقف".

استغل(سليم) الفرصة ليهاجم (رامي) ويحاول أن يسلبه البندقية وهو يهتف:

"(نعماء) ابتعدي من هنا ..الآن"

تجمدت في مكانها تماماً وهي تراقب ماذا سيحدث

قاوم (رامي) بشراسة يدي (سليم) اللتين أطبقنا على يديه والبندقية، ولا تجعله يستطيع تحريكهما والأخير يقول:

"لقد كنت أشك في أحدكما منذ أن عرف هذا الغبي عن آلات مراقبة النبض، التي تم زرعها في داخلنا.. كيف يمكنه أن يعلم بشأنها، وهو الذي لم تكن له أية علاقة بنظامنا الفضائي، لا من قريب ولا من بعيد.. وها أنت قمت بحسم الأمر، وأثبتت أنه أنت منذ البداية.. أنت عين هذا الوغد علينا".

ركل(رامي) (سليم) الذي احتمل الركلة هاتفاً:

"أنت الخائن منذ البداية.. أنت الذي أتيت إلى هنا بعد أن زرعت فيروس في الجدار الناري الخاص بتلك القاعدة القمرية.. محل عملك.. الذي تخونه أنت بأن تدس وسطهم برمحيات تجسس.. وتحدثني أنا عن الخيانة؟".

أمسك به (سليم) بعنف وهو يهتف فيه:

"من الذي أخبرك بمثل هذا؟"

أشار إلي(ريكارد) وهو يعيد إحكام سيطرته على البندقية:

"هو أخبرني بذلك.. لقد ابتاع المكان كله منذ عدة أيام".

هنا انفجر(سليم) ضاحكاً و(ريكارد) يهتف إلى (رامي):

"ظلت خطوة باقية على تحويل الأموال يا سيد(رامي).. ولا تزال الطاقة لم تعد إلى الأجهزة.. هذا ليس بالشيء الجيد يا سيد(رامي).. أنت لم تف بوعدك من الصفقة إلى الآن".

أشار إليه(رامي) بأن ينتظر وهو يسأل(سليم):

"ما الذي يضحكك بمثل هذا القدر؟".

لم يجاوبه (سليم) وهو يسأل (ريكارد):

"من الذي أخبرك بمثل هذه المعلومات؟".

هنا هز(ريكارد) كتفيه قائلاً:

"لقد لاحظ (شتودجارد) نشاطاً غريباً في نظام تشغيل الشبكة القمرية.. وكنت أعلم أنه لا بد وأن يظهر أحد إن عاجلاً أم آجلاً من أجل هذا العطل.. لا تتعطل الشبكات هكذا من تلقاء نفسها .. أما عن شرأي للشبكة.. فبعض الكذب ضروري أحياناً".

هنا لم يستطع (سليم) أن يتمالك نفسه مجدداً من الضحك بينما سأل(رامي):

"ما هذا الذي تقوله.. ألم يكن هذا صحيحاً؟".

من بين ضحكاته قاوم (سليم) وهو يقول:

"كلا بالطبع أيها الأبله".

صوب(رامي) ماسورة البندقية صوب صدر(سليم) وهو يهتف بعصية:

"سوف أقتلك.. سوف أقتلكم جميعًا.. جميعكم تقومون بخدعتي.. وأنت تحاول إقناعي أن زوجتي تواعد أحدهم من وراء ظهري.. سوف أحيل جسدك لمصفاة".

توقف (سليم) عن الضحك، وهو يقترب من (رامي) وينظر إليه في عينيه مباشرة ووضع يده على مقدمة البندقية وهو يربت عليها قائلاً:

"هذا ليس ذنبي.. أنت من تفوهت بما تفعله هي.. وكان هذا هو الاستنتاج المنطقي لما تفعله.. هيا لن تستطيع أن تفعل شيئاً.. لِمَ لا تضع هذه جانباً ونحدث وجهًا لوجه؟".

هنا هتف (رامي) بشراسة:

"لن أستطيع!".

هتفت (نعماء):

"لا تفعلها يا (رامي) أرجوك.. لا تطلق النار".

زادت صيحتها من عناده فضغط زناد البندقية بمنتهى العنف، وهي مصوبة تجاه صدر (سليم) مباشرة و...

لم يحدث أي شيء!

ظل يعتمر الزناد عدة مرات أخرى، ولا شيء ينطلق من فوهة البندقية.

جذب(سليم) البندقية من بين يديه بشكل سريع ومفاجئ، وأدار فوهة البندقية لتواجه(رامي) بدلاً منه ثم ألغى قفل الأمان، الذي قام بتفعيله عندما ربت على البندقية بيده، واعتصر معه الزناد لينطلق شعاع الليزر القاتل، ويعبر صدر(رامي) لينفذ عبره إلى الفراغ خلفه.

ارتعد (ريكارد) و(نعماء) من المشهد وشهق(رامي) شهقة عنيفة، والدماء تنزف داخل أورده وشرابينه، التي قام شعاع الليزر الحاد بقطعها وكيها في نفس الوقت.. فكانت الدماء داخل جسده تتجمع في عدة مناطق ولا تستطيع أن تغادرها، الأمر الذي جعله يشعر بآلام فظيعة تغمر صدره، وهو يركع ثم يستلقي على جنبه لاهثاً بعنف؛ لتنفجر الدماء في النهاية من جرحه بغزارة شديدة ومن فمه وأنفه وهو يشهق شهقات عنيفة، وهو ينظر إلى(سليم) بعيني مندهشة من فرط الألم والمفاجأة في آن واحد.. إلى أن توقف جسده عن الارتجاف بعد لحظات بينما تعلقت به أبصار الجميع.

صرخت(نعماء) وهي تسرع لتتحني على جسد (رامي) وتهتف باسمه بينما نظراتها تنهر(سليم) وهي تصيح:

"لا.. لا.. لماذا.. لم قتلته.. أيها الوغد.. لماذا؟.. كان يمكنهم أن يلقوا القبض عليه، ولكن لماذا اخترت أن تنهي حياته هكذا؟.. لماذا؟!".

"لقد حاول قتلي.. في حالة إذا لم تلاحظي ذلك".

"أهكذا إذن.. يحاول قتلك فتقتله؟!".

كان(سليم) يعلم أنها فقدت التحكم في أعصابها، وعلى مشارف انهيار عصبي فكان يعزي هذا الذي يحدث منها لما هو يحدث حولها.

هتف(سليم) بينما يلتفت لينظر إلى (ريكارد) الذي ركع على ركبتيه، وبدأ يبكي...

"عليك أن تهدئي.. كل ما هنا لا بد له وأن ينتهي".

هتف(ريكارد)صائحًا، وهو يبكي:

"لقد دمرت كل شيء قمت به.. لقد أفنيت حياتي من أجل هذا.. وجئت أنت الآن لتدمره".

انحنى(سليم) لينظر إليه قائلاً:

"وكم من حياة أز هقت على يديك في سبيل الوصول لما تريد الوصول إليه؟.. إذا قتلتك سوف أكون رحمتك من أن تنال الجزاء على ما اقترفته يدالك".

أخرج (سليم) من جيبه بعضًا من المحقن المسكن وهو يمسك بذراع (ريكارد) ويحقنه بها، الذي ظل مستسلمًا باكيًا لا يستطيع أن يفعل أي شيء.. مضت ثوان إلى أن فقد وعيه.

هتفت(نعماء) غاضبة وهي تنظر إلى(ريكارد) متسائلة:

" ما الذي ستفعله به .. هل ستقتله هو الآخر؟".

نظر(سليم) إليها متسائلًا هو الآخر:

"ماذا تظنين أنني سأفعل به؟".

"هل ستقتله؟".

عادت تسأله بتحفز

نظر إليها وهي تبادله النظرة محاولة أن تفهم من وجهه ما الذي ينوي فعله.

"عودي إلى المكوك يا(نعماء).. يجب عليكِ المغادرة الآن.. أنتِ تعلمين أنهم تلقوا بالفعل الإشارة بوفاة(رامي) وسوف يحاولون الاتصال بكِ لمعرفة ما حدث.. فقط أخبريهم بأن الطيار الأول ومهندس الصيانة قد لقيا حتفهما".

"كلا.. لن أتحرك ليس قبل أن تخبرني ما الذي ستفعله به؟".

"ما الذي تريدين أن يحل به؟".

سألها(سليم) في تحد وهي تنظر إليه بتحد مماثل.

كانت النظرات المستعرة المتبادلة في نظرات عيونهما أشد وطئًا ألف مرة من كلماتهما.

عيناه تحمل اليأس والتعب والإرهاق.. والكثير من الآلام.. آلام الماضي التي أشعلتها في داخله مجددًا آلام الحاضر.

وعيناها كانت تحمل الأمل.. الأمل الذي تبحث عنه ولا تجده.. الأمل الذي من شدة انعدامه حاولت أن تدفنه في أعماق قلبها مع وعد منها ليس بأكيد بأنه سيشرق يومًا ما رغم كل ما تراه فيمن حولها.

كانت آلامه ممن هم في ماضيه.. مما فعلوه له.. آذوه وتركوه وسط آلامه... تسببوا له في الكثير من المعاناة.. ولذلك فهو لا يريد لكل هذا الألم أن يستمر... يريد استرداد دفعة واحدة من كرامته.. من اعتباره.. يريد إهداء هذا الألم إليهم... من أجل أن يتأكدوا من أن مرورهم في حياته لم يكن هكذا بلا ثمن... بل كان أفدح ما يمكن أن يكون.. أن يقطعوا في كل مرة قطعة من روحه؛ ويقوموا بحرقها أمام عينيه.

وكان أملها في أنها من فرط ما رأت من سوء من كل الرجال التي عرفتهم منذ أن فتحت عيناها على هذه الدنيا.. كان في داخلها حقيقة تؤمن هي بوجودها.. وتحاول أن تكذبها بهذا الأمل.. الحقيقة أنه لا يوجد رجل يتغير إلا للأسوأ مما هو عليه.. وكان أملها أن تحاول أن تجد من يتغير للأفضل مما هو عليه.

كل هذا وأكثر كان يضمه كل منهما في نظرات عينه للآخر، التي قاربت الرجاء.. رجاؤها ألا يقتل (ريكارد)؛ لكي لا يصير إنسانًا أسوأ ويعتاد القتل.. بينما هو يريد أن يرد لمن هم أمثال (ريكارد) جزءًا طفيفًا مما يرتكبونه في حق البشرية من عذاب.

"لابد أن تتركيني أستكمل ما بدأت."

قال لها (سليم) هذه العبارة بلهجة امرأة.

"لا يمكن أن أتركك تتحول إلى قاتل.. ألا يكفي ضحية واحدة سقطت؟".

أشار (سليم) إلى جثة (رامي) صائحًا:

"لقد كان خائنًا.. جاسوسًا لصالح مجرم.. وحاول أن يقتلني.. هو ليس ضحيتي هو ضحية أفعاله.. وإن أصابني هذا الشعاع بدلًا منه هل كنت ستحاضرينه مثلما تفعلين معي الآن؟".

"لا تتخذ أخطاء الآخرين اللحظية مبررًا لك؛ لكي تكون واحدًا منهم!".

"إن كان قتلني.. كان هذا ستسمينه خطأ لحظي؟!.. لماذا لا تتنحي عن دور المصلحة المثالية يا (نعماء) فأنت لا تجيدينه.. وقبل أن تعترضني على من يتخذ رد الفعل؛ عاتبي أصحاب الفعل أولاً".

"(سليم)".

قالتها ثم وقفت تعترض الطريق بينه وبين جسد (ريكارد) وهو يقول لها:

"(نعماء).. يجب عليكِ المغادرة".

"لن أتركك تفعل ما تريد فعله".

"إذن أنت لم تتركي لي خيارًا آخر".

أمسكها بيده من كتفيها بعنف؛ ودفعها جانبًا وما أن خطا خطوة واحدة خلفها حتى عادت لتقف أمامه مجددًا وهي تهتف:

"لن تصل إليه".

صاح (سليم):

"ابتعدي".

أثارت صيحته فزعها، ولكنها ظلت في مكانها لم تتحرك.

"لماذا تدافعين عنه؟".

"لأن هذا الذي يجب أن أفعله ليس من أجله فقط، بل من أجل الدفاع عن أي كائن من كان".

"هل تعرفين عدد الأشخاص الذين تسبب في مقتلهم هذا الرجل؟ ..
الآلاف.. وكل هذا لأن من مثله حينما يمتلكون المال يمتلكون كل شيء.. يمتلكون الحرية في تبديد أي شيء لا يروق لهم حتى وإن كانت حياة بشر أبرياء.. لا بد وأن نسلب منهم هذه الحرية.. هؤلاء لا بد وأن يعلموا أن لكل شيء ثمنًا.. مثلما يدفع الآخرون حياتهم وحريرتهم لقاء رغبات هؤلاء.. لا بد أن يدفعوا هؤلاء أيضًا ثمنًا هائلًا لقاء ما يفعلونه للناس.. من أخطأ لا بد وأن يعاقب".

"ولم لا نسلمه للسلطات ويتم محاكمته ويلقى جزاءه بالقانون.. لا بشرية الغاب؟".

"مثل هؤلاء لم تصمم لهم السجون.. السجون صممت لمن هم مثلنا.. المتمردون على القوانين التي وضعها الأغنياء لحماية مصالحهم.. من هم مثلنا يستحقون أن يتم تصميم قانون (عادل) لهم يعطيهم شتى الوسائل من العقوبات والمحاكمات والسجون التي تليق بترويضنا.. والأمر منطوقه معروف حتى لا تصبح غابة.. إذا ما صار هؤلاء الأقوياء ضعافًا

في أي وقت.. صاروا بالقوانين وقدرتهم على التلاعب بها أقوىاء دائماً.. ونحن إذا ما أصبحنا أقوىاء فبمثل تلك القوانين هم يضمنون لهم القوة دائماً ويضمنون أن نظل مكبلين دوماً".

"منطقك ملتوٍ يا (سليم) وأنت تعلم هذا جيداً".

"ومنطقك السليم يا (نعماء) لن يظل سليماً وقت اللجوء إليه.. وإذا لم تتم محاكمته فقد انتهى كل شيء.. ومثل هؤلاء لا يمكن أن يتركوا ورائهم أدلة.. رغم فداحة ما فعلوه.. عليك أن تتركيني أقوم بهذا.. لو اكتشفوا ما كان يحضر له (ريكارد) هنا ربما ستقوم حروب بسببه.. هل تعلمين كيف سيكون الحال إذا ما اكتشف أحدهم مصدرًا للطاقة بمثل هذه القوة التي كان يتحدث عنها.. إنه شيء يفوق الوصف.. هذا الاكتشاف كان منذ مائة عام لا يمكن الوصول إليه.. هؤلاء فعلاً قاموا بنقلة علمية.. ولكن بأي ثمن؟".

لم تستطع كلماته استمالتها وهي ترد:

"لن اسمح لك مهما قلت لي بأن أتركك تقتله مثلما قتلت (رامي)".

"هل مشكلتك في الوسيلة؟".

"مشكلتي أنك متساهل في الأساس في قتل أي إنسان".

"لقد فعل هو ما هو أكثر من ذلك.. ليس هناك وقت.. هيا غادري المكان".

هتفت مجدداً:

"ماذا ستفعل؟".

ذهب مسرعًا ليقوم بتفتيش جثمان (رامي) وهو يستخرج بطاقة الدخول من أحد الجيوب، ثم نهض وعاد إليها ليعطيها لها في يدها قائلاً:

"حان وقت الخروج".

ثم تحرك مسرعًا ليقوم بإعداد (ريكارد) من أجل حمله، بأن قام بتقييد يديه خلف ظهره إلا أن (نعماء) ألقت بالبطاقة جانبًا ثم أسرعت نحوه، وهي تنتزعه بعنف وتقوم بدفعه إلى الخلف؛ لتمنعه من مواصلة ما يفعله، واتخذت وقفة قتالية مستعدة وهي تقول في تحفز:

"لن أتركك تفعل ذلك.. لن أتركك تقتله".

قالتها وهي تدور حول نفسها في سرعة؛ لتركل (سليم) في وجهه ركلة عنيفة لتطيح به، وتلقى به بعيدًا..

كانت الركلة من المفاجأة والقوة أدت إلى أنه ظل يحاول أن يفيق من سقوطه لعدة لحظات.. وحاول أن ينهض ببطء.. وهو ينظر إليها.. غير مصدق تمامًا لما فعلته للتو.. حاول استعادة اتزانه وهو يعود إلى الوراء خطوتين، ويقف بنفس الوقفة القتالية، التي تقفها هي وبدت على وجهها ملامح الأسف، وهي تقول له.

"أنا آسفة.. لن يمكنني أن اسمح لك بأن تقتله وأقف هكذا متفرجة".

"إذن علينا أن نخرجك من هنا".

هاجمته هي في سرعة وهي تكيل له اللكمات، التي ظل يبتعد إلى الوراء؛ لكي لا تصيبه وتصدي للعديد من لكماتها الخاطفة وركلاتها السريعة بذراعيه وساقيه، وكان يتحرك في سرعة فلم تستطع أن تصيبه سوي في النهاية لكمته في معدته لكمة عنيفة، ثم أتبعها بركلة ببسراها غاية في القوة في صدره؛ لتدفعه إلى الخلف بقوة شديدة ليسقط أرضاً مجدداً، وهذه المرة وهو يسعل بقوة وبصق بعضاً من اللعاب الممتزج بالدماء.

>> لا أستطيع أن أحتمل هذا.. لو أنه يستمع إلي ولا يضيع الوقت في كل هذا الصراع.. أنا لا أحتمل أن أؤذي أنا بأكثر مما تأذى منه فعلاً.. يكفيه تسممه الذي ينهش في أعضاء جسده>>.

ظل(سليم) يسعل بشدة وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه، فلم تحتمل هي أن يظل هكذا لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه؛ فاقتربت منه وهي تعاونه على النهوض.. إلا أنه لم يستطع وهو يقول لها لا هتأ:

"أعتقد أن ضلعاً آخر قد تحطم".

ظل يسعل وهي تحاول أن تجعله ينهض؛ فاستغل هو قربها منه وناورها سريعاً، وقام بتكبير حركتها وهي تصرخ:

"(سليم) لا تفعل هذا".

لم يمهلها الوقت لتحاول المقاومة، كان هو بتقهقره للخلف اقترب حتى أصبح ملاصقاً للعمود الزجاجي، الذي كانوا مقيدين حوله هاتفاً:

"سامحيني يا (نعماء)".

قام بصدم رأسها من الخلف بقوة بالعمود؛ لتنفذ الوعي بينما ظل هو ممسكاً بها من الخلف في حرص بالغ لكي لا تسقط.. أراح جسدها ليحمله يستلقي على الأرض، وهو ينظر إلى مكان صدمه لرأسها، الذي نجم عنه جرح في رأسها.

<<اللعة.. لقد كان ارتطام رأسك قوياً أكثر مما ينبغي.. سامحيني.. ولكن أنتِ التي جعلتي مثل هذا الأمر ضرورياً.. لو لم تعانديني لكان كل شيء على ما يرام>>.

نهض مسرعاً وهو يتجه إلى جسد(ريكارد) ويقوم بحمله من ساقيه.. وأخذ يفكر بينما هو يحمله أين يمكن أن يخفيه.. لا بد ألا يعثروا عليه.. والأهم ألا يجدوا آثاراً لما وقع هنا.. لا بد ألا يصلوا لهذا المبنى من الأساس.

لذلك ينبغي التخلص من(ريكارد) بوسيلة لا تترك وراءها أي أدلة.

<<يجب إحكام غلق كيس القمامة قبل التخلص منه>>.

<<القمامة!>>.

ظل يسير حاملاً جسد (ريكارد) حتى عاد به إلى الساحة الرئيسية، التي دخل عبرها إلى القاعدة القمرية، التي شهدت بداية دخوله المبنى.. عبر أحد الممرات الجانبية المرتبطة بالساحة الرئيسية، وتوقف أمام أحد الأبواب الزجاجية الكبيرة، والباب ينزاح في نعومة عند وقوفه أمامه؛ ليعبره ويضع جسد(ريكارد) جانباً، بينما ظل يتأمل المكان حوله وهو يعاين ببصره عدة مركبات فضائية مصطفة على جانبي الغرفة.

نظر إلى جسد(ريكارد) المسجى جانبه، وهو يبتسم ابتسامة واسعة قائلاً:
"يبدو أنه القدر سوف يفاجئك بنتيجته هذه المرة".

الفصل الرابع عشر

((هذا وقد أسفر الحادث الإرهابي الأول من نوعه في مثل هذا المكان عن خسائر في المعدات قدرت بمئات الملايين من الدولارات.. ومقتل أحد قائدي المكوك وإصابة الطيار المساعد و مهندس الصيانة.. وكانت التحقيقات الأولية مع الناجين من ذلك الحادث المروع تشير إلى أن المسؤول الأول عن هذا العمل هو أحد الرجال الآلية صاحبة الذكاء الاصطناعي المتطور.. وكان هذا من أجل ابتزاز الشركة المالكة لشبكة الطاقة القمرية، وشركة الاتصالات المسؤولة عن ربط الشبكة القمرية بمراكز التحكم الخاصة بها المنشأة على سطح الأرض.. وبعد الكثير من المحاولات والصراعات التي انتهت بتفجير الآلي لنفسه؛ مما أدى إلى مقتل الطيار وتدمير شبه كامل لقاعدة التحكم الرئيسية المسؤولة عن إدارة شبكة الطاقة، الأمر الذي معه ستتوقف الشبكة القمرية عن العمل لفترة قد تصل إلى عام كامل، إلى أن يتم إعادة بناء المعدات وتصميم أنظمة حماية جديدة يمكنها منع تكرار ما حدث)).

كان هذا التقرير الإخباري الموجز يتم إذاعته عبر إحدى قنوات البث الفضائي، ويتابعه كل من (عطاء) و(نعماء) داخل غرفة العناية المركزة التي يتلقى بها (سليم) العلاج.

قال(عطاء) وهو ينظر إلى (سليم) ويبدل بصره بينه وبين (نعماء):

"لقد نجوتما بأعجوبة".

نظر إليه(سليم) الراقد على فراشه، المتصل به العديد من الأنابيب الدقيقة المتصلة بجسده، الذي تم تغطية أجزاء كثيرة منه بأربطة طبية

معقمة لمنع العدوي، وارتدي كل من (عطاء) و(نعماء) كمادات منعًا للعدوي؛ نظرًا لحالة (سليم) الصحية، التي كانت لا تسمح له ببذل أي مجهود بعد أن تدهورت تمامًا بمجرد عودته إلى جو الأرض، الذي لم يستطيع أن يحتمله جسده الضعيف بعد إصابة الجهاز المناعي لديه بصدمة من جراء العقار السام، الذي تم حقنه به في رحلته.

"اتركنا بمفردنا يا (عطاء)".

تحدث (سليم) بهدوء وبنبرة صوت خفيفة.

فأطاعه (عطاء) وهو يتجه خارجًا من الغرفة المعقمة، بينما اقتربت (نعماء) التي أحاطت برأسها ضمادة طبية كبيرة من أجل الصدمة التي تلقتها في رأسها.

"قبل أن أقول أي شيء.. أريدك أن تسامحيني على ما تسببت به من أذى لرأسك".

"لقد تسببت لي بارتجاج بالمدخ.. هل تعلم هذا؟".

"أنت لم تستمعي إلي".

"كل هذا الآن ليس بالشيء المهم.. الأهم أن تسترد صحتك".

"هناك عدة أشياء أريد أن أتحدث معك بشأنها.. ويجب أن أفعل هذا الآن.. أريد منك أن تنزعي بطاقة التعريف التي لديك في هاتفك المحمول.. أريد تجربة شيء ما".

قامت بنزع بطاقة التعريف من هاتفها المحمول وهي تسأله:

"هل لديك بطاقة تعريف أخرى تريد أن تضعها في الهاتف أم ماذا؟".

أشاح بيده نافيًا:

"كلا.. كل ما في الأمر هو أن هناك أحد فرق التتبع السرية، يريدون معرفة حقيقة ما حدث.. لذلك فهم يستمعون إلى محادثتنا عبر هاتفك المحمول.. بانتزاعك بطاقة التعريف من الهاتف.. لن يمكنهم تحديد مكانه، أو التسلل عبر تسجيل هاتفك على الشبكة، والولوج عبره للاستماع إلى محادثتنا".

تساءلت:

"وكيف علمت أنت بشأنها طالما كانت (سرية)!"

"أنا مخترق للأنظمة.. هذا هو عملي.. أنا أستطيع توقع ما يفعله الآخرون.. عندما يتعلق الأمر بالاختراق تحديدًا".

سألته مجددًا:

"ولماذا يريدون ذلك؟".

أجابها محتدًا:

"لا يوجد هناك وقت الآن لمناقشة ذلك.. لا يجب أن يعلم أحد بما حدث فوق سطح القمر.. لو عرفوا بذلك الأمر.. ربما ستقوم حروبًا لا نهاية لها من أجل الصراع للسيطرة عليه.. أو ربما يستكمل أحدهم ما أوقفناه بالفعل.. ونمنحي من على وجه هذا العالم.. استجوابهم لك ليس محاكمة.. ولن يتهمك أحد بشيء.. ولا توجد جهة سوف تقاضيك من

أجل شيء.. ولا توجد أدلة ناقصة يريدون استكمالها للتأكد من أي شيء.. أنت من البداية كان وجودك في المكان الخطأ في التوقيت الخطأ، هو سبب إقحامك في كل هذه المشكلات.. لقد أنهيت تلك الفوضى التي كانت هناك بالطريقة التي لن يستطيع أحد معها أن يتساءل أو يعثر على أي شيء يثير الريبة..

لن يعثر أحد على شيء إلا إذا كان يبحث عنه.. لن يعثر أحد على حقيقة مخفية ما لم تبدو له الحقيقة الظاهرة ناقصة.. سأترك الأمر لك ولضميرك.. أنا لن أحاول إجبارك على إخفاء شيء بقدر ما أحاول إثارة انتباهك للآثار الجانبية التي ستحدث لو رويت ليهم كل ما حدث هناك... وأريدك أن تعلمي.. أنا لن أتفوه بكلمة.. وسوف أمتنع تمامًا عن الإدلاء بأي شيء.. وأرجو أن تفعلي المثل".

لم تحاول (نعماء) أن تعقب على كلامه لعلمها أنه يقترح أفضل الحلول إلا أن عقلها لا يزال يطرح تساؤلات لا نهاية لها منذ عودتهما إلى الأرض.

>>ما الذي حدث هناك؟.. وأين ذهب(ريكارد)؟ ما الذي فعله به (سليم)؟.. هل قتله وأخفي جثته؟.. ما الذي قام به(سليم) ليتسبب بانهيار القاعدة القمرية بمثل هذا الشكل المرعب، الذي صارت عليه لقد أصبحت ركامًا.. كيف حدث هذا.. وكيف نجونا من وسط كل هذا الدمار؟!<<.

الفصل الخامس عشر

بعد مضي خمسين يوماً....

كان(سليم) و(عطاء) يتوجهان بسيارة الأخير إلى أحد المطاعم الشهيرة،
ليشير (سليم) إليه تجاه أحد أماكن الانتظار وهو يقول:

"دعنا ننتظر هنا".

توقف(عطاء) بالسيارة وهو يسأل (سليم) باندهاش:

"ما الذي ننتظره؟".

التفت إليه(سليم) ووجهه يعلوه السرور قائلاً بابتسامة واسعة:

"نحن ننتظر رؤية عرض مسرحي قصير، ليس له مثيل، سيحدث أماناً
هنا في غضون دقائق معدودة.. لا تقلق ستراه بنفسك".

سأله(عطاء) مجدداً:

"هل الأمر سري إلى هذا الحد؟".

مط(سليم) شفتيه وهو يرمقه بنظرة استياء قائلاً:

"لِمَ لا يمكنك حتى محاولة مجاراتي مرة واحدة طوال حياتك؟.. فيم تفيد
الصداقة إذن؟".

"وهل هذه الصداقة تفيد إذا كنت تخفي أسرارك عن أقرب أصدقاءك،
بينما تهدده بإفشاء أسرارهم؟".

نظر إليه (سليم) لعدة ثوان ثم نظر أمامه تجاه مدخل المطعم وهو يرد ساخرًا:

"ألم يكن أقرب أصدقائي هذا هو نفسه الشخص، الذي قرر أننا لم نعد أصدقاء مجددًا، وأنا على أعتاب ربما آخر رحلة عمل لي في حياتي؟".

أشار (عطاء) إليه بيده مدافعًا:

"ربما أكون فعلت ذلك.. لكن بمجرد معرفتي لما حدث معك لم أستمّر في الاستجابة للخلاف، الذي كان بيننا وقمت بالفعل بزيارتك لا تنكر ذلك".

"ما الذي تفعله؟!".

"ماذا؟".

"لماذا تعتذر؟ أنت لم تخطيء... لقد كان رد فعلك طبيعيًا، وتصرفت كأى إنسان طبيعي في مثل تلك الظروف".

فجأة ودون أية مقدمات تأتي سيارتان من سيارات الدفع الرباعي الضخمة، ذات اللون الأسود مسرعة لتتوقف أمام بوابة المطعم بصريّ مزعج، ويهبط ستة أشخاص، أربعة من السيارة الأولى، واثنان من السيارة الثانية، ويحيطون بمدخل المكان، يرتدون جميعًا سترات سوداء اللون، يظهر من تحتها واضحًا السترات الواقية للرصاص فوق قمصانهم، وتحمل وجوههم جميعًا عوينات شمسية تخفي أعينهم.. ينفصل عن تلك المجموعة أحدهم؛ ليدخل إلى المطعم بمفرده بينما ظل الخمسة الباقون منتظرين بجانب السيارات.. لم تمر سوى عدة ثوان

حتى رفعوا جميعاً أيديهم في نفس التوقيت تجاه أذانهم؛ ليتلقوا رسالة صوتية يقوم بعدها ثلاثة بالركض إلى داخل المطعم، ويظل اثنان واقفين بجانب السيارتين، وأعينهم متحفزة تجوب المكان بأكمله والمنطقة المحيطة.

مضت ثوان ثقيلة أخرى قاربت الدقيقة ليرى (سليم) و(عطاء) الأربعة رجال الذين كانوا بالداخل يخرجون مغادرين، وتقف بين يدي اثنين منهم امرأة قاموا باصطحابها إلى باب السيارة الأولى الخلفي، ورافقها ثلاثة رجال في نفس السيارة، بينما اتجه الثلاثة الباقون إلى السيارة الثانية.

استغرق الأمر كله دقائق وانطلقت السيارات مسرعة تاركة خلفها سحابة من العادم الأبيض الخفيف، وصرير إطارات عنيف ينم عن أن صاحبه في عجلة من أمره.

"ما الذي حدث للتو أماننا؟"

سأل (عطاء) (سليم) وهو لا يزال ينظر إلى مدخل المطعم، الذي لم يظهر أمامه أحد كما لو أنه لم يحدث شيء منذ دقيقة.

نظر إليه (سليم) والابتسامة لم تفارقه بعد، ثم انتبه إلى سؤال صديقه فأشار إليه قائلاً:

"حسنًا.. سأشرح لك كل شيء بينما نحن نتحرك.. هيا بنا لنغادر".

سأل (عطاء) مجددًا:

"إلى أين سنذهب هذه المرة؟".

"سنذهب إلى بيتي.. لدي موعد ويجب أن أستعد له".

تحرك(عطاء) بالسيارة وهو يدرك تمامًا عدم جدوى محاولة إثناء (سليم) عن أسلوبه الطفولي في التصرف.

"هذه التي رأيتم يقبضون عليها هي (عايدة)!.. وهؤلاء الرجال يعملون لدى جهاز المخابرات العامة".

علت علامات الذهول وجه(عطاء) متسائلًا:

"(عايدة).. وما علاقتها بجهاز المخابرات؟".

حدق(سليم) في عيني صديقه وهو يعاود الابتسام:

"لا شيء .. سوى أنها متهمة في الشروع في اختراق الجدار الناري لشبكة المعلومات الخاصة بهم.. أمر مؤسف كما تعلم".

هتف(عطاء) غاضبًا:

"أيها الوغد اللعين... إنه أنت من قام بذلك".

اعترض(سليم) ببراعة مصطنعة قائلاً:

"أنا لم أفعل شيئًا بينما هي، فعثروا على جهازها الشخصي أدلة تربطها بمحاولة الاختراق.. يا لها من مصادفة عجيبة.. من كان يتوقع أن يحدث هذا؟.. لا بد أنها من حاولت توريطي في هذه التهمة".

وصلوا إلى منزل (سليم) و(عطاء) يصف السيارة في مكان الانتظار،
ثم أوقف المحرك والتفت إلى (سليم):

"حسنًا هنيئًا لك عملية استعراض القوة التي قمت بها.. لقد نجحت فيها
وببراعة إلى الآن.. هل تكف عن هذا الهراء وتخبرني ما الذي
سيحدث؟".

"أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا.. لقد طلبوا مني أن أبقى معهم على تواصل وأن
أدلي إليهم بأي معلومات توافرت لدي إذا ما علمت من الفاعل.. لقد
قمت بما طلبوه مني".

هتف (عطاء) وهو يعنفه:

"أيها المجنون.. إذا ما تم إثبات مثل هذه التهمة سيؤدي ذلك إلى سجنها
ظلمًا".

"لقد تم إثبات التهمة بالفعل.. وسوف تقضي عقوبة تتراوح ما بين
الخمس عشرة إلى أربعين عامًا في السجن الحربي المشدد على
حسب ما سوف يحدده القاضي".

حل (عطاء) رباط عنقه، الذي شعر فجأة أنه يضيق على أنفاسه، وهو
يفتح باب السيارة ويهبط منها سريعًا، ويستند إلى مقدمة السيارة وهو
يلهث.

هتف (سليم) وهو يهبط من السيارة:

"هل أنت بخير؟.. (عطاء).. ماذا حدث؟".

أسرع (سليم) ليمسك ب(عطاء) الذي كان أقرب إلى وضع الركوع، ولا يزال يلهث بعنف ويمسك ب صدره و(سليم) يسأله:

"ما الذي حدث؟.. بم تشعر؟.. (عطاء) هل أنت بخير .. أجبني".

انحني إلى وجه (عطاء) ليفحصه؛ الذي ما أن وجد (سليم) أصبح أمامه مباشرة حتى وجه لكمة قوية إلى وجهه؛ لتطيح به أرضاً، ثم سار مسرعاً تجاهه، وهو يجثم فوقه بركبتيه؛ ليمنعه من الوقوف، ويوجه لكمة أخرى أكثر عنفاً من الأولى إلى أنف (سليم)؛ لينهض بعدها (عطاء) وهو لا يزال مشتتلاً من الغضب، ويركل صديقه بركلة في صدره ثم بأخرى في معدته وهو يهتف حانقاً:

"أيها السادي القذر اللعين.. كان يجب ألا ينقذك حينما كنت تموت على سطح القمر.. كان يجب عليهم أن يتركوك تتعفن هناك".

احتمل (سليم) اللكمات والركلات دون أن يحاول أن يصدر أي رد فعل.. كانت لكمات (عطاء) كسرت أنفه وأصابته بنزيف في أنفه وشفتيه؛ فنهض وهو يحاول أن يمسح خيوط الدماء المتفجرة من وجهه بيده وهو يرد:

"لك الحق أن تغضب مني.. لكنك تغضب لما سمعته فقط.. لا توجه غضبك تجاه المخطئ هنا.. أنت تلوم صاحب رد الفعل.. دون أن يكون لك أي تعليق على صاحبة الفعل نفسه".

تفاجأ الأثنان بسيارة (نعماء) تقتحم المشهد، وتستقر بجانبهما متوقفة، ثم هبطت منها (نعماء) مرتدية قميصاً أسود طويلاً يتجاوز خصرها،

وتنورة حمراء براقة اللون، وطرحة رأس بنفسجية اللون.. كما تفضلها هي دائماً بدرجات مختلفة من الأزرق إلى البنفسجي، وتضع عوينات شمسية كبيرة الحجم تخفي نصف وجهها.. ما أن اقتربت منهما حتى انتزعت نظارتها وهي تنظر إلى وجه (سليم) النازف متسائلة:

"ما الذي حدث لك؟"

ابتسم (سليم) وهو يشير إلى (عطاء) قائلاً:

"لا شيء.. خلاف حاد في وجهات النظر ليس أكثر."

هنا هتف (عطاء) ونبرات صوته تشتعل من الغضب:

"هيا.. أخبرها ما الذي حدث؟.. إن كنت تجرؤ على ذلك."

رد عليه (سليم) باتزان:

"ليس لها دخل في (وجهة النظر) التي نختلف فيها".

"وجهة نظر أن توقع بإنسانة بريئة وتؤدي لاتهامها زوراً؛ لتقضي ربما بقية عمرها في السجن؟!".

مط (سليم) شفثيه غاضباً؛ لأنه لم يكن يريد أن يخبرها (عطاء) بما فعله ثم التفت إليها متسائلاً:

"لماذا أنتِ هنا؟".

نظرت (نعماء) إليه بدهشة شديدة متسائلة:

"ألم نتفق بالأمس أننا سنزور زوجة (رامي)؟".

هنا عادت الحيرة لتكون من نصيب (عطاء) وهو ينظر إليها متسائلاً:

"(رامي)؟!"

قبل أن تحاول (نعماء) الإيضاح تدارك (عطاء) نفسه وهو يرد:

"نعم.. نعم لقد تذكرت... زميلك الطيار الذي توفى في رحلتكم الأخيرة".

ظلت (نعماء) ترمق وجه (سليم) وإصاباته وأشارت إليه:

"هيا يا (سليم).. لنذهب.. بينما تخبرني في طريقنا ما الذي حدث".

نظر (سليم) إليها نظرة تحمل في داخلها كل لمحات الرجاء، كأنه يريد أن يقول لها

"رجاء لا تفعلي هذا بي".

لم يكن يمتلك أي خيار آخر.. لقد أخبرها (عطاء) بالفعل، وأصبح الأمر مسألة وقت، حتى تعلم بتفاصيل ما حدث.

"لم ينته الأمر بعد يا (سليم)".

هتف (عطاء) موجهاً عبارته الصارمة إلى (سليم)، الذي حاول تجاهله، وهو يفتح باب سيارتها ويستقر في مقعده، ويغلق الباب بينما لوححت (نعماء) إلى (عطاء) مودعة إياه ليقول لها هي الأخرى:

"لا تدعيه يستمر فيما يفعله.. سيدمر نفسه ويدمر جميع من حوله".

أثارت كلماته في داخلها الريبة فأومأت برأسها محاولة طمأنته وطمأنة نفسها، وهي تحتل مكانها خلف عجلة القيادة وتنطلق بالسيارة في سرعة مغادرة المكان.

بعد مضي عدة دقائق.. ظلت فيها (نعماء) تقود سيارتها صامتة دون أن تحاول فتح المجال للحديث، بينما (سليم) يجلس بجانبها وهو يطالع أنفه النازف في مرآة السيارة الداخلية المثبتة فوق مقعده.. قامت هي بتقديم بعض المناديل الورقية إليه، فأخذها منها وهو يشكرها، ويعاود مسح الدماء التي تسيل من أنفه.. أعاد رأسه إلى الوراء كمحاولة منه لإيقاف النزيف فهتفت هي:

" لا تفعل ذلك.. لا تميل برأسك إلى الخلف بل عليك إمالتها للأمام إلى أن ينتهي النزيف".

اعتدل هو لا إرادياً بسبب صيحتها، وعاود أخذ بعض المناديل الورقية الإضافية؛ ليتابع تجفيف أنفه ومسح جانب شفتيه.

"أعتقد أن هناك أسباباً كافية جعلت (عطاء) لا تأخذه بك رافة، كي يحطم وجهك بمثل هذا العنف".

نظر إليها وهو يرد ببرود:

"بالطبع.. لقد كان ينتقم مما فعلته أنا به قبيل سفرنا إلى القمر بيوم.. ولكني لم أحطم أنفه يومها لقد اكتفيت بصدم رأسه في عجلة القيادة".

نظرت إليه وهي تمط شفتيها متمعة من محاولته الساذجة للهروب قائلة:

"(سليم).. لقد أفصح (عطاء) عما حدث.. لماذا لا تتصرف ولو مرة مثل شخص بالغ عاقل، يتحدث مع البالغين أمثاله، وتجيبني على تساؤلاتي.. من تكون هي؟ وما الذي فعلته بها؟".

ظل(سليم) صامتًا لعدة ثوانٍ يتردد ما بين أن يفصح عما حدث لها، و بين أن يظل يراوغ بينما يعلم جيدًا أنه لا فائدة من المراوغة، وخاصة أن الأمر بالفعل لم يعد يحتمل أكثر من ذلك.

"سأخبرك.. وأنا أعلم أنك لن تتفهمي.. ولكن عليك أن تعلمي أنني أمتلك من الدوافع ما يكفيني للقيام بما فعلته".

"مثلما يجب على أن أنفهم لما قتلت (رامي)؟".

لم يحتمل(سليم) عبارتها فهتف بها غاضبًا:

"إذا كان هو الذي أطلق علي النار وقتها، هل تظنين أنك كنت لتحاضريه وتلوميه على قتلي مثلما تفعلني معي الآن؟ كلا.. لقد كان سينتهي بك الأمر أنت أيضًا جثمان محترق هناك على سطح القمر، دون أن يدرك أحد كيف كانت نهايتك.. لذلك إن كانت هذه طريقتك في قول شكرًا لك على إنقاذك حياتي.. إذن فالشكر مردود لك.. لا أريده".

أشارت إليه بيدها قائلة:

"عليك أن تهذب.. أنا لا ألومك يا (سليم).. أنا فقط لا أقبل ما حدث.. لا أقول أنه لم يكن ضروري لإنقاذ حياتنا.. ولكنني يوجد جزء مني في داخلي لا يزال يصبر أنه كان يمكن أن نتجنب القتل.. ربما أنا مخطئة

في هذا الاعتقاد.. دعنا نعود إلى موضوعنا الرئيسي.. من هي وما الذي حدث؟

فشلت محاولته الأخيرة في الهرب فأذعن بالكلام أخيرًا:

"خطيبتني السابقة".

سألته (نعماء) باندهاش:

"لابد وأن لديها اسم أليس كذلك؟!"

"(عايدة)".

"حسنًا.. ماذا حدث؟".

"لقد انفصلنا.. تركتني ورحلت.. بالطبع لم يكن الأمر بمثل هذه البساطة بالنسبة لي.. لأنني لم أكن متقبلًا فكرة أنها لم تعد لي.. ولكن بمرور الزمن.. تقبلت مجبرًا هذا الأمر.. عجلة الزمن الكاسحة كانت بالفعل تقوم بعملها الطبيعي في إزالة أية آثار تعلق في داخل المرء ممن آذوه.. إلى أن عادت هي مجددًا إلى حياتي وتحاول التلاعب بي.. لقد كانت تعلم جيدًا في قرارة نفسها أنها لا تريدني.. إنها فقط تريد إشباع غرورها بوجودي في حياتها.. ثم تعاود مجددًا بالمغادرة.. لم أكن أشعر بمثل هذا التلاعب في البداية.. كنت دومًا وقتها ألوم نفسي لأنني لم أستطع أن أحتفظ بها مجددًا بعد عودتها.. ولم أستطع تفادي أخطائي التي جعلتها ترحل في المرة الأولى.. إلى أن تكررت عودتها قبيل سفرنا إلى القمر بيوم.. وهي تخبرني بأنها تريد مني أن نعود إلى بعضنا مجددًا.. وأنها انفصلت عن زوجها مؤخرًا".

نظرت إليه(نعماء) متسائلة:

"حسنًا وماذا في طلبها جعلك تظن أنها تتلاعب بك؟ ربما كانت بالفعل تعني ما طلبته".

"ليس في ذلك شيء سوى أنها لم تنفصل عن زوجها.. لقد كانت تتلاعب بي مجددًا، وهي واثقة تمامًا أنني سأكون مثل كل مرة كالساذج، الذي تخدعه من آن لآخر؛ لكي تتسلي بوجوده في أوقات فراغها".

مطت(نعماء) شفيتها مستاءة من تلك الحقيقة الصادمة التي أقرها:

"رغم عدم يقيني من استنتاجك هذا بخدعتها لك.. إلا أنه للأسف هذا ما تفعله بعض النساء أحيانًا".

هتف(سليم):

"اليوم عندما تم القبض عليها كانت برفقة زوجها.. وطوال الفترة التي ذكرت أنهما كانا منفصلين خلالها أيضًا.. هل يمكن للمرء أن يزيف هذا أيضًا؟".

لم تستطع هي أن تعقب على كلامه.. ظلت صامتة لدقائق كاملة، لتترك أعصابه تهدأ نظرًا لثورته في حديثه معها، لقد كان الأمر يؤرقه ويؤذي مشاعره إلى أقصى درجة.. الألم ينضح من كل حرف من كلماته عنها... وهي اختبرت ذلك من قبل أيضًا.. فلم تحاول أن تهون من الأمر؛ لأنه ليس هين بالفعل، أحيانًا لا يمكنك مساعدة من يتأوه سوى بترك الحرية له لكي يصرخ بكل ما فيه.. لقد ظل يتكتم كل هذا الألم فيما يبدو للكثير من الوقت.. وهذا الألم لابد له من نهاية

سألته:

"هل لهذا السبب قررت الانتقام منها؟".

كانوا قد وصلوا إلى المنزل بالفعل فأوقفت سيارتها ثم التفتت إليه، وهي تنظر إليه في عينيه مباشرة كأنها تحاول اختبار صدق كلماته:

"أنا لم أقرر شيئاً يا (نعماء).. هي من ظلت تحاول التلاعب بي.. لم أجبرها على تكرار ذلك.. ولكل فعل لابد أن يكون له رد فعل.. وهذا الذي فعلته بها ما هو إلا رد فعل لأفعالها".

"وما الذي فعلته لها؟".

"لقد لفقت لها تهمة ستقضي بسببها عقوبة قاسية.. تلك التهمة ستقضي بسببها ربما بقية عمرها في السجن المشدد".

ظلت تفكر لثوان فيما يقوله وهي تعيد ترتيب أفكارها:

"على العكس مما تتوقع أن تسمعه مني.. أنا أريدك أن تنتقم.. لكرامتك.. ولكبريائك الذي طعنك فيه.. عليك أن تطفئ النيران التي لا تكف هي عن إعادة إشعالها في مشاعرك من آن لآخر في كل مرة تحاول الاقتراب منك فيها.. ولكن أنا لا أشجعك على الانتقام بمثل هذه الطريقة.. الانتقام يجب أن يكون مفيداً وليس مدمراً".

تبدلت ملامح وجهه للتعجب وهو يسألها بدهشة:

"الآن أصبح للانتقام أنواع؟!".

أشاحت بيدها تستوقفه لتستكمل حديثها:

"نعم.. الطريقة التي قمت بها بالتأكيد ستكون مدمرة لها وهذا الجزء الذي سيجعلك تهدأ وتشعر بالرضا ربما لعدة أيام.. ولكن إن عاجلاً أو آجلاً؛ سيشتعل ضميرك باحثاً عن الغفران، ولن تستطيع وقتها أن تجده.. لعدم تناسب حجم العقاب مع حجم الإساءة.. هناك طريقة مختلفة لتنفيذ انتقامك أعتقد أنها ستكون أفضل.. ما كانت تفعله هي ليس سوى استعراض لشدة تأثيرها عليك.. أفضل ما يمكنك القيام به وأنت بدأت فيه بشكل جيد جداً بالفعل، هو أن تستعرض أنت أيضاً قوتك، وكيف يمكن أن يكون انتقامك وأن تعلم هي كيف تكون قدرتك على سحقها، وليس مجرد الانتقام منها، ولا تستعرض ذلك فقط، بل تبدأ بالفعل في سحقها، ولا تستطيع هي أن تجد أي مفر سواك أنت.. مثلما فعلت.. الهدف مما أقوله هو أن تكون قوياً قادر على الانتقام.. لا أن تبدو قوياً.. عليك استخدام بعض هذه القوة من أن لآخر حتي يلزم الآخر حدوده..

ولكن لا تفرط في استخدامها؛ لتقضي عليه بها.. في النهاية العذاب الذي تستحقه هذه الفئة من الناس هو أن تعيش بقية حياتها مهزومة بدلاً من أن تموت وهي تظن في نفسها أنها مظلومة".

هتف (سليم) حائفاً:

"كلا يا (نعماء).. لن يحدث ذلك.. يجب عليها أن تدفع ثمن ما فعلته.. ليس بعد كل ما حدث.. أعفو عنها هكذا.. أنا لم أسامح نفسي في البداية لأنها خدعتني.. ولن أسامح نفسي مجدداً إن لم أجعلها تخسر كل شيء".

"حجم العقاب أكبر بكثير وأكثر فداحة من الخطأ يا (سليم)".

برقت عيناه وهو يبتسم ساخرًا من عبارتها:

"منذ متى كانت توجد لأحاسيسنا التي تشوهت عقوبة تستطيع أن تعيدها لنا مجددًا كما كانت؟".

صمتت (نعماء) تمامًا..

لا يوجد لتساؤله ولا لكبريائه أو مشاعره، التي تسبح شظاياها المحطمة في داخل نفسه أي شيء يمكن قوله أو فعله من شأنه أن يداوي هذه الآلام .. لا شيء يمكنه ذلك.

"بالمناسبة لن تجدي زوجة (رامي) في منزلها".

أخرجتها عبارته من أفكارها لتتساءل في اندهاش:

"ماذا؟.. ما الذي تعنيه؟".

"لقد أتت لها مكالمة عاجلة بالأمس من القاعدة الفضائية، التي تعمل بها تطلب منها الحضور لاستلام متعلقات زوجها".

هتفت:

"كيف علمت بذلك؟".

هز كنفه:

"لقد تحدثت مع بعض الزملاء العاملين لديكم في القاعدة؛ لكي يقدموا لي هذه المساعدة الجلية.. أنا لا أريد رؤيتها".

"لم فعلت ذلك؟!".

"من غير المنطقي أو العادل أن تطلبني مني زيارة المرأة التي كاد زوجها أن يقتلني.. لا تطلبني مني ما لا يمكنني فعله".

هتفت محتدة:

"(سليم)..".

نظر إليها فتابعته هي في سرعة:

"ما الذي فعلته ب(ريكارد)؟".

اعتدل وهو ينظر إلى الطريق أمامه دون أن يجيبها.

انتباه.. لدينا توكيد بالهدف

صدرت هذه الرسالة الصوتية المنبثة عبر أحد أجهزة الاتصال، التي تستخدم أحد الترددات المشفرة، التي تستخدمها دورية مراقبة سرية، ترصد السيارة والأحاديث الدائرة في داخلها.

صاحت(نعماء) في (سليم):

"لقد سألتك سؤالاً.. وأريد معرفة إجابته".

التفت هو إليها قائلاً:

"لماذا تريدان إجابة مثل هذا السؤال؟".

"أنت تعلم جيداً لماذا".

ظهر على وجهه التردد لبضع ثوان إلى أن أفصح في النهاية:

"حسنًا.. أنتِ لا تملكين أي دليل على أنه كان موجودًا.. وبالقطع لا تملكين أي دليل على أنه اختفي.. لذلك لن يمكنك إثبات أي شيء.. ولكن...".

صمت لعدة ثوان مع بريق عينيها، الذي صار أكثر رعبًا، وهي تحقق فيه ليستطرد:

"ولكن حين تقوم الشركة اليابانية بالقيام في الشهر القادم بالجرد بعد أن ينتهوا من معاينة مسرح الأحداث.. سيعلمون أن هناك مكوك آلي مفقود.. ولن يمكنهم تتبع إلى أين ذهب.. لأنه من مركبات الإنقاذ المتطورة والطويلة الأجل.. التي تقوم بالتحليق بسرعات فائقة، وتمتلك قدرة هائلة على المناورة في الفضاء.. وعندما يعلموا مثل هذه المعلومة.. سيكون المكوك قد عبر مجموعتنا الشمسية بالفعل.. وهو يحمل على متنه واحدًا من أغني رجال الأعمال الفنلنديين، الذي جاء من كوكب الأرض لينتهي به الأمر.. غير قادر على الحركة ومحفوظ داخل مركبة فضائية لا يستطيع أن يتحرك هو في داخلها قيد أنملة.. إلا أنه واع لكل ما يدور حوله.. ولكنه غير قادر على إيقافه.. لأنه لم يعد قادرًا على الحركة مجددًا.. أمر غاية في الأسف".

لم تستطع هي احتمال بشاعة كلماته؛ لتسيل دموعها بشكل لا إرادي فوق وجنتيها، وهي تحقق فيه غير مصدقة لما سمعته

لقد تأكد ذلك الهاجس، الذي لطالما حاربتة طوال عمرها، وظلت تحاول الهرب منه، وها هي تصطدم فيه اليوم مجددًا.

<<الرجال إن تغيروا.. فهم دائماً يتغيرون للأسوأ>>.

"لقد صنع منك وحشاً ضارياً.. لا يمكن لأحد إيقافه.. ولا يمكنك أنت نفسك أن توقفه.. لذلك لن تغفو عنها.. ولذلك قتلت (رامي).. ولذلك قتلت (ريكارد) لقد تسللت إليك شهوة الانتقام.. وتمكنت منك تماماً ولن تغادرك أبداً إلا عند قبرك".

لا تدعوهم يغيبوا عن أنظاركم.. انقسموا لفريقين ولينتبع كل منكم هدفه
سألها(سليم):

"الآن أنتِ غاضبة مني؟.. كيف تجدين نفسك بمثل هذه المثالية يا(نعماء)؟ كيف تتقمصين دور القاضية من الجانب الأوحـد؟.. تحاكميني دون أن تنظري إلى أخطاء الآخرين.. هل بدت لك أخطأهم ولو للحظة غير مقصودة؟.. هل تعتقدين أنه لو عاد الزمن بنا فإن هذه الفرصة هي كل ما كانوا ينتظرونه، وأنهم هذه المرة سوف يتغيروا، ولن يعاودوا ارتكاب كل تلك الأخطاء؟ كلا.. لن يحدث ذلك.. لن يتغير أحد.. وإن تغير فسوف يكون تغيره للأسوأ".

برقت عيناها لعبارته الأخيرة.. التي بدت لها مثل السيف الصدى، الذي غرسه في قلبها ببطء شديد

"كل ما فعلوه أن قاموا بإهدائي الكثير من الآلام.. وكل ما فعلته أن قمت برد الهدايا إلى مرسلها.. مع خالص ندمي وأسفي".

نظرت إليه وهي تمسح دموعها وتشعر بمرارة فادحة في حلقها:

"للأسف يا (سليم)، أنت مثل البقية، بل أنت أسوأ منهم. تعيش وسط الناس بوجه الشخص الوحيد المنعزل البائس. فإن وقعت تحت ضغط يفوق قدرتك على الاحتمال. رأي الجميع أي شيطان ماردرجيم يكمن في داخلك. شيطان أناني لا يمكنه التواجد داخلك أنت بالتحديد. لما كنت تملكه في داخلك من نقاء القلب.

لنتثبت بأفعالك الشنيعة هذه في النهاية حقيقة كنت أعيش جاهدة لكي أثبت خطأها، كل الرجال حين يتغيروا.. دائماً ما يكون هذا التغيير للأسوأ.. أرجوك يا (سليم) لا تحاول الاستسلام لهذا.. عدني أنك سوف تغفو عن(عايدة) أرجوك.. تغير للأفضل ولو مرة واحدة في حياتك".

اعتلت وجه(سليم) نظرة أسى لم تر هي مثلها من قبل، وهو يخفض عينيه قائلاً في خفوت:

للأسف يا(نعماء).. أنا لست بطلاً لمغامرة أو رواية. أنا لست شخصاً يدعي المثالية المرفهة أو امتلاك الحس الإنساني، الذي يحنو على الجميع عندما تجتمع عليه جميع الشرور والمآسي.

أنا مجرد إنسان ينقصه الكثير..

إنسان من تشوهت نفسه، وضاعت فطرتها جراء ما رآه في حياته.. إنسان لن يشفع له ماضيه فيما أصبح عليه الآن، ولن يستطيع مستقبله أن يعالج ما تشوه في داخله

ما قد فعلته قد فعلته ولقد مضى.

هذا الإنسان قد أخطأ.

وهذا الخطأ من النوع الذي يتوجب على المرء اختياره بمحض إرادته.
وبعد ذلك يتهيأ ليتعايش معه بقية عمره.

كل شيء إذا ما حاصره ما خالف طبيعته التي نشأ عليها.

سينتهي أمره ما بين أن يتمرد أو أن يستسلم.. لقد اخترت الاختيار
الأول.. لقد تمررت

هناك حقيقة واحدة علمتها بعد كل ما قد مرت به..

مواجهة أخطائنا هي التي سوف تعيد تشكيلنا في النهاية، وليس فرارنا
منها هو الذي سيفعل ذلك،

ليست كل الأخطاء ممنوعة.. بعضها كالدواء.. سم لا بد للمرء من
تناوله؛ ليظل على قيد الحياة،

وأنا الآن بعد أن أقررت بأخطائي.. يتوجب علي أن أتعايش معها.

غادر (سليم) السيارة وهو يغلق بابها خلفه، ويسير بضعة خطوات؛
لنتوقف بمحاذاة سيارتها أمامه سيارة دفع رباعي سوداء مثل التي كانت
أمام المطعم.

صاحت بلهجة نائرة:

"لم يكن عليك أن تفعل بهم مثلما فعلت.. كان يتوجب عليك أن تترك
القدر يأخذ مجراه الطبيعي".

>>للأسف هي على حق.. ولكن من يدري.. لعلني كنت أنا ضمن إحدى مجريات هذا القدر!<<.

- الهدف الأول يتحرك.. تابعوا خط سيره.. إلى أن نتلقى أوامر بالتدخل من القيادة

نُمة بعمد الله



جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعادته إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال أو تدواله إلكترونيا نسخا
أو تخزينا دون إذن خطي من الدار